كلية الآداب جامعة بنها
جامعة بنهـــــا
كليـــــة الآداب
الدراسات العليا
قسم التاريــــخ

النظم السياسية والحربية في مملكة غرناطة

(٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢م)

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير فى التاريخ الإسلامى

إعداد الطالبة
هبة محمد عبده حال

إشراف

الأستاذ الدكتور
عفيفى محمود إبراهيم
أستاذ التاريخ الإسلامى
كلية الآداب – جامعة بنها

الأستاذ الدكتور
صفاء حافظ عبد الفتاح
أستاذ التاريخ الإسلامى
كلية الآداب – جامعة بنها

٢٠١٣م

المقدمة

المقدمة

عرفت الحقبة الأخيرة للوجود الإسلامى فى الأندلس باسم مملكة غرناطة أو دولة بنى الأحمر،تلك الحقبة التى استمرت طوال قرنين ونصف القرن تمثل الوجود الإسلامى فى بلاد الأندلس ، كدولة إسلامية ، منذ تأسيسها فى عام ٦٣٥هـ/١٢٣٨م وحتى سقوطها وإنهاء الوجود الإسلامى ككيان أو كدولة فى بلاد الأندلس فى عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م

وترجع أهمية هذه الدراسة إلى أنها تلقى الضوء على بعض الجوانب الحضارية لمملكة غرناطة ، وهذه الدراسة تتناول جانبًا مهمًا من الجوانب المتعلقة بالنظم السياسية وشكل الجهاز الإدارى فى مملكة غرناطة بكل جوانبه ،أعضائه ، وهيئاته ، وكذلك مظاهر الحضارة فى النظم العسكرية . وهو جانب حضارى مهم لتاريخ تلك الفترة من تاريخ المسلمين فى الأندلس ، والتى اتسمت فى مجملها بالتقدم الكبير فى كل المجالات ، لذا كان لزامًا كشف الغموض عن المظاهر السياسية والحربية لمملكة غرناطة .

وعن الدراسات السابقة التى تعرضت للحديث عن الجوانب الحضارية لمملكة غرناطة خاصة ما يتعلق بنظمها السياسية والحربية فمنها رسالة الدكتوراه التى أعدها الأستاذ الدكتور محمد كمال شبانة وهى بعنوان "يوسف الأول سلطان غرناطة"، وهى رسالة دكتوراه منشورة،. والتى تناول فيها مظاهر الحضارة فى مملكة غرناطة فى عهد السلطان الغرناطى يوسف الأول ،الذى تولى عرش مملكة غرناطة من عام ٧٣٢ /١٣٣٣م حتى عام ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م ،وتناول العلاقات الخارجية لمملكة غرناطة.

وكذلك الدراسة التى أعدها الأستاذ الدكتور أحمد مختار العبادى بعنوان" El Reino de Granada en la Épóca de Muhammad V "مملكة غرناطة فى عهد محمد الخامس" وهى رسالة دكتوراه منشورة باللغة الأسبانية فى مدريد عام ١٩٧٣م.وتناول فيها كافة ما يتعلق بأمور المملكة فى عهد السلطان الغرناطى محمد الخامس الذى تولى عرش مملكة غرناطة من عام ٧٥٥هـ/ ١٣٥٤م وحتى عام ٧٩٣هـ/١٣٩١م .

كذلك الدراسة التى أعدها الأستاذ الدكتور أحمد محمد الطوخى بعنوان " مظاهر الحضارة فى الأندلس فى عصر بنى الأحمر " ، وهى رسالة دكتوراه منشورة فى الإسكندرية عام ١٩٩٧م ، تناول خلالها المظاهر الحضارية لمملكة غرناطة الإسلامية .

كذلك من الدراسات السابقة الدراسة التى أعدها الباحث أحمد محمد السعيد بعنوان " الحياة الحربية لبنى الأحمر فى الأندلس (٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢م) وهى رسالة ماجستير غير منشورة بكلية الآداب – جامعة طنطا ، عام ٢٠٠٥م ، وهى رسالة تختص بدراسة الأحوال الحربية بالنسبة لمملكة غرناطة عصر بنى الأحمر.

أما عن المنهج المتبع فى تناول هذه الدراسة فهو المنهج الوصفى النقدى الذى يهدف إلى الوصول إلى الحقيقة التاريخية ، وفى سبيل ذلك كان حرص الباحثة على مقارنة المعلومات التى وردت فى المصادر للوصول إلى الحقيقة قدر المستطاع.

ولقد قمت بتقسيم هذه الدراسة إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة.

وتناول التمهيد جغرافية مملكة غرناطة وموقعها وسبب تسميتها بهذا الاسم ، والولايات التابعة للملكة والمدن المهمة ، وكذلك أهم الجبال التى تطل عليها أو تخترق المملكة ، وكذلك أهم أنهارها .

وتناول الفصل الأول " **الحياة السياسية فى مملكة غرناطة**" ، وحال المسلمين فى الأندلس فترة الدراسة . ويبدأ بعرض للفراغ السياسى الذى حل بالأندلس الإسلامية عقب هزيمة الموحدين فى الأندلس فى موقعة العقاب عام ٦٠٩هـ/ ١٢١٢م ، والتى أدت إلى انهيار سلطانهم السياسى بالأندلس ،وتأسيس مملكة غرناطة على يد محمد بن يوسف بن نصر(٦٣٥ – ٦٧١هـ/١٢٣٨-١٢٧٢م) ، وكيف نجح فى توطيد أركان هذه المملكة لتصبح الكيان الشرعى الوحيد الذى يمثل المسلمين فى الأندلس على مدى قرنين ونصف من الزمان.

وكذلك عرض لعصر القوة والازدهار لهذه المملكة ، والذى يمثله عصر السلطان أبى الحجاج يوسف الأول، ومن بعده عصر ابنه السلطان محمد الخامس ، والتى استمرت ما يزيد عن ستين عامًا(٧٣٢ – ٧٩٣هـ / ١٣٣٣-١٣٩١م)، وصلت مملكة غرناطة داخليًّا إلى أوج ازدهارها ، مما كان له بالغ الأثر فى علاقاتها الخارجية بمختلف مجالاتها السياسية والاقتصادية والثقافية .ثم تبعت تلك الفترة فترة ضعف وعدم استقرار استمرت طوال القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى . وكانت السمة الغالبة عليها كثرة الانقلابات والثورات فى المملكة ، والتى انتهت بسقوطها فى عام ٨٩٧هـ /١٤٩٢م .

والفصل الثانى بعنوان " **نظم الإدارة فى دولة بنى الأحمر** " ، فقد تناول فيه الباحث ما يتعلق بشئون الإمارة من كيفية تنصيب أمير المسلمين وهو لقب اتخذه سلاطين بنى الحمر لأنفسهم ، وكذلك كيفية بيعة السلطان الغرناطى كسلطان على المملكة ، وما هى صيغة البيعة ، وكذلك كيفية أخذ البيعة للسلطان . كما تناول ولاية

العهد وكيف كان يختار السلطان الغرناطى ولى عهده ، وما الشروط الواجب توافرها فى ولى العهد . والبيعة لولى العهد . كذلك تناول أهم الألقاب التى اتخذها سلاطين بنو الأحمر لأنفسهم ، كذلك أهم الاختصاصات التى كان سلاطين بنو الأحمر يقومون بها من اعمال سياسية وعسكرية وغيرها من الأعمال التى قاموا بها فى تلك الفترة . ويختتم هذا الفصل بأهم الاغتيالات السياسية والانقلابات التى كانت سببًا فى ضعف مملكة غرناطة ، وكان لها دور كبير فى نهاية الوجود الإسلامى فى الأندلس وسقوط مملكة غرناطة ، آخر كيان إسلامى بها ، فقد أدت هذه الانقلابات بشكل مباشر إلى ضعف المملكة فى الجبهة الداخلية ، وما ترتب عليه من ضعف فى الجانب الخارجى فكان ذلك بمثابة بداية النهاية لدولتهم .

أما الفصل الثالث " **نظام الوزارة والحجابة فى دولة بنى الأحمر** " فيتناول مفهوم الوزارة بصفة عامة فى اللغة وفى الاصطلاح ، ثم مفهوم الوزارة فى بلاد الأندلس وتطو هذا المفهوم من بداية ظهوره حتى عصر بنى الأحمر ، ثم شروط تولى منصب الوزير فى بلاد الأندلس فى عصر بنى الأحمر فقد تعددت الصفات الواجب توافرها فى من سيتولى هذا المنصب من أصول عائلية ، وقيادة عسكرية ، وقدرة مادية ، وعلم وأدب ، وغيرها من الصفات المهمة اللازمة لمتولى منصب الوزير .

كذلك يتناول هذا الفصل أهم صلاحيات الوزير فى عصر بنى الأحمر ، وكيف تعددت الصلاحيات بين سياسية وعسكرية ، وكيف أن هذه الصلاحيات قد ساعدت على استبداد الوزراء فى النهاية نظرًا لزيادة الصلاحيات فى أيديهم ، وأسباب ازدياد هذه الصلاحيات ، وكذلك يتناول هذا الفصل ظاهرة استبداد الوزراء وأسبابها وأهم مظاهر استبدادهم ، وكذلك نهاية هذا الاستبداد .كما يتناول هذا الفصل نهاية الوزارة بصفة عامة فقد تعددت أسباب نهاية الوزارة بين القتل والعزل لأسباب عديدة وبين

ترك الوزارة .كذلك يتناول هذا الفصل الحجابة فى الأندلس ومفهومها وتطور المفهوم منذ ظهوره فى عصر الدولة الأموية وحتى عصر بنى الأحمر ، وكذلك الحجابة فى عصر بنى الأحمر ،وأهم من تولى الحجابة .

ويبدأ الفصل الرابع " **النظام الحربى فى عصر بنى الأحمر**" فيتناول الجيش فى مملكة غرناطة ، وكيف أن القوة الحربية فى المملكة كانت تضم جيشين مهمين الأول هو جيش المملكة والثانى هو جيش مشيخة الغزاة وهو الجيش المغربى المرابط فى بلاد الأندلس لمحاربة النصارى والجهاد فى سبيل الله، . كذلك يتناول هذا الفصل قيادة الجيش الغرناطى ، وما مواصفات قائد الجيش؟ وأهم من تولى هذا المنصب فى المملكة ، وقادة مشيخة الغزاة فى الأندلس والشروط التى يجب أن تتوفر فيمن سيتولى هذا المنصب ، ومن أشهر من تولوه ، كذلك يتناول ملابس الجند وأسلحة الجيش الغرناطى وأنواعها ، وكيف تنوعت هذه الأسلحة وتطورت بما يتناسب مع تلك المرحلة لكثرة الحروب التى خاضها الجيش الغرناطى .

كذلك يتناول هذا الفصل الأسطول الغرناطى وهو القوة البحرية فى المملكة والتى لعبت دورًا مهمًا فى حروب المملكة ضد الممالك المسيحية فى بلاد الأندلس . وأنواع السفن الحربية أو قطع الأسطول الغرناطى التى تعددت بين الكبيرة والصغيرة ، وأهم الأسلحة التى كان جنود الأسطول يتسلحون بها ، وأهم قادة الأسطول الأندلسى فى تلك الفترة .

وينتهى هذا البحث بخاتمة تضم أهم النتائج التى توصلت إليها من دراسة هذا الموضوع . وكذلك عرض لقائمة بالمصادر والمراجع التى استندت عليها أثناء إعداد هذا البحث .

• **دراسة تحليلية لمصادر البحث ومراجعه :**

تعددت مصادر ومراجع البحث ما بين معاصرة للأحداث، أو قريبة منها، ومراجع حديثة. وفيما يلى عرض لأهم المصادر والمراجع التى اعتمد عليها الباحث أثناء إعداد هذه الدراسة،

أولاً: كتب التاريخ:

من أهم المصادر التى اعتمد عليها الباحث كتاب البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب لابن عذارى (ت بعد عام ٧١٢هـ/١٣١٢م) . والكتاب من تحقيق هويثى ميرندا ، ومحمد بن تاويت ، عام ١٩٦٠م .

وقد أفاد الباحث فيما يتعلق بتناول هزيمة الموحدين فى المغرب والأندلس فى موقعة العقاب ، ونشأة الممالك الإسلامية فى المغرب والأندلس على أنقاضها . فنشأت مملكة غرناطة على أنقاض أملاك الموحدين فى بلاد الأندلس .

وكذلك من الكتب التاريخية المهمة بالنسبة للبحث مؤلفات المؤرخ ابن أبي زرع الفاسي الذي (توفي بعد عام ٧٢٦هـ/١٣٢٤م) ، ومما زاد فى أهمية الكتابات التاريخية أنه تولى الكتابة للسلطان المرينى أبى سعيد عثمان ، واطلع على الوثائق والسجلات الخاصة بالدولة المرينية ، لذلك كانت كتاباته من الكتابات المهمة عن تلك الفترة.

ومن أهم كتبه كتاب "الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس " وهو كتاب عام لتاريخ المغرب الأقصى ، وقد أفاد الباحث من هذا الكتاب فى المعلومات الخاصة بالدولة المرينية وعلاقاتها بدولة بنى

الأحمر فى غرناطة . والتدخل المرينى فى بلاد الأندلس ، وعبور قوتهم البرية والبحرية ، وكذلك المعلومات القيمة عن جيش مشيخة الغزاة بالأندلس .

وكذلك كتابه" الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية" والذي أفاد البحث أيضاً في الحصول علي العديد من المعلومات المتعلقة ببنى مرين وعلاقتهم ببني الأحمر.، والتعريف بسلاطين بنى مرين وأهم أعمالهم ، ودورهم فى الجهاد فى الأندلس ، وعلاقاتهم مع بنى الأحمر فى غرناطة.

ومن المصادر المهمة التى اعتمد عليها الباحث فى جمع مادته العلمية كتاب "المسند الصحيح الحسن فى ذكر مآثر ومحاسن مولانا أبى الحسن" الذى ألفه أبو عبد الله محمد بن مرزوق (ت ٧٨١هـ/ ١٣٧٩م) والذى قام بتحقيقه ماريا خوسيوس بيغبرا، ونشره بالجزائر عام ١٩٨١م. وتحدث فيه ابن مرزوق عن أعمال السلطان أبى الحسن على (٧٣٢-٧٤٩هـ/١٣٣١-١٣٤٨م) فى الجهاد ضد نصارى الأندلس ، وصلته المستمرة بالمسلمين فى بلاد الأندلس ، وتقديم العون والمدد لهم،والعلاقات الحربية بين المسلمين والممالك المسيحية . فقد كان ابن مرزوق معاصرًا للأحداث، وشاهد عيان عليها، فقام بوصفها وصفًا تاريخيًا مفصلاً.

كما تعد كتابات الوزير والمؤرخ لسان الدين بن الخطيب (٧١٣- ٧٧٦هـ/ ١٣١٣- ١٣٧٤م) من أهم مصادر دراسة تاريخ مملكة غرناطة، ، كما أنها تعتبر من أعظم مصادر تاريخ مملكة غرناطة، ولقلة المصادر الأخرى المعاصرة في تلك الفترة، فإن كتابات ابن الخطيب تعتبر مصدرا أساسيا لدراسة تاريخ المسلمين في الأندلس والمغرب، خاصة وأنه كان قريب من مركز الأحداث حيث أنه تولي منصب الوزارة في عهد أبي الحجاج يوسف الأول، وولده محمد الخامس من بعده. وعاصر

بعضًا من أحداث هذه المملكة، لذلك تعد كتاباته أساسًا لدراسة تاريخ المسلمين فى الأندلس فى عصر بنى الأحمر.

وعلى رأس هذه المؤلفات كتاب "الإحاطة فى أخبار غرناطة"، الذى قام بتحقيقه ونشره الأستاذ محمد عبد الله عنان عام ١٩٧٤م بالقاهرة . وقد استغرق تأليف كتاب الإحاطة أكثر من عشر سنوات، وجعله ابن الخطيب فى شكل موسوعة معرفية فى تاريخ غرناطة بصفة خاصة، والأندلس بصفة عامة. وقسمه إلى قسمين: الأول فى وصف مملكة غرناطة، والثانى فى الأعلام، مرتبين ترتيبًا هجائيًا ،وقد أفاد هذا الكتاب الباحث فائدةً كبيرةً ، لما يحويه من معلومات هامة توضح أهم المظاهر الحضارية فى غرناطة ، فقد أفاد الباحث من هذا الكتاب فى تناول الجيش الغرناطى وعناصره ، وقيادته ، وجنده وأهم أسلحتهم وملابسهم ، وعرض لتراجم السلاطين ، وعلاقاتهم الخارجية ، وخاصة العلاقات مع المغرب العربى والممالك المسيحية ،وأهم ما خاضوه من معارك، ودور كل من الجيش الغرناطى ، وجيش مشيخة الغزاة فيها .

كما أفاد الباحث من كتاب الإحاطة فى عرض لأهم السفارات التى قام بها الوزراء فى عصر بنى الأحمر ممن ورد لهم ترجمة فى كتاب الإحاطة ، وكيف كانت العلاقة بين الوزراء والسلاطين ومظاهر استبداد الوزراء ، ونهاية الوزراء المستبدين ، وكذلك أشهر من تولى الكتابة من الوزراء والحجاب.

ومن مؤلفات ابن الخطيب أيضًا كتاب "اللمحة البدرية فى تاريخ الدولة النصرية". والذى قام بتحقيقه ونشره لجنة التراث العربى ببيروت عام ١٩٨٠م . والذى تناول فيه ابن الخطيب تاريخ مملكة غرناطة منذ مهدها حتى وفاته ، وسرد فيه

ابن الخطيب لملوك مملكة غرناطة سردًا تاريخًا مفصلاً، وعرض فيه لوزرائهم ، وكتابهم ،وقادة جيوشهم .

وقد أفاد منه الباحث فى تناول حياة السلاطين الخاصة والترجمة لهؤلاء السلاطين ووزرائهم وأهم الكتاب فى عهدهم ، ومن عاصرهم من الملوك سواء فى بلاد المغرب أم الممالك المسيحية المجاورة لمملكة غرناطة . ومن عاصر هؤلاء السلاطين من شيوخ الغزاة فى الأندلس ودورهم على الصعيدين الداخلى داخل مملكة غرناطة ، والخارجى بدورهم فى حركة الجهاد فى بلاد الأندلس وبخاصة بعد اشتداد الحملة المسيحية على الأملاك الإسلامية ، ورغبة هذه الممالك فى القضاء على مملكة غرناطة نهائيًا .

ومن مؤلفات ابن الخطيب أيضًا التى أفادت الباحث كتاب "أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام". والذى يتحدث فيه عن تاريخ الإسلام. وقام بتقسيمه إلى ثلاثة أقسام: الأول خاص بتاريخ المشرق العربى. والثانى خاص بتاريخ الأندلس الإسلامية، والمسيحية، والذى قام بتحقيقه ونشره أ/ ليفى بروفنسال عام ١٩٥٦م ببيروت تحت عنوان "تاريخ أسبانيا الإسلامية". والثالث تناول تاريخ المغرب العربى. ويعد القسم الثانى من هذا الكتاب والخاص بتاريخ الأندلس هو القسم الذى اعتمد عليه الباحث. فقد سرد فيه ابن الخطيب لتاريخ الأندلس منذ الفتح الإسلامى حتى عصره فى القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى. حيث تضمن أحداث هامة، عاصرها ابن الخطيب وشاهدها بنفسه ، بل قام ببعض هذه الأحداث ، وقام بتدوينها ، مما زاد من أهمية كتاباته التاريخية سواء بالنسبة لهذا الكتاب أم ما سبق من كتابات ابن الخطيب سالفة الذكر .

وقد أفاد الباحث من هذا الكتاب فيما يتعلق بالحياة السياسية لمملكة غرناطة فى عصر بنى الأحمر ، وسلاطينهم والترجمة لهم ، والأحداث السياسية الخارجية وبخاصة العلاقات السياسية مع بلاد المغرب ، ومع الممالك المسيحية . وكذلك ما يخص أهم الحروب التى خاضها الجيش والأسطول الغرناطى .

ومن مؤلفاته أيضًا كتاب "كناسة الدكان بعد انتقال السكان" ، الذى قام بنشره د. محمد كمال شبانة فى القاهرة عام ١٩٦٦م. والذى أفاد الباحث فيما يختص بالعلاقات بين العدوتين المغربية والأندلسية، وبخاصة فى عصر ابن الخطيب، وكذلك أثناء توليه الوزارة فى عهد السلطان أبى الحجاج يوسف الأول. وهو يشتمل على مجموعة من الرسائل السلطانية على لسان السلطان الغرناطى موجهة إلى السلطان المرينى، وكلها من إملاء الوزير ابن الخطيب.

ومن مؤلفات الوزير والمؤرخ لسان الدين بن الخطيب المهمة بالنسبة للبحث أيضًا والتى اعتمد عليها الباحث فى تناول الموضوعات ، كتابه ريحانة الكتاب وجعة المنتاب ، وهو من تحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان ، والمنشور فى مكتبة الخانجى بالقاهرة فى عام ١٩٨٩م .

وفى هذا المصدر تناول ابن الخطيب أهم المراسلات التى دارت بين سلاطين بنى الأحمر فى غرناطة وسلاطين بنى مرين فى فاس فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ، وقد أفاد الباحث فى أن المؤرخ ابن الخطيب قد قام بسرد أهم الحروب التى خاضها سلاطين بنى الأحمر فى غرناطة ومن الله عليهم بالفتح للعديد من المدن ودارت بشأن ذلك العديد من المكاتبات السياسية بين سلاطين بنى الأحمر فى غرناطة وبين سلاطين بنى مرين فى فاس . وأهم ما قدمه شيوخ الغزاة فى بلاد الأندلس فى هذه الحروب فى حركة الجهاد ضد الممالك المسيحية .

ومن المصادر التى أفادت الباحث فى إعداد هذا البحث مؤلفات عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢- ٨٠٨هـ/ ١٣٣٢- ١٤٠٦م). شاهد العيان على أحداث المغرب والأندلس فى تلك الفترة، لذا تعتبر مؤلفاته من أهم المصادر التاريخية لدراسة تاريخ المغرب والأندلس. ومما أعطت تلك المؤلفات قيمة تاريخية عظيمة، تولى ابن خلدون العديد من المناصب فى البلاط المرينى، حيث تولى عام ٧٦٠هـ/ ١٣٥٩م منصب كاتب السر فى عهد السلطان المرينى أبى سالم (٧٦٠-٧٦٢ هـ/١٣٥٩-١٣٦١م). وكذلك انتقاله من البلاط المرينى إلى البلاط الغرناطى، حتى أن السلطان محمد الخامس أوفده إلى مملكة قشتالة سفيرًا لإتمام الصلح بين الجانبين الغرناطى والقشتالى فى عام ٧٦٥هـ/ ١٣٦٤م.

وعلى رأس مؤلفات ابن خلدون كتابه "العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر" – واعتمد الباحث على طبعة بيروت، ٢٠٠٠م فى سبعة أجزاء بتحقيق خليل شحاتة . وقد أفاد الباحث كثيرًا فى تناول العلاقات الخارجية لمملكة غرناطة . وقد خصص ابن خلدون الجزءين الرابع والسابع لتناول الأحداث الأندلسية. وتتبع ابن خلدون تاريخ ملوك بنى نصر بشىء من التفصيل ، ميز كتاباته عن غيره من المؤرخين. وساعده فى ذلك أن عصره كان قريبًا من بعضها، وشاهد البعض الآخر بنفسه.

وقد أفاد الباحث من كتاب العبر بما يحويه من معلومات تاريخية مهمة تتعلق بالعلاقات السياسية لمملكة غرناطة فى عصر بنى الأحمر سواء مع الممالك الإسلامية فى بلاد المغرب ام مع الممالك المسيحية المجاورة لمملكة غرناطة . ومما زاد فى أهمية الكتابات التاريخية لابن خلدون وصفه للعديد من المعارك التى دارت بين المسلمين والمسيحين وصفًا دقيقًا .

ومن مؤلفات ابن خلدون أيضًا كتابه التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغربا ، نشر محمد بن تاويت الطنجي ، وتناول فيه بن خلدون رحلته الأندلسية، وسفارته إلي الملك بدرو الأول ملك قشتالة، وقام بوصف البلاد والمدن الأندلسية وصفا دقيقا. وتحدث عن لقائه بعلماء غرناطة وخاصة ابن الخطيب .

كذلك من المصادر المهمة التى أفادت الباحث مؤلفات الأمير النصرى إسماعيل بن الأحمر (ت ٨١٠هـ/ ١٤٠٤٧م)، وعلى رأسها كتابه " النفحة النسرينية واللمحة المرينية " والذى قام بتحقيقه عدنان محمد آل طعمة، وتم نشره فى دمشق عام ١٩٩٢م .

وقد أفاد الباحث من كتبات ابن الأحمر فيما يتعلق بكتاباته التاريخية عن دولة بنى مرين منذ قيامها وحتى سقوطها، وسرد لملوكها سردًا تاريخيًا مفصلاً ،وتناول كذلك علاقتهم بملوك بنى الأحمر فى الأندلس . فمن خلال مؤلفاته تم التعريف بسلاطين بنى مرين فى بلاد المغرب وأهم أعمالهم، سواء فى بلاد المغرب أم فى بلاد الأندلس ، وأهم ما قاموا به من دور هام وحيوي فيما يتعلق بالجهاد فى بلاد الأندلس فقد سرد ابن الأحمر لعبور سلاطين بنى مرين للجهاد فى بلاد الأندلس ودورهم الحيوى فى صد العديد من الهجمات المسيحية عن الأملاك الإسلامية فى تلك الفترة المهمة من فترات تاريخ المسلمين فى بلاد الأندلس الإسلامية . كذلك تناول ابن الأحمر أهم شيوخ الغزاة فى بلاد الأندلس واهم ما قدموه من خدمة المسلمين فى تلك الفترة .

كما يعد كتاب "روضة النسرين فى دولة بنى مرين". الذى قام بتحقيقه ونشره بالرباط عام ١٩٦٩م ،عبد الوهاب بن منصور ، والذى تناول فيه أيضًا تاريخ دولة بنى مرين . وقد أفاد الباحث فى الحصول على المعلومات التاريخية الهامة المتعلقة

بدولة بنى مرين والتعريف بها وبسلاطينها ، وكذلك دورهم الحربى فى الأندلس ، وبخاصة ما يتعلق بمشيخة الغزاة فى الأندلس

كما يعد كتاب "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب"، للمؤرخ أحمد المقرى (ت١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)- والذى قام بتحقيقه الدكتور إحسان عباس ونشر ببيروت عام ١٩٦٨م -من المصادر المهمة التى أفادت الباحث فى إعداد هذا البحث. لكونه من أهم المصادر التاريخية لدراسة تاريخ المغرب والأندلس، على الرغم من أنه سرد المعلومات بطريقة غير منظمة، حيث وردت المعلومات مبعثرة بين أجزائه. وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أنه يحتفظ بالعديد من النصوص التى فقدت أصولها.وقد أفاد الباحث فيما يتعلق بأهم مظاهر الحضارة فى الأندلس فى عصر بنى الأحمر. فقد أفاد الباحث فى التعرف على البلاد الأندلسية ووصفها وكذلك الدور الحضارى لهذه المدن والجيش الغرناطى ، وملابسه وجنده وقادته ، والجهاد ضد الممالك المسيحية والتعريف بالوزراء ومهامهم ، وكذلك دور مشيخة الغزاة فى الجهاد فى بلاد الأندلس . والبحرية الغرناطة ، وصناعة السفن فى مملكة غرناطة ، والعلاقات السياسية بين مملكة غرناطة وبلاد المغرب .

وكذلك كتابه "أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض" الذى قام بتحقيقه الأستاذ مصطفى السقا وآخرين،وتم نشره بالقاهرة عام ١٩٣٩م . وعلى الرغم من وفاة القاضى عياض عام ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م، استمر المقرى فى تناول أحداث بلاد المغرب والأندلس فى عصر بنى الأحمر.

كذلك من المصادر المهمة التى اعتمد الباحث عليها كتاب "أخبار العصر فى انقضاء دولة بنى نصر" ، والذى قام بتحقيقه الدكتور حسين مؤنس ،ونشر بالقاهرة عام ١٩٩١ م .وهو لمؤلف مجهول،ألفه بعد سقوط مدينة غرناطة بخمسين

عامًا.ويعتبر هذا الكتاب الرواية الإسلامية المتداولة حتى الآن لتاريخ تلك الفترة. وترجع أهميته إلى أنه تناول آخر سنوات عمر مملكة غرناطة، كما أن المؤلف معاصرًا للأحداث، وشاهد عيان عليها، فقام بوصف الأحداث وصفًا دقيقًا، بدأت بتولى السلطان أبى الحسن على فى عام ٨٦٩هـ/ ١٤٦٤م وحتى سقوط مملكة غرناطة فى عام ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م. وبوجود هذا الكتاب بدأ الغموض ينكشف عن تاريخ مملكة غرناطة فى النصف الثانى من القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى.

ثانيًا : كتب الجغرافيا :

تعد كتب الجغرافيا من المصادر الحيوية التى اعتمد عليها الباحث فى إعداد هذا البحث وذلك لما حوته من معلومات هامة عن المدن الأندلسية ،والتعريف بها ، ودراسة جغرافيتها.

ويعد كتاب "كتاب الجغرافيا" لأبى عبد الله الزهرى- الذى توفى فى أواسط القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى- والذى قام بتحقيقه محمد حاج صادق ونشر بالقاهرة ، من أهم الكتب الجغرافية التى اعتمد الباحث عليها . فقد وصف جميع أقطار الأرض ، وخصص بعضًا من صفحاته لجغرافية بلاد المغرب والأندلس، وتعرض كذلك لتاريخ بعض هذه المدن أثناء الحديث عن جغرافيتها .

ومن الكتب الجغرافية المهمة التي اعتمد الباحث عليها أيضا كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق للإدريسي (ت ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م) حيث عرض مواضع العديد من المدن التي ورد ذكرها في البحث ، وجغرافيتها والتعريف بها وبتاريخها.

كما تعد رسائل ابن الخطيب التى حققها ونشرها الأستاذ الدكتور أحمد مختار العبادى بالإسكندرية عام ١٩٨٣م ، تحت عنوان "مشاهدات لسان الدين بن الخطيب

فى بلاد المغرب والأندلس" ، وهو عنوان أطلقه على هذه الرسائل، والتى ضمت خطرة الطيف ورحلة الشتاء والصيف، ومفاخرات مالقة وسلا، ومعيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار.

وقد أفادت هذه الرسائل الباحث فى تناول المدن الغرناطية والمغربية والتعريف بها ، وما اشتهر من أعلام هذه المدن ، ومما زاد من أهمية مؤلفات ابن الخطيب فيما يتعلق بالجغرافيا ووصف المدن ومواقعها أن ابن الخطيب عاش فى عصر بنى الأحمر ووصف المدن فى عصره وتناول أعلام هذه المدن المعاصرين له فى تلك الفترة .

كما أفاد الباحث من رحلة الرحالة ابن بطوطة الذى طاف بلاد المشرق والمغرب ومنها الأندلس . وترجع أهمية هذه الرحلة أنها كانت فى القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى .

كما أفاد الباحث من كتاب "الروض المعطار فى خبر الأقطار" ، للحميرى (ت فى أواخر القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى). والذى قام بتحقيقه الدكتور إحسان عباس ،ونشر ببيروت عام ١٩٨٠م. والذى بعد مصدرًا مهمًا فيما يتعلق بالتعرف على البلاد الأندلسية.

فقد أفاد الباحث فى التعرف على البلاد والمدن الأندلسية ، وأهم ملامح الحياة الاقتصادية فيها من زراعة وصناعة وتجارة ، وكذلك أشهر علماء تلك المدن .

ثالثًا: المراجع العربية الحديثة:

أما المراجع العربية الحديثة، فهى عديدة ومتنوعة، وعلى رأسها المؤلفات التى وضعها الأستاذ الدكتور أحمد مختار العبادى ومنها " دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس" والمنشور فى الإسكندرية عام ١٩٦٨م، وتضمن مجموعة أبحاث عرض فى بعضها للحالة الداخلية والخارجية فى مملكة غرناطة .. وكذلك كتاب الأستاذ الدكتور محمد عيسى الحريرى " تاريخ المغرب الإسلامى والأندلس فى العصر المرينى" والمنشور فى الكويت عام ١٩٨٥م . وغيرهم الكثير ممن تعرضوا للحديث عن تاريخ تلك الفترة، أورد الباحث ثبتًا بأسمائهم فى قائمة المصادر والمراجع .

رابعًا: المصادر والمراجع الأجنبية:

- الوثائق:

وعلى رأسها مجموعة الوثائق التى نشرها ألاركون وسانتون Alarcón Y Linares بعنوان "الوثائق العربية المحفوظة بأرشيف التاج الأراجونى"

"Los Documents Árabes Diplomática del Archivo de la Corona de Aragón".

وقد قاما بجمع كل الوثائق المحفوظة فى التاج الأراجونى، وقاما بنشرها دون تعليق أو شرح حيث أوردا نصها فقط، والنص منشور باللغتين العربية والأسبانية.

وتتناول هذه الوثائق المراسلات التى دارت فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى بين مملكة غرناطة ومملكة أراجون ، وكذلك بين دول بلاد المغرب وبين مملكة قشتالة . وقد أفادت الباحث فى دراسة العلاقات بين الجانبين ، وكذلك

كشف ما تناولته هذه الرسائل من توقيع معاهدات تجارية واقتصادية بين الجانبين ، كما تناولت هذه الرسائل بعض الموضوعات المهمة التى تتعلق بكثرة تظلم مملكة غرناطة من الاعتداءات المتكررة للفراصنة الأراجونيين على القطع البحرية الإسلامية فى حوض البحر المتوسط ومدى ما ألحقته هذه الحركات من أضرار للاقتصاد الغرناطى .

خامسًا: المراجع الأجنبية الحديثة:

تعددت المراجع الأجنبية الحديثة التى اعتمدت عليها أثناء إعدادى هذا البحث، وعلى رأسها ما قامت بوضعه الباحثة الأسبانية راشيل أرى Rachel Arié ، التى اتصفت كتاباتها عن مملكة بنى نصر بالدقة البالغةفى تناولها لأحداث . وتعود أهمية هذه المؤلفات إلى اعتماد الباحثة على المصادر الإسلامية والمسيحية على السواء ، وإقامة العديد من المقارنات بينهما للوصول إلى حقيقة أحداث تلك الفترة، مما أكسب كتاباتها أهمية بالغة.

كما تعد كتابات المؤرخ لويس سيكو دى لوثينا Luis Seco de Lucena ، وهى كثيرة وتناولت تاريخ وحضارة المسلمين فى الأندلس ، ومنها عصر بنى الأحمر. ومظاهر الحضارة فيها وبخاصة ما يتعلق بالناحية الحربية ، والاستحكامات الدفاعية ، وكذلك عرض لسلاطين بنى الأحمر ومهامهم وأهم وزرائهم .

وكذلك اعتمد الباحث على كتابات عدد من المؤرخين الأوربيين ممن تناولوا تاريخ مملكة بنى نصر، ورد ثبتًا بأسمائهم فى قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد

التمهيد

جغرافية مملكة غرناطة Granada :

تنسب مملكة غرناطة من حيث تسميتها إلى عاصمتها مدينة غرناطة، واسم غرناطة أو إغرناطة(١) ليس اسماً عربياً، فهو يرجع إلى ما قبل الفتح الإسلامي للأندلس . وثمة خلاف بين المؤرخين فى أصل هذا الاسم ، وانقسموا إلى فريقين :

الفريق الأول : يرى أن أصله روماني ، وأن غرناطة Granada مشتق من الكلمة الرومانية جراناتا Granata ، ومعناها الرمانة (٢) . والسبب فى ذلك هو كما يرى البعض أن حدائق الرمان كانت تملئ المدينة، أو أنها جغرافياً تشبه الرمانة المشقوقة، لوقوعها على تلين(٣).

والفريق الثاني يرجع هذا الاسم إلى الأصل القوطى ، ويذكر أنه مشتق من كلمة ناطة Natta ، الذي يعود إلى اسم ربض قديم كان على مقربة من إلبيرة Elvira ، ثم أضيف إليه المقطع الأول ، وهو " غار " ويعنى كهف أو وادى عميق(٤)

---

(١) غرناطة Granada بفتح الغين المعجمة وسكون الراء المهملة وفتح النون وألف وطاء مهملة وهاء فى الآخر.انظر: القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا – القاهرة، د.ت، جـ٥، ص٢١٣.

(٢) المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب– تحقيق إحسان عباس، لبنان، ١٩٦٨م، جـ١، ص١٤١؛ ليفي بروفنسال : سلسلة محاضرات فى أدب الأندلس وتاريخها–ترجمة عبد الهادي شعيرة، الإسكندرية، د.ت، ص٥٩.

(٣) أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس – الإسكندرية، ١٩٦٨، ص٤٦٣؛ أحمد محمد الطوخى: مظاهر الحضارة فى الأندلس فى عصر بنى الأحمر – الإسكندرية، ١٩٩٧، ص ٥٠.

(4) Francisco Jovier Simonet: Descripcion de Reino de Granada Bajo la Dominacion de los Naseritas- Madrid, 1860, p.40.

ويذكر أبو عبد الله الزهرى صاحب كتاب الجغرافيا أنه كان يوجد بالقرب من غرناطة كهف هو الذى ذكر فى القرآن الكريم، وسميت باسمه سورة فيه، وأن المسلمين عندما فتحوا الأندلس سألوا عن هذا الكهف(١).

وذكر البعض أن "غار" بالعبرية معناها " الغريب " وذلك نسبة إلى هجرة اليهود قديماً إلى تلك المنطقة، وأن غرن Kurn المقطع الأول من غرناطة بمعنى تل وأن ناطة Natta المقطع الثانى بمعنى الغريب فتصبح تل الغرباء. (٢)

وكان دخول العرب المسلمين غرناطة عند الفتح الإسلامى للأندلس، حيث استقر بها عرب الشام فزاد عمرانها وتطورت وبدأت تظهر كمدينة هامة من مدن الأندلس ، وزادت أهميتها عندما أصبحت عاصمة إقليم إلبيرة Elvira (٣) ، التى كانت إحدى المدن التابعة له ،وكان السبب فى ذلك هو تخريب مدينة إلبيرة على أيدى البربر فى ثورتهم بعد سقوط الدولة العامرية عام ٣٩٩هـ/ ١٠٠٩م ، وبدأت حرب أهلية فى

(١) أبو عبد الله الزهرى: كتاب الجغرافيا- تحقيق محمد حاج صادق، القاهرة، د.ت، ص ص٩٤-٩٥.

(٢) إسماعيل العربي :عواصم بنى زيرى- بيروت ،١٩٨٤، ص ص ٨٣-٨٤؛ أحمد محمد الطوخى : المرجع السابق ، ص٤٩؛

Simonet, F.J.: Op. Cit., p.40.

(٣) إقليم إلبيرة Elvira : أحد أقاليم الأندلس وينسب اسماً إلى أكبر مدنه إلبيرة Elvira، وهى مدينة رومانية قديمة، كانت زمن الفتح الإسلامى عامرة بالسكان ، وعاصمة الإقليم . عنها انظر: البكرى: جغرافية الأندلس وأوربا - تحقيق عبد الرحمن حجى ، بيروت،١٩٦٨م،ص ص ٦٤-٦٨؛ ابن الخطيب: الإحاطة فى أخبار غرناطة - تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٧٤م، جـ١، ص٩١.

الأندلس ، بين أمراء بنى أمية وبين البربر ، فعاث البربر فى البلاد ، وخربت المدن ومنها مدينة إلبيرة ، فأصبحت غرناطة منذ ذلك التاريخ عاصمة الإقليم (١).

أما مملكة غرناطة فى عصر بنى الأحمر فيقصد بها كل البلاد والمدن التى دخلت فى سلطان بنى الأحمر كما سيتضح فى الصفحات التالية فى الفصل الأول . وعليه فقد ضمت المملكة كل البلاد والمدن التى لم يكن قد كتب الله لها السقوط فى أيدى الممالك المسيحية المجاورة لمملكة غرناطة.

وضمت مملكة غرناطة الإسلامية ثلاث ولايات كبرى لكل ولاية أحوازها ومدنها وقراها وكذلك لها قاعدتها وفى الغالب هى قاعدة الإقليم كله .

الولاية الأولى ولاية المرية Almeria (٢) ، وقاعدتها مدينة المرية أكبر مدنها وأهمها،وتمتد ولاية المرية من حدود ولاية مرسية نسبة إلى مدينة مرسية Murcia(٣)

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص٩٣؛ محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين – القاهرة، ١٩٩٧م، ص١٤؛ عبد الفتاح مقلد غنيمى: كيف ضاع الإسلام من الأندلس بعد ثمانية قرون– القاهرة، ١٩٩٣م، ص ص٢٤٤-٢٤٩.

(٢) المرية : مدينة برية بحرية ، عاصمة ولاية المرية فى زمن بنى الأحمر . شيدها الخليفة الأموى عبد الرحمن الثالث فى عام ٣٤٤هـ/ ٩٥٦م، لتكون قاعدة بحرية . بينها وبين مالقة ٢٢٢كم . انظر: الزهرى: كتاب الجغرافية ، ص ١٠١؛ ابن الخطيب: معيار الاختيار فى ذكر المعاهد والديار– ضمن مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق د/أحمد مختار العبادى، الإسكندرية،١٩٨٣، ص ٥٧؛ الحميري:الروض المعطار فى خبر الأقطار– تحقيق إحسان عباس، بيروت،ط ٢، ١٩٨٤م ،ص ص ٥٣٧-٥٣٨؛ المقرى: نفح الطيب، جـ١، ص ١٦٢.

(٣) مرسية Murcia : بناها الأمير الأموى الحكم بن هشام ، وتقع مدينة مرسية على نهر كبير يسقى زرعها شبهه الحميرى بنيل مصر . قريبة من مدينة بلنسية . انظر : الحميرى : الروض المعطار ، ص ص ٥٣٩-٥٤٠.

فى الشرق حتى شاطئ البحر الأبيض المتوسط[١] . ومن أهم مدن ولاية المرية مدينة المرية عاصمة الإقليم ومدينة أندرش Andara[٢]، ومدينة دلايةDalias[٣]، ومدينة برجة Berja[٤]،وبرشانةPurchena [٥] ،ومدينة المنصورة Almanzora[٦] ومدينة بيرة Vera.[٧]

---

(١) انظر الحميري: الروض المعطار، ص٥٣٧.

(٢) أندرش Andara: هي مدينة من أعمال المرية، وهي من أنزه البلدان. انظر: الحميري: الروض المعطار، ص٤٢.

(٣) دلاية Dalias: من أعمال المرية، تقع غرب ألمرية في جنوبي سفح جبال "غدر Gador" وهي قريبة من سواحل البحر المتوسط، وتبعد عن برجة ثمانية أميال. انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان- بيروت ، د.ت ، جـ٤، ص٣٠٤.

(٤) برجة Berja: تبعد عن المرية مرحلة كبيرة وتكثر بها الأسواق والصناعات والمزارع. الإدريسي: نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق – القاهرة ، د٠ت ، جـ٢، ص٥٦٣.

(٥) برشانة Purchena: حصن هام يتبع ولاية المرية ، على مجتمع نهرين وهو من أمنع الحصون مكاناً وأوثقها بنياناً وأكثرها عمارة. انظر: الحميري: الروض، ص٨٨؛ ابن الخطيب: خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف، ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، تحقيق أحمد مختار العبادي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨٣، ص٣٦.

(٦) المنصورة Almanzora وبيرة Vera: هما مدينتان صغيرتان في ولاية المرية، تقعان في شمال شرقها . انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص١٠٩؛ خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف، ضمن مشاهدات ، ص٤٠.

(٧)المقري :نفح الطيب ، ج١ ، ص١٦٦.

أما الولاية الثانية من ولايات مملكة غرناطة فكانت ولاية مالقة ، نسبة إلى أكبر مدنها وقاعدتها مدينة مالقة Malaga (١) وتمتد شرقى غرناطة العاصمة بمحاذاة البحر المتوسط(٢). وتضم ولاية مالقة مدن مالقة العاصمة ، ومدينة رندة Ronda (٣) وأرشذونهArchdona(٤)،وبلش مالقة Velez Malaga(٥)، طريف Tarifa(٦)

(١) مالقة: مدينة ساحلية جنوب شرق الأندلس ،يرجع تأسيسها إلى عام ١٢٠٠ ق.م فى عهد الفينيقيين، والذين أعطوها اسم مالقة Malako أى المملح، نسبة إلى الأسماك المملحة التى كانت تحفظ فيها ، وفى عهد ملوك الطوائف كانت مدينة مالقة عاصمة الحموديين الأدراسة من ملوك الطوائف ، وفى عصر بنى الأحمر كانت من أهم المدن التابعة لمملكة غرناطة . انظر : الحميرى : الروض المعطار ، ص ص ١٧٧ – ١٧٨.

(٢) المقري: نفح الطيب، جـ١، ص١٦٦.

(٣) مدينة أندلسية تقع غرب مالقة ، وهى مدينة مدينة رومانية قديمة كان اسمها Arunda، وتعتبر قاعدة عسكرية هامة فى الأندلس ، نظرا لموقعها . فهى التى تحمى مالقة من ناحية الغرب . اشتهرت فى عصر بنى الأحمر بكثيرة الفواكه ، التى كانت تحمل منها لكل بلاد الأندلس ولذلك كانت مركز تجارى هام. . انظر: ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ٣،٧٣؛ ابن الخطيب: معيار الاختبار ، ص ص ٩٥-٩٦، ٩٥ هـ١؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٢٦٩.

(٤) أرشذونة Archdona: وهي قاعدة كورة رية، تقع جنوب قرطبة، وبينها وبين مالقة ثمانية وعشرون ميلاً، انظر الحميري: الروض المعطار، ص٢٥.

(5) بلش مالقة Velez Malga: تقع شرقي ثغر مالقة وعلى مقربة منها، وأطلق عليها بليش من الكلمة اللاتينية vallis بمعنى وادي، انظر ابن الخطيب، الإحاطة، جـ١، ص١١٢.

(٦) طريف Tarifa: من المدن المهمة في جنوب الأندلس فهي تقع على لسان يمتد في البحر المتوسط من الناحية الجنوبية الغربية وهي بذلك تواجه الجزيرة الخضراء التي تقع في الجهة الشرقية منها، ومن طريف إلى الجزيرة الخضراء ثمانية عشر ميلاً. انظر الحميري: الروض المعطار، ص٣٩٢؛ الزهري: الجغرافية، ص٩٣.

والجزيرة الخضراء Algecira[١]وجبل طارق[٢]

أما الولاية الثالثة من ولايات مملكة غرناطة كانت ولاية غرناطة نسبة إلى أهم مدنها وقاعدتها مدينة غرناطة ، وتمتد جنوباً حتى البحر ، وأهم مدنها غرناطة العاصمة ، ومدينة وادي آشGuadix [٣]، والحامة Alhama [٤].

وامتدت مملكة غرناطة بالحدود سالفة الذكر من جنوب نهر الوادى الكبير[٥]

---

(١) الجزيرة الخضراء Algeciras : مدينة ساحلية على ساحل البحر المتوسط، من المدن الأندلسية المهمة فى الجنوب، لقربها من مدينة طريف، وجبل طارق، قيل إنها من بناء القوطيين، وذلك لعظم مبانيها. تقابل مدينة سبتة المغربية، وتبعد عنها ستة أميال فى البحر. انظر: الإدريسى: نزهة المشتاق، جـ٥، ص ٥٣٩؛ الزهرى: كتاب الجغرافية، ص٩٣؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٢٢٣.

(٢)المقري: نفح الطيب، جـ١، ص١٦٦.

(٣) وادى آش Guadix : تسمى أيضاً وادى إيش واسمها القديم Acci ، وتعرف اليوم Guadix. وهى مدينة أندلسية تقع على نهر ينبع من جبل شيلر يسمى فردس ٠ وتقع على مسافة ٥٣ ك٠م شمال شرق غرناطة ٠ ولها بابان كبيران ، تشتهر بزراعة الفواكه. ويقول عنها ابن الخطيب : وماؤها مجاج الجليد ، وهواؤها يذكى طبع البليد. انظر : الإدريسى : نزهة المشتاق ، جـ ٢ ، ص٥٦٧؛ الحميرى : الروض المعطار ، ص ص ٦٠٤ – ٦٠٥ .

(٤) الحامة أو الحمة Alhama : مدينة من أعمال المرية تقع جنوب غربي غرناطة بالقرب من مدينة بجانه، ويخرج منها مياه كبريتية طبية، وهي مدينة مشهورة بالحمامات الكثيرة. انظر: الحميري: الروض المعطار، ص٨٠.

(٥) نهر الوادي الكبير: أشهر أنهار شبه جزيرة أيبيريا وعليه نشأت أشهر المراكز الحضارية في الأندلس خاصة غرناطة الواقعة على أحد روافده وهو نهر شنيل، وينبع الوادي الكبير من سفوح جبال سيرا مورينا Sierra Morna ويصب في المحيط الأطلسي. انظر : الإدريسي: نزهة المشتاق ، ص٥٦١.

حتى شاطئ البحر المتوسط ومضيق جبل طارق[١] فى الجنوب ، ويحدها من الشمال ثلاث ولايات هى ولاية قرطبة Cordoba [٢]وولاية إشبيلية Sevilla [٣] وولاية جيان Jaen [٤] . أما من الشرق فتمتد من حدود ولاية مرسية حتى ساحل البحر المتوسط ، ومن الغرب ولاية قادس[٥] وأرض الفرنتيرة[٦].

---

(١) عبد الرحمن علي الحجي: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة ٨٩٧هـ/ ١٤٩٢م، الطبعة الأولي، القاهرة ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣م، ص٥١٨؛ محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، الجزء السابع نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، الناشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١م، ص٥٥.

(٢) مدينة قرطبة Cordoba: من أهم مدن الأندلس، تقع على سفوح جبال قرطبة، المتفرعة من سلسلة جبال سيرا مورينا Sierra Morna، التى تمتد شمال المدينة، وتمتد قرطبة على الضفة اليمنى لنهر الوادى الكبير، كانت عاصمة الخلافة الأموية، وعاصمة للعلم والأدب، ومنارة لشتى العلوم. انظر: الزهرى: كتاب الجغرافية، ص ص ٨٦-٨٧.

(٣) إشبيلية Sevilla: مدينة من أعظم مدن الأندلس، وهى قريبة إلى حد ما من قرطبة، ولقبت بعروس الأندلس، واشتهرت بكثرة الصناعات بها، وأطلق عليها المسلمون حمص الأندلس، حيث جرت العادة أن يطلق المسلمون فى الأندلس على مدنه أسماء بعض المدن الشرقية. انظر: الزهرى: كتاب الجغرافية، ص٨٨.

(٤) مدينة جيان Jaen: تنطق بالفتح ثم التشديد وآخره نون ،مدينة أندلسية من أقدم المدن بالأندلس، تقع بالقرب من مدينة إلبيرة Elvira،وتقع شرق قرطبة، بينها وبين بياسة مسافة تقدر بعشرون ميلاً . معروفة بأرضها الخصبة، ووفرة المأكولات بها.انظر:الحميرى:الروض المعطار،ص ص١٨٣-١٨٤ .

(٥) قادس: إحدى مدن أشبيلية تقع في جنوبها، على ضفة البحر الأعظم ولها نهر وادي لكة، انظر الزهري: الجغرافية، ص٨٦؛ الحميري: الروض المعطار، ص٤٤٨.

(٦) محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس ص٥٥، والفرنتيرة هي بسيط قرطبة وأشبيلية وطليطلة وجيان آخذة من جوف (شمال) الجزيرة من الغرب إلى الشرق والفرنتيرة معناها بالأسبانية "الحدود الفاصلة بين دولتين"،أحمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة في الأندلس ، ص٥٠.

أما عن جبال مملكة غرناطة فكان يحيط بها ويخترقها سلاسل جبال ، كانت حماية طبيعية للمملكة فى الكثير من الأوقات . وأهمها جبل شيلر وهو أحد جبال باسم سيرا نيفادا Sirra Nevada . واسم شيلر تحريف للاسم اللاتينى القديم Solorius أى جبال الثلج، لشدة لمعانه لانعكاس أشعة الشمس على قممه المغطاة بالثلوج . ويطل جبل شيلر على غرناطة العاصمة، ويقع فى الجهة القبلية منها، ويبلغ ارتفاعه ٣٤٨١ مترًا.(١).

كما كان يوجد جبل طارق Gibraltar ، واسمه نسبة إلى طارق بن زياد ، وقبل الفتح الإسلامى أطلق عليه أسماء عديدة، أهمها الاسم الفينيقى Calpe ومعناه تجويف، حيث كان يطلق على مغارة كبيرة فى هذا الجبل. (٢)

أما عن الأنهار فى مملكة غرناطة فكان يخترقها عدد كبير من الأنهار ، منها نهر الوادى الكبير الذى يمر بمسافات طويلة داخل بلاد الأندلس ، وتتفرع منه عدة أنهار أخرى ، أهمها نهر شنيل Genil(٣) ، وهو النهر الذى تقع عليه العاصمة غرناطة ،وينبع من جبل سيرانيفادا (٤) ، ويقطع مسافة أربعين كيلومتر غرب

---

(١) الزهرى: كتاب الجغرافية، ص٩٦ ؛ الحميرى: الروض المعطار ، ص ص ٣٤٣-٣٤٤؛ المقري: نفح الطيب ، جـ ١، ص ١٤٨.

(٢) : ابن الخطيب: معيار الاختيار ضمن مشاهدات ، ص ص ٧٤-٧٥؛ أحمد مختار العبادى: دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس، ص ص ٤٠٣-٤٠٤.

(٣) نهر شنيل Genil أو Xenil : يسمى عند الأندلسيين أيضًا بنهر شنجيل ، والاسم مشتق من اسمه اللاتينى Singilis . وبقطع مسافة أربعين ميلاً غربى غرناطة . عنه انظر : الزهرى : كتاب الجغرافية ، ص ٩٦؛ ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ ١، ص ١١٧-١١٨.

(٤) الزهرى : كتاب الجغرافية،ص ٩٨ .

العاصمة غرناطة.[1] ويخترق غرناطة فرع نهر شنيل وهو المسمى بنهر حدرة Derra [2] ، ويلتقي النهران جنوب غرناطة. وتشرف غرناطة من الجنوب الغربي على بسيط أخضر وافر الخصب هو المرج أو فحص غرناطة La Vega [3] الذي يمتد غرباً حتى مدينة لوشة Loja [4].

ومما سبق يتضح أن موقع مملكة غرناطة كان يمتاز بأنه موقع متميز ،حصنته الأنهار والبحار من ناحية. وزاد فى تحصينها الجبال الشاهقة من ناحية أخرى ، وكان ذلك سببًا فى رد الغزاة الطامعين فيها فى كثير من الأحيان ، فالبحار حصنتها إذا ما حاولوا اقتحامها عن طريق البحر ، والجبال والمرتفعات والأرض الوعرة كانت سببًا فى رد هجمات الممالك المسيحية عليها فى كثير من الأحيان أيضًا . وكان ذلك سببًا فى امتداد عمر مملكة غرناطة قرابة قرنين ونصف من الزمان ، و خاصة أن مملكة غرناطة كانت هي البقية الباقية من ملك العرب فى الأندلس بعد أن

---

(١) العمرى: وصف إفريقية والمغرب والأندلس من كتاب المسالك والممالك- تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب، تونس، د.ت،، ص ٣٧.

(٢) نهر حدرة: يشق غرناطة آتياً من الشرق، ويلتقي بنهر شنيل خارج المدينة ثم يمر بالفحص بين البساتين والمزارع إلى أن ينتهي إلى غرناطة، انظر أحمد محمد الطوخي: المرجع السابق، ص٥١.

(٣) المرج أو الفحص: هو البسيط الأخضر الذي تشرف عليه غرناطة من الجنوب الشرقي، ويطلق على هذا الفحص في الأسبانية La vega، وربما تكون مشتقة من كلمة "فحص" العربية أو كلمة البقاع، وهو من أنضر وأبدع بقاع الأندلس الخضراء، انظر ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص٩٩، اللمحة فى الدولة النصرية- تحقيق لجنة التراث العربى، بيروت، ١٩٨٠م ، ص١٣؛ أحمد محمد الطوخي: مرجع سابق، ص٢٩٣.

(٤) عنان: نهاية الأندلس، ص٢٣؛ ولوشة: مدينة تبعد عن غرناطة خمسة وعشرين ميلاً ويزعم أهل الأندلس أن أصحاب الكهف كانوا في أحد كهوفها، انظر الحميري: الروض المعطار، ص٥١٣.

استولى النصارى على معظم مدن الأندلس ، وتمزقت دولهم فلم يبق للمسلمين إلا هذه الرقعة في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة .

الفصل الأول

الحياة السياسية فى الأندلس عصر بنى الأحمر

أولاً: أحوال الأندلس بعد هزيمة الموحدين ٦٠٩هـ /١٢١٢م

ثانيًا : قيام مملكة غرناطة

ثالثًا: عصر القوة والازدهار

رابعًا : عصر الضعف والانحلال

خامسًا: سقوط مملكة غرناطة

الفصل الأول

الحياة السياسية فى الأندلس عصر بنى الأحمر

أولاً: أحوال الأندلس بعد هزيمة الموحدين ٦٠٩هـ /١٢١٢م :

انهزمت الجيوش الموحدية فى بلاد الأندلس أمام جيوش القوى المسيحية فى موقعة تعد من أهم المعارك الحربية فى تاريخ المغرب والأندلس ، وليس أدل على أهمية هذه المعركة فى تاريخ المغرب والأندلس من أنها كانت السبب فى اختفاء قوة الموحدين ببلاد المغرب والأندلس ، وظهور كيانات سياسية جديدة بها .

هذه المعركة هى معركة العقاب Las Navas de Tolosa والتى دارت أحداثها الأليمة فى ١٥ صفر سنة ٦٠٩هـ/ ١٦ يوليو ١٢١٢م[١]. وكان من أهم النتائج المترتبة عليها بصورة مباشرة أن بدأت الدولة الموحدية فى الضعف وبدأت قوتها فى

---

(١) سميت بذلك نسبة إلى قرية العقاب التى تقع بين جيان وقلعة رباح والتى على أرضها دارت المعركة بين الجانبين. وكان السبب هو أن القوات القشتالية قد توغلت فى الأراضى الإسلامية ، وألحقت بمساحات واسعة منها التخريب والدمار . ولما تكرر ذلك نادى الخليفة الموحدى الناصر بالجهاد بعد أن تغلب العدو على العديد من الحصون الإسلامية . وبالفعل هاجمت القوات الموحدية بعض الحصون القشتالية ، فاستصرخ الملك القشتالى ألفونسو الثامنAlfanso VIII العالم المسيحى ، فتكون جيش مسيحى قوى تتزعمه قشتالة بقيادة ملكها ألفونسو الثامن ، والذى ضم أيضاً قوات من أراجون والبرتغال ونافار . أما الجيش الإسلامى فكان بقيادة السلطان الموحدى محمد الناصر، وتلقى المسلمون فيها هزيمة قاسية. نظر: عبد الواحد المراكشى: المعجب فى تلخيص أخبار المغرب – تحقيق محمد زينهم، القاهرة، ١٩٩٤م، ص٢٦٥؛ ابن عذارى: البيان المغرب فى اختصار ملوك الأندلس والمغرب– تحقيق اميروس هويثى ميرانده، محمد بن تاويت، الرباط، ١٩٦٢، جـ٣، ص ص ٣٤٠–٣٤٣؛صبحى عبد المجيد ادريس:عصر الخليفة الناصر الموحدى فى المغرب والاندلس – رسالة دكتوراة ،كلية الاداب جامعة طنطا ،١٩٩٩م ،ص ص ١٥٨–١٦٠.

الزوال شيئًا فشيئًا ، فى بلاد المغرب والأندلس ، وكان ضعف الموحدين أحد مبررات خروج القادة والزعماء الأندلسيين عليهم ، ففى بلاد الأندلس ثار القائد محمد بن يوسف بن هود(1)، وكانت ثورته بمرسية فى عام ٦١٦هـ/١٢١٩م . ولما ازدادت أعداد مؤيديه بايعه أتباعه حاكمًا لمرسية فى عام ٦٢٥هـ/ ١٢٢٨م، ودخلت مدن عديدة تحت طاعته ،فأعلنت مدن إشبيلية وماردة Merida (2) وجيان(3) وبطليوس Badajoz(4) انضمامها لابن هود ، الذى خاض وعلى الرغم من محاولات ابن هود جمع وتوحيد قوة المسلمين فى بلاد الأندلس للدفاع عنها أمام أطماع القوى النصرانية

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن يوسف بن هود الجذامى، أحد أبناء بنى هود ملوك سراقسطة زمن ملوك الطوائف ، لقب بأمير المسلمين، والمتوكل على الله، وسيف الدولة، وهو أول من ثار على الموحدين بالأندلس،وبعد أن تمت مبايعته دعا للخليفة العباسى المستنصر فى بغداد. ويسميه الأسبان ذافادولا Zafadola، دامت دولته بالأندلس عشر سنين (٦٢٥-٦٣٥هـ/ ١٢٢٨-١٢٣٨م). انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، جـ٢، ص ص ١٢٨-١٣٢.

(٢) ماردة Merida: مدينة مشهورة من مدن الأندلس، تقع فى شمال غرب قرطبة، بينها وبين قرطبة مسافة تقدر بستين ميلاً، وبينها وبين بطليوس مسافة عشرين ميلاً. انظر: الحميرى : الروض المعطار، ص ص ٥١٨-٥١٩.

(٣) مدينة جيان Jaen: تنطق بالفتح ثم التشديد وآخره نون، مدينة أندلسية من أقدم المدن بالأندلس، تقع بالقرب من مدينة إلبيرة Elvira ،وتقع شرق قرطبة ،بينها وبين بياسة مسافة تقدر بعشرون ميلاً .معروفة بأرضها الخصبة ،ووفرة المأكولات بها.انظر: ياقوت الحموى معجم البلدان، ج٢ ،ص١٩٥؛ الحميرى :الروض المعطار، ص ص١٨٣-١٨٤.

(٤) مدينة بطليوس Badajoz: يلفظ اسمها بفتحين ،وسكون اللام ،وياء مضمومة ،وسين مهملة ،وهى مدينة تقع على الضفة اليمنى لنهر وادى يانة ، فى إقليم غرب الأندلس ،غربى قرطبة ، ومن مدينة قرطبة إلى بطليوس ست مراحل . وهى مدينة قديمة البناء ، كانت عامرة ثم خلت من سكانها وخربت ثم عمرت مرة أخرى فى عهد المسلمين . انظر: ياقوت الحموى : معجم البلدان – بيروت ، د.ت ، جـ ١، ص ٤٤٧؛ المقرى: نفح الطيب، جـ ٢، ص١٣.

التى كانت تتحين الفرصة لضم أملاك مماكة غرناطة إليها، إلا أن ابن هود لم تكن امكاناته تسمح بالتصدى للهجمة المسيحية الشرسة على الأملاك الإسلامية ، فقد تمكنت مملكة قشتالة فى عام ٦٢٧هـ/ ١٢٢٩م من الاستيلاء على مدينة ماردة ، بعد هزيمة ابن هود(١).

ثم زحفت على مدينة أبذة Ubeda(٢) فى عام ٦٣١هـ/ ١٢٣٢م(٣). إلا أن سقوط مدينة قرطبة عام ٦٣٣هـ/ ١٢٣٦م(٤) ، كانت بداية النهاية لدولة ابن هود ، وفى عام ٦٣٥هـ/١٢٣٨م قصد ابن هود مدينة المرية لإخضاع واليها الثائر عبد الله

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ج٣، ص٢٧٠؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام – تحقيق ليفى بروفنسال، بيروت، ١٩٥٦م ، ق٢، ص٢٨٠؛ الإحاطة، جـ٢، ص١٣٠؛
Rachel Arié: L'Esapagne Musulmane au temps des Nasrides(1232-1492) - Paris, 1973, p.38.

(٢) مدينة أبذه Ubeda: مدينة أندلسية صغيرة على مقربة من النهر الكبير، بينها وبين يابسة سبعة أميال، وتقع ضمن حدود ولاية جيان. انظر: ابن غالب: قطعة من كتاب "فرحة الأنفس" عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة– تحقيق د/ لطفى عبد البديع، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٥٥م، المجلد الأول، ص٢٨٤؛ الحميرى: الروض المعطار، ص١١.

(3) Arie, R.: El Reino Nasri de Granada (1232-1492)-Madrid, 1992, p. 20.

(٤) ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٣، ص٣٢٢؛ محمد عبد الله عنان: عصر المودحين، ص٤٢٤؛
Arie, R.: El Reino Nasri, p. 20.

بن يحى الرميمى[١]، فاستقبله بحفاوة بالغة ،إلا أنه دبر مؤامرة انتهت بمقتل ابن هود ليلاً فى ظروف غامضة[٢].

ثانيًا:قيام مملكة غرناطة :

كما أنه بعد ضعف الموحدين، وإعلان ابن هود ثورته ضدهم، وكثرة غارات النصارى على البلاد الإسلامية، وسقوط المدن فى أيديهم الواحدة تلو الأخرى. ظهرت على مسرح الأحداث الأندلسية شخصية يقول عنها ابن الخطيب أنه "...جندي مناضل وافر العزم...." [٣] ويقول عنه ابن الأحمر أيضاً "...كان زعيماً فى قومه، يقودهم للجهاد، ويتنافس فى إعداد القوة لملاقاة العدو..." [٤]. لذلك التف حوله الكثيرون من الأندلسيين الذين أحسوا خطر تربص الممالك المسيحية ببلادهم ، وعقدوا عليه الآمال فى جمع شمل المسلمين فى الأندلس. وتمت مبايعته فى مسقط رأسه بلدة أرخونة Arjona[٥]التابعة لمدينة قرطبة وذلك يوم الجمعة ٢٦ رمضان سنة ٦٢٩هـ/ ٢٩

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله يحى الرميمي، أصله من بنى أمية أمراء الأندلس، وينسبون إلى رميمة من أعمال قرطبة، استوزره ابن هود ولقب بذى الوزارتين، ثم ولاه على قلعة المرية. انظر ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٣، ص٣٣٥؛ ابن الخطيب: الإحاطة، جـ٢، ص٤١٩ .

(٢) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص ص ٣٧٨-٣٧٩؛ الإحاطة، جـ٢، ص١٣٠؛ محمد أحمد أبو الفضل:شرق الأندلس فى العصر الإسلامى، دراسة فى التاريخ السياسى والحضارى (٥١٥-٦٨٦هـ/١١٢١-١٢٨٧م) – الإسكندرية ،١٩٩٦م، ص ص١٩٠-١٩٨؛
Rachel Arie: El Reino Nasri, pp. 38.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ٢، ص٩٣.

(٤) ابن الأحمر: نثير الجمان فى شعر من نظمني وإياه الزمان- تحقيق محمد رضوان الداية، لبنان، ١٩٧٦م، ص٧٧.

(٥) أرخونة Arjona: يلفظ اسمها بالفتح ثم السكون وجيم مضمومة وواو ساكنة ونون . بلدة أندلسية تقع فى ولاية جيان ،وهى إلى الشمال الغربى من مدينة جيان، على مقربة من نهر الوادى الكبير .وتعود=

أبريل ١٢٣٢م[1]، ودخلت مدن عديدة فى طاعته ،ومنها وادى آش وما يجاورها من حصون وقلاع . كذلك دخلت فى طاعته مدينتى قرطبة، وإشبيلية، ولكن عادتا بعد ذلك إلى طاعة ابن هود. وفى عام٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م، دخلت فى طاعته جيان، ومالقة ، وشريشJerez [2]، والعديد من المدن الأخرى، خاصة وسط الأندلس [3].

وفى تلك الأثناء كان ابن هود قد سيطر على أغلب البلاد الأندلسية، لما تمتع من شهرة وتأييد، حتى أن غرناطة دخلت تحت طاعته. كذلك فشل ابن الأحمر فى الحفاظ على مدينتى قرطبة وإشبيلية تحت طاعته .فرأى ابن الأحمر أن يدخل فى طاعة ابن هود، وجاهر بها فى عام ٦٣١هـ/ ١٢٣٢م. واستمر ذلك الوضع حتى كانت وفاة ابن هود فى عام ٦٣٥هـ/ ١٢٣٥م[4]، وبوفاة ابن هود تهيأت الأوضاع فى بلاد الأندلس لسيطرة ابن الأحمر، وبالفعل ثار أهل غرناطة ضد حاكمهم من قبل ابن هود ،عتبة بن يحي المغيلى وقتلوه،وكان أحد خصوم ابن الأحمر يأمر بسببه على المنابر ، وكان ظلومًا جائرًا . وأعلن الغرناطيون بيعتهم لابن الأحمر، واستدعوه، فدخلها فى

= شهرتها إلى أنها مسقط رأس ابن الأحمر مؤسس مملكة غرناطة . انظر: ياقوت الحموى :معجم البلدان ، جـ ١،ص ١٤٤؛ الحميرى : الروض المعطار، ص ٢٦.

(١) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ٢، ص٩٤؛ القلقشندى: قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان- تحقيق إبراهيم الإبيارى، القاهرة، ١٩٨٢م، ص٩٤.

(٢) شريش Jerez: مدينة عبارة عن مرسى على البحر المتوسط، تشتهر بزراعة الكروم والتين والزيتون والحنطة. انظر: الحميرى: الروض المعطار، ص٣٤٠.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ٢، ص٩٤؛ اللمحة البدرية فى الدولة النصرية – تحقيق لجنة التراث العربى، بيروت، ١٩٨٠م، ص٤٣؛ المقرى: نفح الطيب، جـ١، ص٤٤٧.

(٤) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص ص ٢٨١-٢٨٢؛ الإحاطة، ج٢، ص ص ١٢٩-١٣٢؛ اللمحة البدرية، ص٤٧؛ القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا – القاهرة، د.ت،جـ٥ ، ص٢٦١.

أواخر رمضان سنة ٦٣٥هـ/ أبريل ١٢٣٨م[١]. وأصبحت غرناطة عاصمة لدولته، ومحل إقامته.

وبعد دخول غرناطة واطمئنان ابن الأحمر لاستقرارها تحت طاعته ، بدأ يعمل على ضم المدن والبلاد الأندلسية تحت طاعته لتوسيع دولته ، فاتجه بجيشه إلى مدينة المرية وحاصرها فصالحه واليها عبد الله بن يحى الرميمى على تسليم المدينة ، على شرط أن يسمح له بركوب البحر إلى بلاد المغرب[٢]. ثم اتجه ابن الأحمر لضم مدينة مالقة وساعده أهلها فى ذلك، حيث حاول واليها عبد الله بن ذنون الاستقلال بها بعد وفاة ابن هود، فثار أهل مالقة عليه، وأرسلوا إلى ابن الأحمر، فدخلها فى عام ٦٣٦هـ / ١٢٣٩م[٣].

وبعد تأسيس مملكة غرناطة كان لابد لابن الأحمر من إضفاء الصفة الشرعية عليها،حتى يتجنب فتنة الخروج والثورة عليه وعلى دولته ، فقام فى أول الأمر بالدعوة للموحدين، حيث أعلن طاعته للخليفة الموحدى الرشيد[٤]، وذلك فى عام ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م[٥].وبعد وفاة الخليفة الموحدى الرشيد تولى أخوه على الملقب

---

(١) ابن عذارى: البيان المغرب، ص٣٣٦؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص٢٨٦؛ الإحاطة، جـ٢، ص٩٨؛ اللمحة البدرية، ص٤٧.

(٢) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص٢٨٦؛ الإحاطة: جـ٢، ص٤١٩؛ القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٥، ص٢٦١.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ٢، ص١٢٩؛ القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٥، ص٢٦١؛ المقرى: نفح الطيب، جـ١، ص٤٤٨.

(٤) الرشيد: هو أمير المؤمنين الموحدى أبو محمد عبد الواحد بن ادريس المأمون بن المنصور، تولى الخلافة فى عام ٦٣٠هـ/ ١٢٣١م، وتلقب بالرشيد وتوفى فى عام ٦٤٠هـ/ ١٢٤١م. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، جـ٢، ص٩٧؛ اللمحة البدرية، ص٤٦.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ٢، ص٩٧؛ اللمحة البدرية، ص٤٦.

بالسعيد[١] ، الذى قام على الفور بقطع المساعدات التى كان يرسلها أخوه الرشيد إلى بلاد الأندلس، فقام ابن الأحمر بقطع دعوته للموحدين، وبايع الحفصيين[٢]، وذلك مقابل الحصول على المساعدات المالية، التى سرعان ما أرسلها إليه الأمير أبو زكرياء الحفصى(٦٢٥-٦٤٧هـ /١٢٢٨-١٢٤٩م) لمواصلة الجهاد ضد الممالك المسيحية المجاورة له[٣].

إلا أن القوات المسيحية كانت قد استولت على عدد من المدن الأندلسية المهمة ومنها مدينة مرسية ، التى سقطت فى أيديهم دون قتال فى عام ٦٤١هـ/ ١٣٤٣م[٤]. وفى العام التالى حاصرت القوات القشتالية[٥]

---

(١) السعيد: هو أمير المؤمنين على بن إدريس المأمون بن المنصور، تولى عام ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م، وتوفى فى عام ٦٤٦ هـ/ ١٢٤٨م، ولقبه السعيد. عنه انظر: ابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٢ ، ص ٩٧؛ اللمحة البدرية، ص ٤٦.

(٢) بنى حفص ينسبون إلى الشيخ أبى حفص عمر بن يحيى ، وينتهى نسبهم إلى عمر بن الخطاب، نشأت دولتهم عندما أعلن أبو زكرياء يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص استقلاله عن الموحدين، وكان واليًا على إفريقية (تونس الحالية)، وذلك سنة ٦٢٥ هـ/ ١٢٢٨م، ولقب بأمير المؤمنين ، ويعتبر مؤسس الدولة الحفصية. عن تأسيس الدولة الحفصية انظر: ابن القنفذ: الفارسية فى مبادئ الدولة الحفصية – تحقيق محمد الشاذلى النيفر، عبد المجيد التركى، تونس، ١٩٦٨م، ص١٠٤-١٠٦.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة، حـ٢، ص٩٧؛ اللمحة البدرية، ص٤٦؛ الزركشى: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية – تحقيق محمد ماضور، تونس، ١٩٦٦، ص ص ٢٧-٢٨.

(٤) ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص٤٧؛

Arie, R.: El Reino Nasri, p. 21.

(٥) قشتالةCastilla :أصلها كلمة لاتينية تعنى القلعة، وأطلق العرب على قشتالة كلمة القلاع، وكذلك قشتيلة، وموقعها فى بادئ الأمر خلف جبال البشارات. انظر الحميرى :الروض المعطار ،ص١٦١. وكانت الممالك المسيحية فى شبة الجزيرة الأيبيرية فى القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى، تحت زعامة ملك واحد، هو الملك سانشو الأول Sancho I ، وأطلق العرب عليه شانجه الكبير، ملك=

غرناطة نفسها ،لكنها فشلت فى دخولها بعد أن فرضت حصارًا قويًا حولها (١) ، إلا أنها تمكنت من دخول مدينة جيان فى عام ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م(٢).

ورأى السلطان الغرناطى ابن الأحمر أنه من الأفضل عقد معاهدة مع مملكة قشتالة، ليتجنب كثرة تهديد ملوك قشتالة لعرش مملكة غرناطة ،خاصة وأنها لا زالت مملكة ناشئة ،لم تكن تمتلك القوة التى تمكنها من الوقوف فى وجه مملكة قشتالة بعد، فكانت أول معاهدة تعقد بين مملكة غرناطة ومملكة قشتالة، وذلك فى عام ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م ، حُددت مدتها بعشرين عامًا.ومع ذلك قام الملك فرناندو ملك قشتالة من ضرب الحصار حول مدينة إشبيلية، وتمكن من الاستيلاء عليها فى رمضان ٦٤٦هـ/ نوفمبر ١٢٤٨م، واتخذها عاصمة لقشتالة(٣) .

وكما استفادت مملكة قشتالة بحالة الضعف التى حلت بالمسلمين فى الأندلس بعد هزيمة الموحدين فى موقعة العقاب عملت مملكة أراجون(٤) على تحقيق المكاسب

= نافار Navara ، لكن بعد وفاته فى عام ٤٢٧هـ /١٠٣٥م، انقسمت بين أبنائه، فكانت قشتالة Castilla من نصيب ابنه فرناندو الأول Fernando I. وبدأت منذ تلك الوهلة فى الظهور والعلو على حساب المسلمين، حتى كانت فاجعة سقوط طليطلة Toledo فى عام ٤٧٨هـ/١٠٨٥م، وأصبحت عاصمة الإقليم. انظر :يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين- ترجمة محمد عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٤٠م، ص ص١٠-١١.

(١) محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس، ص٦٧؛
Arié, R.: L'Espagne Musulmane ,p.59 .

(٢) المقرى: نفح الطيب، ج٦، ص٢٢٣؛
Arie, R.: El Reino Nasri, p. 21.

(٣) ابن عذارى: البيان المغرب، جـ٣، ص ص ٣٦٧، ٣٨٥؛ ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص٤٧-٤٨.

(٤) انقسمت مملكة نافار بعد وفاة الملك سانشو الأول Sancho عام ٤٢٧ه / ١٠٣٥م، تلك اللحظة عن مملكة قشتالة. وكانت مملكة أراجون وقتها تتكون من الأراضى المستردة من المسلمن جنوب جبال=

أيضًا. فتمكن الملك الأراجونى خايم الأول Jaime I[1] (٦١٠-٦٧٥هـ/ ١٢١٣-١٢٧٦م) من الاستيلاء على جزر البليار Baleares [2].

= البرانس أوالبرينية Prenean، الفاصلة بين بلاد الأندلس وبين بلاد الفرنجة الكبرى ، ثم بعد ذلك ضمت بعض الأقاليم المجاورة. وفى عهد الملك ألفونسو الأول Flfonso I (٤٩٨-٥٢٨ه /١١٠٤-١١٣٤م) تم ضم سرقسطة Zaragoza إلى مملكة أراجون. ثم كان الاتحاد بين أراجون إمارة قطلونية أو كتالونية Catalonia وهى (برشلونة حاليا) وذلك فى عام ٥١٢ه /١١١٨م، بزواج الملكة بترونيلا Petronilla ملكة أراجونمن أمير كتالونيا. انظر: نادية مرسى صالح : العلاقات المسيحية الإسلامية فى أسبانيا عهد الملك ألفونسو الأول المحارب- القاهرة، ٢٠٠٠،ص ص٨٠-٨١.

(١) يرتبط تاريخ مملكة أراجون فى القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى، باسم الملك خايم الأول Jaime I (٦١٠-٦٧٥هـ/ ١٢١٣-١٢٧٦م) ، الذى يعتبر من أعظم الملوك الذين تولوا عرش أراجون، ولأنه تولي وعمره سبع سنوات، زادت أطماع الأمراء الراغبين فى الوصول للحكم، وكذلك رغبة النبلاء فى الحصول على المزيد من الامتيازات. وشن الملك وقادته الحرب ضد الثوار، والتى استمرت حتى عام ٦٢٥هـ/ ١٢٢٧م، وانتهت بانتصار الملك على معارضيه. ثم بدأ فى العمل النهوض بمملكته داخليًا وخارجيًا، حتى جعل أراجون من أعظم الممالك الأوربية.انظر Arie, R.: El Reino Nasri, p. 25

(٢) جزر البليار Las Isles Baleares: يطلق اسم جزر البليار حالياً على مجموعة من الجزر غرب البحر المتوسط وهى مجموعة من الجزر القديمة أطلق عليها اليونانيون ومن بعدهم الرومان اسم بليارس Baliares وهو مشتق من كلمة بالين Ballein اليونانية التى تعنى ألقى أو رمى وذلك لبراعة سكانها القدماء فى رمى الحجارة بالمقلاع. وفى عصر الحكم الاسلامى للأندلس أطلق العرب المسلمون على هذه الجزر اسم الجزائر الشرقية وجزائر شرق الأندلس نظراً لوقوعها على الساحل الشرقى للأندلس . وهى تضم ثلاثة جزر كبرى هى جزيرة ميورقة Majorque وعاصمتها مدينة ميورقة، وتقع فى الجهة القبلية من الجزيرة، وجزيرة منورقة Minorque، وهى مستطيلة الشكل قليلة العرض. ثم جزيرة يابسة Iviza، وهى تلى ميورقة، وتقع فى غربها. انظر: الحميرى: الروض المعطار ، ص ص ١٨٥-١٨٨؛عصام سالم سيسالم: جزر الأندلس المنسية – بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٤م،ص ص ١٥-١٨.

كما تمكن الملك الأراجونى من الاستيلاء على مدينة بلنسية Valencia[١]، بعد حصارها الذى استمـــر لعدة أشهر[٢] ، وذلك فى صفر عام ٦٣٦هـ/ سبتمبر ١٢٣٨م[٣]

وبعد وفاة ابن الأحمر مؤسس مملكة غرناطة، تولى ابنه محمد الثانى الفقيه[٤] (٦٧١ – ٧٠٢ هـ/ ١٢٧٢ – ١٣٠٢م)، الذى أوصاه والده بضرورة طلب النجدة والعون من بنى مرين ببلاد المغرب، حتى يتمكن من مواجهة الخطر المسيحى [٥]. واستجاب السلطان المرينى أبو يوسف يعقوب[٦]، وعبر بقواته إلى بلاد الأندلس للمرة

---

(١) بلنسية Valencia: مدينة على ساحل البحر المتوسط ، وعلى بعد أربعة كيلو مترات منه ،تقع فى شرق الأندلس، شرقى قرطبة من المدن الهامة. سقطت فى أيدى الأراجونيين ٦٣٦هـ/١٢٣٨م.وكانت من أهم موانئهم البحرية. انظر: الزهرى: كتاب الجغرافية، ص١٠٢؛ الحميرى : الروض المعطار، ص ص ٩٧-١٠١.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة، ج١، ص١٧٥؛ اللمحة البدرية، ص٤٧.

(3) Angus Mackay: La Espana. de La Edad Media ,desde la frontera hasta el Imprerio - 1000-1500- Madrid, 19770, p. 72.

(٤) هو أمير المسلمين محمد بن يوسف بن نصر، ولد فى عام ٦٣٣ هـ/ ١٢٣٦م فى غرناطة، كان يباشر الدولة فى أيام والده مباشرة الوزير، فاطلع على أحوالها، وأثر ذلك فى أنه نهج سياسة والده، ولقب بالفقيه، وذلك لطلبه العلم، واشتغاله به فى صباه، كذلك كان يقرأ القرآن بين أهله، ويطالع كتب العلم، وكان شجاع، وافر العزم .تسلم الملك وهو فى الثامنة والثلاثين من عمره .سار عاى نهج والده فى مصانعة الأقوياء ومداراة الأعداء ، واستطاع الوقوف فى وجه الفتن بفضل ما بذل من ضروب الاحتيال والدهاء والصبر والحزم عنه انظر: الإحاطة، جـ٢، ص ص ٥٥٤-٥٦٤؛ اللمحة البدرية، ص ص٥٠-٥٨؛ ابن خلدون : العبر، جـ٧ ، ص ص ١٩١-١٩٢.

(٥) ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص٥٧؛ ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص١٩١.

(٦) السلطان المرينى أبو يوسف يعقوب بن الأمير بن عبد الحق المرينى، بويع فى عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٩م، وتوفى فى الجزيرة الخضراء عام ٦٨٥هـ/ ١٢٨٥. انظر: ابن الأحمر: النفحة النسرينية واللمحة المرينية- تحقيق عدنان محمد آل طعمة، دمشق، ١٩٩٢م، ص٣٦.

الأولى فى عام ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م،ثم تكرر العبور بعد ذلك عدة مرات لنجدة بلاد الأندلس[١].

وفى شوال سنة ٦٩١هـ/ يونيه ١٢٩١م تمكن الملك القشتالى سانشو الرابع من الاستيلاء على طريف ذات الموقع المتميز بالنسبة للمسلمين فى الأندلس عن طريق الخديعة وتمكن من دخولها دون حرب [٢].

كما سعى السلطان محمد الثانى الفقيه لعقد الصلح مع مملكة أراجون، والذى كان أساساً فى توجيه العلاقة بين المملكتين بعد ذلك، وبدأت تأخذ العلاقات بينهما طابع المهادنة والسلام، ووقعت هذه المعاهدة فى عام ٦٩٥هـ/ ١٢٩٥م.

وتوفى السلطان محمد الثانى الفقيه فى شعبان سنة ٧٠١هـ/ أبريل ١٣٠٢م بعد ملك دام تسعًا وعشرين سنة . استقرت الأحوال الداخلية فى مملكة غرناطة خلال تلك الفترة ، وعمل السلطان على توفير العيش الكريم للناس ،وشجع العلماء والأدباء والأطباء[٣].

---

(١) ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر – تحقيق خليل شحاتة ، بيروت، ٢٠٠٠م ، جـ٧، ص١٩٢.

(٢) لجأ الملك القشتالى إلى الحيلة والخديعة لتنفيذ خطة يستولى بها على مدبنة طريف ، فعمل على إيغار صدر الفقيه من أبى يعقوب يوسف المرينى ويحذره من رغبته فى ضم بلاد الأندلس تحت سلطانهم، وأنهم سوف يقضوا على دولة بنى الأحمر. وكانت النتيجة هو أن عقد اتفاقاً بين محمد الثانى الفقيه وبين سانشو الرابع، على أن يقوما معاً بالاستيلاء على طريف ثم يقوم الملك سانشو الرابع بتسليمها له بعد ذلك ، انظر: ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص ٢١٦.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص ٥٦٦؛ ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص ٢٢٨.

وبعد وفاة السلطان الفقيه تولى السلطان محمد الثالث[١] (٧٠١-٧٠٨هـ/ ١٣٠٢- ١٣٠٩م الملقب بالمخلوع[٢] ، وكان قد باشر شئون الحكم فى حياة والده وتمرس عليها ، بدأ عهده بعلاقة الحب والود مع بنى مرين . وواصل الجهاد ضد الممالك المسيحية ، واحتل عدد من الحصون المجاورة لحدود دولته[٣].

ولم يهنأ السلطان محمد الثالث بملكه كثيرًا ، حيث أصيب بمرض فى عينيه ،فأدرك رجال الدولة عدم مقدرته على إدارتها ،وفى عام ٧٠٨هـ/ ١٣٠٩م دبر الأمير أبو الجيوش نصر[٤] شقيق السلطان محمد الثالث انقلابًا ، عاونه فيه كبار رجال الدولة، وتمكنوا من دخول الحمراء، واعتقلوا السلطان محمد الثالث، وأرغموه على التنازل عن العرش، ليتولى أخوه أبو الجيوش نصر (٧٠٨-٧١٣هـ/ ١٣٠٩-١٣١٤م) [٥].

---

(١) هو السلطان محمد بن محمد بن محمد بن نصر ، وهو ابن السلطان محمد الثانى . كان ضعيف البصر، لمواصلة السهر، ومباشرة أنوار ضخام الشمع، باشر السياسة فى حياة والده، وكان شاعراً، يقرض الشعر، ويصغى إليه. تولى فى يوم وفاة والده يوم الأحد الثامن من شعبان سنة ٧٠١هـ/ الثامن من أبريل ١٣٠٢م، وتوفى فى آخر شهر شوال سنة ٧١٣هـ/ مايو ١٣١٣م. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص ص ٥٤٣-٥٤٤؛ اللمحة البدرية، ص ٦١؛ ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص ٢٢٨.

(٢) يوسف شكرى فرحات: غرناطة فى ظل بنى الأحمر – بيروت ١٩٨٢م ،، ص٣٧.

(٣) ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص ص٢١٩-٢٢١.

(٤) هو نصر بن محمد بن محمد بن يوسف بن نصر، ، مدبر الانقلاب الذى أطاح بشقيقه محمد الثالث وهو شقيقه، وكان ذلك يوم عيد الفطر عام٧٠٨هـ/ ١٣٠٩م. وكان عمره وقتها ثلاثاً وعشرين سنة. ولد فى عام ٦٨٥هـ/ ١٢٨٥م، وتوفى فى عام ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م . انظر: ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص٢٩٤؛ الإحاطة، جـ١، ص ٣٨٤.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص ص ٥٥٢-٥٥٣.

وفى نفس العام تم عقد اتفاق بين مملكتى قشتالة وأراجون، تقوم بموجبه القوات القشتالية بمهاجمة الجزيرة الخضراء. وتقوم القوات الأراجونية بالهجوم على المرية ، على أن تتقابل القوتان فى غرناطة بعد ذلك(١).

وعلى الرغم من أن هذه الحملة باءت بالفشل فقد انتهت باتفاق السلطان الغرناطى مع ملك قشتالة، برفع الحصار عن الجزيرة الخضراء مقابل مبلغ من المال، إلا أن القوات القشتالية اتجهت لفرض الحصار على جبل طارق ، فاضطر المسلمون المحاصرون للتسليم ، وذلك فى ذى القعدة سنة٧٠٩هـ/ مارس ١٣١٠م(٢).

وأمام ذلك رأى السلطان الغرناطى ضرورة عقد الصلح مع ملك قشتالة، وذلك فى عام ٧١٣هـ/ ١٣١٣م. وكانت سبباً فى سخط الشعب الغرناطى على سلطانه، وعمل على إزكاء روح الثورة فى غرناطة. ونشبت الفتنة الداخلية بأن ادعى ابن عم السلطان ويدعى إسماعيل الملك لنفسه فى مدينة مالقة ، وقصد غرناطة بجيش قوى ، وتمكن من دخولها ، وسيطر على أحيائها ، ولم يبق سوى الحمراء التى دخلها فى ٢١ شوال سنة ٧١٣هـ/ ٨ فبراير ١٣١٤م. وتولى السلطان أبى الوليد إسماعيل(٣) (٧١٣-٧٢٥هـ/ ١٣١٤-١٣٢٥م) عرش غرناطة، ونفى السلطان أبو الجيوش نصر

---

(١) أحمد مختار العبادى: تاريخ المغرب والأندلس، ص ٤٠٨؛

Rachel Arie: El Reino Nasri, pp. 33-34.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ٣، ص ٣٣٩؛ اللمحة البدرية، ص ٧٥؛ ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص ٣٣١.

(٣) السلطان إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر يكنى أبا الوليد، تولى فى شهر شوال سنة٧١٣هـ/ فبراير ١٣١٤م، توفى فى رجب سنة ٧٢٥هـ/ يوليو ١٣٢٥م. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص ص ٣٧٧-٣٨٠؛ اللمحة البدرية، ص ٧٨.

إلى وادى آشى ، ليتولى حكمها من قبل السلطان أبى الوليد إسماعيل، إلى أن توفى فى عام ٧٢٢هـ/ ١٣٢٢م(١).

وساد الاستقرار عصر السلطان الغرناطى أبى الوليد إسماعيل ،فقد نشر العدل فى رعيته ، واجتهد فى الدفاع عن مملكته ،ففى عام ٧١٦هـ/١٣١٦م ، تصدت القوات الغرناطية للقوات القشتالية التى زحفت على مملكة غرناطة ، وكانت المعركة الفاصلة بين الفريقين عند وادى آش(٢) كما حققت القوات الغرناطية فى عهده انتصار كبير على القوات القشتالية فى عام ٧١٩هـ/١٣١٩م (٣)، إلا أنه بعد عودته من إحدى حملاته فى بلاد قشتالة فى شهر رجب سنة ٧٢٥هـ/ يونيه ١٣٢٥م، تم اغتياله على يد ابن عمه الأمير محمد بن إسماعيل، المعروف بصاحب الجزيرة(٤).

وخلف السلطان محمد بن إسماعيل(٥) (٧٢٥-٧٣٣هـ/ ١٣٢٥-١٣٣٣م) والده فى الحكم والذى فى أواخر عهده وتحديدًا فى عام ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م اتفق الجانبان

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص ٣٨٧؛ اللمحة البدرية، ص ٧٦.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص ص ٣٨٨-٣٨٩.

(٣) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص ٢٩٥؛ الإحاطة، جـ١، ص ٣٨٩ ؛
Rachel Arie: El Reino Nasri, pp.40

(٤) الأمير محمد بن إسماعيل هو ابن عم السلطان أبى الوليد إسماعيل ويعرف بصاحب الجزيرة، ويذكر ابن الخطيب أن الخلاف كان بسبب أمر تقرعه عليه ، وبالغ فى الإهمال فيه، مما أغضب السلطان، وتوعده بما أثار حفيظته، فهجم عليه وهو جالس فى مجلسه يوم ٢٦ رجب سنة ٧٢٥ هـ/ ٦ يوليو ١٣٢٥م، وطعنه ثلاث طعنات بخنجره . انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص٣٩٢؛ اللمحة البدرية، ص ٨٧ .

(١) هو محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر، كنيته أبو عبد الله. ولد فى عام ٧١٥هـ/ ١٣١٥م، وتولى فى عام ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م، وتوفى فى عام

المرينى والغرناطى على ضرورة استعادة جبل طارق من أيدى القشتاليين ، لما له من أهمية قصوى فى الاتصال بين العدوتين المغربية والأندلسية ، فقد لعب مضيق جبل طارق دور مهم فى العلاقات المغربية الأندلسية فى تلك الفترة المهمة من تاريخ المسلمين فى الأندلس ، فدوره وموقعه الحيوى يجعل الاتصال بين العدوتين من الصعوبة إتمامه [1].

وبعد حصار استمر ستة أشهر ، شدد المسلمون قبضتهم على النصارى المحاصرين فى الجبل ، وانهزمت الحامية القشتالية التى كانت مكلفة بحماية جبل طارق من أى هجوم يقوم المسلمون بشنه على الجبل ، وفى النهاية نجح المسلمون فى اقتحام الجبل عنوة ودخول القوات الإسلامية للجبل فى ذى الحجة سنة ٧٣٣هـ/ أغسطس ١٣٣٣م[2] ، وكان الملك القشتالى ألفونسوا الحادى عشر ملك قشتالة عندما وصله خبر حصار القوات الإسلامية جبل طارق ، قام بإعداد حملة عسكرية من القوات القشتالية للعمل على التحرك إلى جبل طارق لنجدته ورفع الحصار الإسلامى عنه ، مما يدل على أهميته بالنسبة لمملكة قشتالة . وعندما وصل الجيش القشتالى كان المسلمون قد اقتحموا الجبل ، فدارت المفاوضات بين السلطان الغرناطى محمد الرابع والملك القشتالى ألفونسوا الحادى عشر ، وكان أن ذهب السلطان الغرناطى بنفسه للقاء الملك القشتالى فى خيمته فى المعسكر القشتالى ، وأسفرت المفاوضات بين

٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص ص ٣٧٧-٣٩٧؛ اللمحة البدرية، ص ص٧٨-٩٠.

(٢) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص ص٢٩٧-٢٩٨؛ الإحاطة، جـ١، ص ٥٣٧.

(٣) ابن مرزوق: المسند الصحيح الحسن فى مآثر ومحاسن مولانا أبو الحسن- تحقيق ماريا خوسيوس بيغبرا، الجزائر ،١٩٨١م، ص ٣٨٩؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص ص٢٩٧-٢٩٨؛ الإحاطة، جـ١، ص ٥٣٧.

الجانبين عن أن الملك القشتالى فضل العودة بقواته إلى مملكته فى ١٢ ذى الحجة سنة ٧٣٣هـ/ ٢٤ أغسطس ١٣٣٣م[١] .

وأثناء عودة السلطان إلى غرناطة، هاجمته مجموعة من الجنود. وكان يركب بغلاً أهداه إياه الملك ألفونسو الحادى عشر، وعاتبوه عتاباً شديداً على ما قام به، وبدأو بوكيله رضوان وهو من أصل نصرانى، متهمين إياه أنه المدبر لما حدث، فقتلوه، ثم وثبوا على السلطان محمد بن إسماعيل فقتلوه، وكان ذلك فى ١٣ ذى الحجة سنة ٧٣٣هـ/ ٢٥ أغسطس ١٣٣٣م[٢].

ثالثًا:عصر القوة والازدهار :

تولى السلطان أبو الحجاج يوسف الأول[٣](٧٣٣-٧٥٥هـ/١٣٣٣-١٣٥٤م)عرش مملكة غرناطة بعد مقتل أخيه محمد بن إسماعيل، وبويع بظاهر الجزيرة الخضراء يوم وفاة أخيه[٤] ولقب الغالب بالله، ويكنى أبا الحجاج[٥]. وعنه

---

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص ٢٩٨ ؛ الإحاطة، جـ١، ص ٥٣٧؛ اللمحة البدرية، ص ٩٤؛ ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص ٢٥٦.

(٢) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص ص ٢٩٧-٢٩٩؛ الإحاطة، جـ١، ص ص ٥٤٠-٥٤١ ؛ اللمحة البدرية، ص ص٩٦-٩٧؛ ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص ص ٢٦٣-٢٦٤.

(٣) يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر ، تولى بعد وفاة شقيقه محمد بن إسماعيل،. توفى فى عام ٧٥٥هـ/١٣٥٤م، مقتولاً على يد رجل مخبول، يوم عيد الفطر. ومن صفاته الشخصية أنه كان دائماً يرجح العقل. انظر:ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص ص٣٠٤-٣٠٦؛ الإحاطة، جـ٤، ص ص ٣١٨-٣٢٠؛ محمد كمال شبانة: يوسف الأول سلطان غرناطة – القاهرة، ١٩٦٩م، ص ص ٣٠-٥٠.

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص ٣٠٤؛ اللمحة البدرية، ص ١٠٢.

(٢) ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص١٠٢.

يقول ابن الخطيب:" ...هو بدر الملوك وزين الأمراء ... عذب الكلام وافر العقل ، كثير الهيبة ...مستميلاً لمعاصريه من الملوك ..." [١].

استقرت الأحوال الداخلية فى عهده ، لذلك يعد عصره أزهى عصور مملكة غرناطة حيث قام الوزير الحاجب أبو النعيم رضوان [٢].وزير أخيه محمد بتدبير الأمور فى عهده، فقام بإنشاء أشهر مدرسة فى تاريخ غرناطة وعرفت بالمدرسة اليوسيفية والنصرية ومدرسة غرناطة، وذلك فى عام ٧٥٠هـ/١٣٤٩م[٣].

أما على الصعيد الخارجى فقد تم عقد معاهدة صلح ضمت مملكة غرناطة ومملكتى قشتالة وأراجون ومملكة بنى مرين وذلك فى ٢٠ جمادى الثانية سنة ٧٣٤هـ/٢٦ فبراير ١٣٣٤م، على أن تكون مدتها أربع سنوات، يسود فيها السلام بين الممالك الثلاث، تبدأ من ٢٣ جمادى الثانية سنة ٧٣٤هـ/ أول مارس ١٣٣٤م[٤].

لكن تلقت القوات الإسلامية ،المغربية والغرناطية ،هزيمة قوية فى موقعة طريف فى السابع من جمادى الأولى سنة ٧٤١هـ/ الموافق ٣٠ أكتوبر سنة

---

(٣) نفس المصدر والصفحة.

(٤) الحاجب أبو النعيم رضوان بن عبد الله بنيغاش، كانت عائلته من قشتالة، وعائلة أمه من برشلونة، وهو من أصل نصرانى ، وعندما كان رضوان شاب قتل رجل وهرب حيث أسره المسلمون فى أحد الحروب وبيع إلى السلطان أبى الوليد إسماعيل. و تولى الوزراة فى عصر السلطان أبى الوليد إسماعيل ومن بعده ابنه السلطان محمد بن إسماعيل ويوسف الأول أبو الحجاج ومحمد الخامس . عنه انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١، ص ص ٥٠٦-٥٠٣.

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ١، ص ص ٥٠٨-٥٠٩.

(6) M. A. Alarcón y R. Garcia de Linares: Los Documentos Árabes Diplomáticos Del Archivo de la Corona de Aragón- Madrid y Granada, 1940, pp. 61-62.

١٣٤٠م[١].وكانت هذه الهزيمة حسب وصف المؤرخ ابن خلدون مأساة لم تمر بمسلمى الأندلس والمغرب منذ موقعة العقاب سنة ٦٠٩هـ/١٢١٢م، وكان لها واقع أليم فى نفوس المسلمين[٢]. كما يذكرها المؤرخ ابن الخطيب الذى فقد فيها والده وأخيه بقوله:" .....ومحص المسلمون بوقيعة هائلة، أتت على النفوس والأموال، والكراع، هلك فيها بمضرب الملك جملة من العقايل الكرام، فعظمت الأحدوثة، وجلت المصيبة...."[٣]

وتبعت الهزيمة سالفة الذكر فترة ساد فيها السلام بين مملكة غرناطة والممالك المسيحية المجاورة لها مكنت السلطان يوسف الأول من تنظيم المملكة داخلياً ، فكانت سنواته الأخيرة مليئة بالخير والصلاح [٤].

---

(١) عبر السلطان المرينى أبو الحسن على إلى الأندلس فى شهر صفر ٧٤١هـ/ أغسطس ١٣٤١م ، للتعاون مع السلطان أبى الحجاج يوسف الأول لاسترداد مدينة طريف من القشتاليين ، وتكون كذلك جيش من مملكة غرناطة تحت قيادة السلطان أبو الحجاج يوسف الأول . وضرب المسلمون الحصار حول المدينة . وعلى الرغم من تشديد المسلمين الحصار البرى والبحرى حول طريف، إلا أنهم فشلوا فى اقتحامها. فعندما وصلت أخبار حصار طريف إلى الملك القشتالى ألفونسو الحادى عشر أسرع لنجدتها بجيش قوامه مائة ألف جندى . وفى يوم الاثنين السابع من جمادى الأولى سنة ٧٤١هـ/ الموافق ٣٠أكتوبر ١٣٤٠م، دارت معركة قوية بين الجانب الإسلامى مغربى وأندلسى من ناحية والجانب المسيحية من قوات من جنسيات عديدة من ناحية أخرى ، وانتهت المعركة بهزيمة القوات الإسلامية ،ووقعت أعداد كبيرة منهم فى الأسر، وقتل منهم عدد كبير. انظر : ابن الخطيب: الإحاطة، جـ٤، ص٣٢٢؛ اللمحة البدرية، ص١٠٦؛ ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص ص٣٤٦-٣٤٧ .

(٢) ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص٣٤٧.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ٤، ص٣٢٢.

(١) يوسف شكرى فرحات: غرناطة فى ظل بنى الأحمر ، ص ٣٦.

وتوفى السلطان أبو الحجاج يوسف الأول مقتولاً وهو يصلى صلاة عيد الفطر بالجامع الأعظم فى غرناطة، وكان فى ركعته الأخيرة، فطعنه مخبولٌ بخنجر كان قد أعده لذلك ،وذلك فى يوم عيد الفطر، الأول من شوال سنة ٧٥٥هـ/ الموافق ١٩ أكتوبر ١٣٥٤م، وحزن المسلمون لذلك حزناً شديداً فى الأندلس والمغرب(١).

وخلف السلطان محمد الخامس(٢) والده أبا الحجاج يوسف الأول فى حكم غرناطة، بعد وفاته فى عام ٧٥٥هـ/١٣٥٤م، وكان عمره عند توليته ستة عشر عاماً(٣)، ولقب بعد ذلك بالغنى بالله(٤)،يقول عنه ابن الخطيب أنه:".... كان حسن الصورة ، عفيف اللسان ، ظاهر الشفقة ، بعيدًا عن القسوة ، مائلاً إلى الخير ، فأنست إليه العامة والخاصة..." (٥)

---

(٢) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص ٣٠٦؛ اللمحة البدرية، ص ١١٠؛ ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص٣٠٦.

(٣) محمد بن السلطان أبى الحجاج يوسف الأول بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر. ولد فى ٢٢ جمادى الآخر سنة ٧٣٩ هـ / ٢١ يناير ١٣٣٨م ٠ وتولى فى عام ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م بعد وفاة والده، وظل فى الحكم حتى كانت وفاته فى عام ٧٩٣ هـ / ١٣٩١م ٠ انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، جـ٢، ص ١٣؛ اللمحة البدرية ، ص ١١٣.

(٤) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٣٠٦ ؛ الإحاطة ، جـ٢ ، ص ١٤ ؛ اللمحة البدرية ، ص ١١٣ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ ٧ ، ص ٣٣٤ .

(٥) ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ورحلته غرباً وشرقاً– تحقيق محمد بن ثاويت الطنجى، القاهرة، ٢٠٠٣ ، ص١٢٠ .

(١) ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ٢ ، ص ١٥ .

وبعد خمسة أعوام من توليته العرش تمكن الأمير أبو عبد الله محمد الملقب بالرئيس [١]، من القيام بانقلاب انتهى بخلع محمد الخامس وتولية شقيقه السلطان إسماعيل[٢] ، وذلك فى ٢٨ رمضان سنة ٧٦٠ هـ / ٢١ أغسطس ١٣٥٩م[٣].

وكان القدر قد ساعد السلطان الغرناطى محمد الخامس فى النجاة بحياته ، لأنه لم يكن فى قصر الحمراء ليلة الانقلاب . وعندما علم بما حدث فر إلى وادى آش ، ثم رحل إلى بلاد المغرب،فاستقبله السلطان المرينى أبو سالم [٤] (٧٦٠-٧٦٢ هـ /١٣٥٨-١٣٦٠م) بحفاوة بالغة ، ونزل مدينة سبتة[٥]،

---

(٢) هو الأمير أبو عبد الله محمد بن أبى سعيد من أمراء بنى نصر . صهر الأمير إسماعيل بن أبى الحجاج شقيق السلطان محمد الخامس . وهو الذى تزعم انقلاب غرناطة سنة ٧٦٠هـ / ١٣٥٩م . انظر: ابن الخطيب : اللمحة البدرية ، جـ ١٢٠ .

(٣) هو إسماعيل بن السلطان أبى الحجاج يوسف بن السلطان إسماعيل بن فرج . تولى عرش غرناطة فى عام ٧٦٠ هـ / ١٣٥٩م، واستمر حكمه لمدة عام واحد فقط .انظر : ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق٢، ص ٣٠٧ ؛ اللمحة البدرية ، ص ١٢٦ .

(٤) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص٣٠٧ ؛ الإحاطة ، جـ ٢ ، ص ص ٢٦ – ٢٨ ؛ أحمد مختار العبادى : فترة مضطربة فى تاريخ غرناطة ـ صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد السابع ، ١٩٥٩، ص ٥٤ .

(٥) هو إبراهيم بن علي بن عثمان بن يعقوب المريني،وهو ابن أمير المسلمين أبى الحسن على ، كنيته أبو سالم ويلقب بالمستعين بالله .ولد سنة ٧٣٥ هـ / ١٣٣٤م من أم رومية تسمى قمر .كان أخوه أبو عنان قد بعثه إلى الأندلس، فاستقر بها إلى أن مات أبو عنان ، وبويع لابنه الطفل أبي بكر السعيد بالله، فركب أبو سالم البحر إلى ساحل المغرب ، ودعا أهل المغرب لمبايعته فبايعوه . انظر: ابن الخطيب: = = الإحاطة ، جـ ٢ ، ص ص ٢١ – ٢٢ ؛ اللمحة البدرية ، ص ص ١١٧ – ١١٨ ؛ ابن الأحمر: النفحة النسرينية ، ص ٥٦ .

(١) سبتة: بفتح السين وسكون الباء، مدينة ساحلية من مدن المغرب الأقصى. مشهورة بماضيها العريق فى الثقافة الإسلامية.وهى عبارة عن شبه جزيرة فى مضيق جبل طارق، تحيط بها الجبال من ناحية

وصاحبه الوزير لسان الدين بن الخطيب[١] أما السلطان إسماعيل الثانى فلم يحسن سياسة الرعية لانغماسه فى الملذات وتقريب أهل الترف منه[٢] ، و لم يدم حكمه سوى عام واحد فقط، واستضعفه صهره الأمير أبو عبد الله محمد مدبر الانقلاب الأول،وقام بانقلاب آخر أطاح بالسلطان إسماعيل الثانى، وتولى هو حكم غرناطة ، ولقب بالغالب بالله ، وذلك فى شعبان سنة ٧٦١هـ / يونيو ١٣٦٠م، [٣].وتسميه المصادر والمراجع الأوربية أبا سعيد البرميخو El-Bermejo، ومعناه اللون البرتقالى الضارب للحمرة ، وذلك نسبة إلى لون لحيته وشعره[٤] .

وفى ٢٠ جمادى الآخرة سنة ٧٦٣ هـ / ١٦ مارس ١٣٦٢ تمكن السلطان محمد الخامس من الجلوس مرة أخرى على عرش غرناطة بمساعدة مملكة قشتالة ، وفر محمد السادس إلى إشبيلية، فقتله الملك بدرو الأول Pedro I (٧٥١-٧٧٠هـ/

الجنوب. انظر: ياقوت الحموى: معجم البلدان ،جـ٥، ص ٢٦؛ ابن الخطيب:معيار الاختيار ، ص ص ١٠١-١٠٢؛ الحميرى : الروض المعطار ، ص ص ٥٠٣-٥٠٤.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ ٢ ، ص ص ٢٦ – ٢٩ ؛ اللمحة البدرية، ص ص ١٢٠ – ١٢١؛ ابن خلدون : العبر ، جـ ٤ ، ص ص ٢٢٣-٢٢٤ ، جـ ٧، ص ص ٤٠٥-٤٠٦.

Ahmad Mujtar Al-Abbadi : El-Reino de Granada en la Ėpóca de Muhamad V- Madrid, 1973, pp. 28-32.

(٣) ابن الخطيب:اللمحة البدرية، ص ١٢١.

(٤) شن الأمير أبو عبد الله محمد مدبر الانقلاب هجوماً على السلطان إسماعيل وهو فى قصره، وفى حضور حاشيته، وذلك ليلة السابع والعشرين من شعبان سنة ٧٦١ هـ / ١٢ يوليو ١٣٦٠م، وحاصر أبو عبد الله محمد قصر السلطان إسماعيل ، فلجأ إلى أحد الأبراج العالية، والمطل على البلد ، فاستجار بالناس ، وتجمعت أعداد غفيرة لنصرته ، لكن لم يمنعه ذلك من القبض عليه، وقتله أمام الناس، ومعه أحد إخوته . انظر : ابن الخطيب : أعمال الأعمال ، ق ٢ ، ص ٣٠٧؛ اللمحة البدرية ، ص ص ١٢٨ – ١٢٩ .

(4) Arie, R.: El-Reino Nasri, p. 45.

١٣٥٠-١٣٦٩م) [١] هو وسبعة وثلاثون من مرافقيه، وذلك فى رجب سنة ٧٦٣هـ / أبريل ١٣٦٢ [٢] ٠ وأرسل برأسه للسلطان محمد الخامس [٣].وقد استقرت المملكة داخليًا فى عهد السلطان الغرناطى محمد الخامس ، ونعمت مملكته بالغنى والراحة والازدهار والسلام [٤].

وبعد استقرار أمور المملكة فى الداخل ، تمكن السلطان محمد الخامس فى سنة ٧٧٠ هـ / ١٣٦٩م من استرداد الجزيرة الخضراء ، بعد أن ضرب المسلمون الحصار حول المدينة براً وبحرًا، وكان حصارًا شديدًا ،[٥] انتهى بموافقة أهالى الجزيرة على التسليم مقابل منحهم الأمان،وذلك فى يوم ٢٣ ذى الحجة سنة ٧٧٠ هـ / ٢٩ يوليو ١٣٦٩[٦].

وبعد حكم استمر خمسة وثلاثين عاماً، توفى السلطان محمد الخامس فى ١٠ صفر سنة ٧٩٣ هـ / ١٦ يناير ١٣٩١م[٧].

---

(١)بيدرو الأول : يسمى أيضا بطرس الأول تولى الحكم سنة ١٣٥٠م بعد والده الفونسو الحادى عشر سمى بالقاسى لقسوته فى التعامل مع النبلاء فنكبهم سنة ١٣٥٠م وتولى عرش قشتالة بعد الملك هنرى الثانى (١٣٦٩-١٣٧٩م) . انظر : سعيد عبد الفتاح عاشور :أوربا ، ج١، ص٥٤٤.

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٣٠٩ ؛ الإحاطة ، جـ ٢ ، ص ٣٠ ؛ اللمحة البدرية : ص ١٢٩؛ المقرى : أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض- تحقيق مصطفى السقا وآخرين، القاهرة، ١٩٣٩م، جـ ١ ، ص ٢٢٤ ؛ أحمد مختار العبادى :تاريخ المغرب والأندلس، ص ٤٣٨ .

(٣) ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ ٢ ، ص ٣٠ ٠

(٤) يوسف شكرى فرحات: غرناطة فى ظل بنى الأحمر،ص ٤١ ٠

(٥) ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ ٢ ، ص ٣٠ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ ٧ ، ص ٤٣٣-٤٣٥ .

(٦) ابن خلدون : العبر، جـ ٧ ، ص ٤٣٥.

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ ٥ ، ص ٢٦٣ ؛ المقرى : أزهار الرياض ، جـ ١ ، ص ٢٠٢ ؛ Arie, R.: El-Reino Nasri, p. 54 .

رابعًا:عصر الضعف والاضمحلال:

بعد وفاة السلطان محمد الخامس خلفه ابنه يوسف الثانى [1] (٧٩٣ – ٧٩٧ هـ / ١٣٩١– ١٣٩٤م) ولقب بأبى الحجاج، وتوفى فى عام ٧٩٧ هـ / ١٣٩٤م [2] ، وخلفه فى الحكم ابنه محمد السابع [3] (٧٩٧ – ٨١١ هـ / ١٣٩٤ – ١٤٠٨) ٠ الذى استطاع أن يقنع الفقهاء وكبار القوم فى غرناطة ،أن يتسلم هو الملك بدلاً من أخيه يوسف الأكبر منه والأحق بالحكم. ولكى يأمن على نفسه داخلياً قبض على

---

(٢) يوسف بن السلطان محمد الخامس بن السلطان أبى الحجاج يوسف الأول ٠ خلف والده السلطان محمد الخامس بعد وفاته فى عام ٧٩٣ هـ / ١٣٩١م ٠ وتوفى فى عام ٧٩٧ هـ / ١٣٩٤م ٠ قام السلطان المرينى أبا العباس أحمد بتدبير مكيدة ليتخلص منه ٠ ٠ فأرسل إليه بهدية كانت عبارة عن بعض الملابس المسمومة ، فلما لبسها السلطان يوسف الثالث أثناء ركوبه ، وكان قد ابتل جسده بسبب العرق ، سرى السم فى جسده ٠ وتوفى على أثرها ٠ انظر : السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤٢ ؛ محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس، ص ص ١١٣ – ١١٤ .

(٣) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤٨ ؛ عبد الرحمن حجى : المرجع السابق ، ص ٥٦٤.

(٤) هو محمد بن السلطان يوسف الثانى بن السلطان محمد الخامس ، دبر ثورة ضد والده، ليتولى الحكم فى غرناطة ، ولكنها فشلت. وبعد وفاة والده فى عام ٧٩٧ هـ / ١٣٩٤م ، اتفق مع الزعماء ورجال الدولة فى غرناطة على إقصاء شقيقه الأكبر، وولى العهد يوسف عن العرش ٠ وقبض عليه ، وزج به فى قلعة شلوبانية، حتى يأمن عدم منازعته فى الحكم ٠ عنه انظر : المقرى : نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ٢٩٠ ؛ السلاوى : الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى – الدار البيضاء، ١٩٥٥م ، جـ ٢ ، ص١٤٢؛

L.P. Harvey: Islamic Spain1250-1500-London, 1990, p. 221.

أخيه يوسف، وسجنـــــه فى قلعة شلوبانية Saloberena [(١)]. وفى عام ٨١١هـ /١٤٠٨م توفى السلطان الغرناطى محمد السابع، وتولى شقيقه يوسف الثالث[(٢)] (٨١١- ٨٢٠ هـ/ ١٤٠٨-١٤١٧م). وكان سجيناً طوال فترة حكم أخيه محمد السابع ، ولما تمت مبايعته ، استقبله الشعب الغرناطى بحفاوة بالغة ، ولأنه كان حسن الخلق شجاع علق عليه الشعب الغرناطى آمالاً كبيرة فى عودة هذه المملكة لقوتها مرة أخرى . إلا أنها كانت تنحدر نحو الضعف والاضمحلال [(٣)] .

فبعد وفاة السلطان يوسف الثالث فى عام ٨٢٠هـ/١٤١٧م[(٤)] ، تولى السلطان محمد الثامن[(٥)]، الملقب بالصغير El pequeno (٨٢٠-٨٢٢ هـ/ ١٤١٧-١٤١٩م). واستوزر له وزير أبيه الوزير على الأمين من أسرة الأمين، والتى بدأت

---

(١) مدينة شلوبانية Saloberena :مدينة أندلسية تقع على البحر المتوسط ،إلى الجنوب الغربى من مدينة منترايل، كما أنها تقع شرق المنكب .وبينها وبين المنكب عشرة أميال. يقابلها بشاطىء المغـرب مرسـى مدينة مليلة .انظر : الحميرى : الروض المعطار، ص ٣٤٣.

(٢) يوسف بن السلطان يوسف الثانى بن السلطان محمد الخامس. وهو شقيق السـلطان محمـد السـابع وأخوه الأكبر، وكان سجيناً طوال فترة حكم شقيقه محمد السابع، ولما توفى محمد السابع، ذهـب النـاس لمبايعته فى قلعة شلوبانية تولى بعد وفاة محمد السابع فى عام ٨١١هـ / ١٤٠٨م. انظر: محمـد عبـد الله عنان: نهاية الأندلس، ص ص ١١٥-١١٦.

(٣) يوسف شكرى فرحات : غرناطة فى ظل بنى الأحمر ، ص ٤٣.

(٤) السخاوى: الضوء اللامع، جـ١٠، ص ٦٨؛ عبد الرحمن حجى: المرجع السابق، ص٥٤٩؛ يوسف شكرى فرحات: غرناطة فى ظل بنى الأحمر ، ص٥٣؛
Arié, R.: L'Espagne Musulmane , p. 122; Harvey, L.P.: Op. Cit., p. 221

(٥) محمد بن السلطان يوسف الثالث بن السلطان يوسف الثانى بن السلطان محمد الخامس. تولى بعد وفاة والده فى عام ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م. انظر: السخاوى: الضوء اللامـع لأهـل القـرن التاسـع – القـاهرة، ١٣٥٠هـ ، جـ١٠، ص٦٨؛ يوسف شكرى فرحات: غرناطة فى ظل بنى الأحمر ، ص٥٣.

بعدها فى الابتعاد عن الوسط السياسى، وبدأت تظهر أسـرة جديدة هى أسرة بنى السراج Abencerrajes[(١)]، التى ساعدت الأمير محمد الملقب بالأيسر El zurdo[(٢)] حفيد السلطان محمد الخامس على القيام بانقلاب فى غرناطة، أطاح بالسلطان محمد الثامن الصغير، وجلس السلطان محمد التاسع الملقب بالأيسر على عرش غرناطة، وذلك فى عام ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م[(٣)]. وبدأت أسرة بنى السراج فى السمو والرقى فى غرناطة، واستوزر السلطان محمد التاسع له الوزير يوسف بن السراج، والذى سعى لتلطيف الجو بين السلطان ورعيته، بعد أن ساءت العلاقة بينهما، بسبب عدم اهتمام السلطان بالرعية. لكن لم تنجح محاولات الوزير يوسف بن السراج، وازداد سخط الشعب على سلطانه محمد التاسع[(٤)].

ولسوء علاقة السلطان الغرناطى بشعبه، لم يتمكن من جمع الجنود حوله، ورد العدوان عن الأراضى الإسلامية، فانفجرت الثورة فى غرناطة، وزحف الثوار على

---

(١) أسرة بنى السراج Abencerrajes: ينسبون فى الأصل إلى قبيلة قضاعة اليمنية. وقد عهد إليهم الأمويون حراسة السواحل فى شرق الأندلس ، فى إقليم بجاية . وبدأت فى القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى دوراً بارزاً فى الحياة السياسية. عن بنى السراج . انظر: الحميرى: الروض المعطار، ص ٣٧؛ سحر السيد عبد العزيز سالم: بنو سراج وزراء بنى نصر بين الحقيقة التاريخية والقصة الشعبية – ضمن بحوث مشرقية ومغربية فى التاريخ والحضارة الإسلامية، الإسكندرية، ١٩٩٧م، جـ١، ص ٤٤٩ .

(٢) محمد بن نصر بن محمد بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن نصر. حفيد محمد الخامس. لقب بأبى عبد الله، وعرف بالأيسر El zurdo، تولى بعد أن قاد الانقلاب فى عام ٨٢٢ هـ / ١٤١٩م. عنه انظر: السخاوى : الضوء اللامع ، جـ١٠، ص ٦٨.

(٣) أحمد محمد الطوخى: مظاهر الحضارة، ص ٤٢ ؛
Arié, R.: L'Espagne Musulmane, p. 122; Harvey, L.P.: Op. Cit., p. 221.

(٤) سحر سالم: بنو سراج، ص٤٤٩.

قلعة الحمراء، ونادوا بالسلطان محمد الثامن الصغير، وخلعوا السلطان محمد التاسع الأيسر، الذى فضل الفرار إلى المرية، ومنها إلى تونس، حيث استقبله السلطان الحفصى أبو فارس(١) (٧٩٦-٨٣٨ هـ / ١٣٩٣-١٤٤٢م) بحفاوة بالغة، وأنزله ضيفاً عنده. أما الوزير يوسف بن السراج ففضل هو وأسرته اللجوء إلى الملك خوان القشتالى الثانىJuan II (٢) (٨٠٩ - ٨٥٩ هـ/ ١٤٠٦ - ١٤٥٤م)، خوفاً من بطش السلطان محمد الثامن الصغير، ووفدوا عليه فى إشبيلية فأكرم وفادتهم، لإدراكه الشديد بما سوف يحققه من مكاسب عن طريقهم(٣).

وبعد عودة السلطان محمد الثامن الصغير للحكم (٨٣١- ٨٣٣هـ/ ١٤٢٧-١٤٢٩م)، اعترف بطاعته لقشتالة، ووافق على دفع مبالغ سنوية مقابل الصلح معها ،

---

(١) أبو فارس عبد العزيز بن السلطان أبى العباس أحمد ، تولى بعد وفاة والده فى عام ٧٩٦هـ/١٣٩٣م ويعتبر السلطان أبو فارس آخر السلاطين العظام لبنى حفص . عقد هدنة مع ملوك بنى مرين ، وأقام علاقات طيبة مع المماليك فى مصر ، وعقد اتفاقات مع الممالك المسيحية والمدن الإيطالية. دامت دولته تسعة وثلاثين عامًا . انظر: السخاوى: الضوء اللامع، جـ١٠، ص٦٨.

(٢) الملك خوان الثانى Juan II بن الملك هنرى الثالث . ولد فى عام ٨٠٧ هـ/ ١٤٠٤م . تولى عرش قشتالة بعد وفاة والده عام ٨٠٩هـ/١٤٠٦م . ولأنه تولى وعمره سنتان فقط، كان لابد من وجود وصى عليه، فتولت والدته الملكة كاتينا دى لنكستر Caatina de Lancaster الوصاية عليه، وعاونها الأمير فرناندو Fernando. انظر:

Cambridge Medieval History - Cambridge, 1932., Vol. 7, p. 581.

(٣) السخاوى: الضوء اللامع، جـ١٠، ص٦٨؛ يوسف شكرى فرحات: غرناطة فى ظل بنى الأحمر ، ص ٥٤؛ سحر سالم: بنو سراج، ص ٤٥٠.

وتنازل عن بعض الحصون، والقلاع الغرناطية لقشتالة، فكان ذلك سبباً فى سخط شعبه عليه(١).

وفى عام ٨٣٢هـ/ ١٤٢٨م، اتفق الوزير يوسف بن السراج مع ملك قشتالة خوان الثانى على إعادة السلطان المخلوع محمد التاسع الأيسر للحكم مرة ثانية فى غرناطة. فأرسل الملك خوان الثانى إلى السلطان الحفصى أبى فارس، يطلب منه السماح للسلطان المخلوع محمد الأيسر بالعبور إلى الأندلس. وقام السلطان الحفصى بتقديم العون للأيسر، وكان عبارة عن ثلاثمائة فارس ومائتى جندى من المشاة. وفور عبور الأيسر إلى الأندلس سارع أهل المرية بمبايعته والتفوا حوله. وعندما علم سلطان غرناطة محمد الثامن بذلك، أرسل جيشاً من ستمائة فارس تحت قيادة أحد إخوته، وعندما اقترب جيش غرناطة من جيش الأيسر، التف العديد من الجيش الغرناطى حول السلطان المخلوع الأيسر، وانتهى الأمر بهزيمة الجيش الغرناطى، ودخل الأيسر وأعوانه غرناطة، وتم القبض على السلطان محمد الثامن الصغير، ووضع فى السجن هو وإخوته وذلك فى عام ٨٣٣هـ/ ١٤٣٠م(٢). وبذلك عاد السلطان محمد التاسع الملقب بالأيسر للحكم للمرة الثانية (٨٣٣- ٨٣٥هـ/ ١٤٣٠-١٤٣٢م).

---

(1) Harvey, L. P.: Op. Cit., p. 248.

(٢) السخاوى: الضوء اللامع، جـ١٠، ص٦٨؛ يوسف شكرى فرحات: غرناطة فى ظل بنى الأحمر ، ص ٥٤؛ أحمد محمد الطوخى: مظاهر الحضارة، ص ٤٢؛ سحر سالم: بنو سراج، ص ٤٥٠؛

وفى عام ٨٣٥هـ/ ١٤٣٢م كان أحد أمراء بنى الأحمر ويدعى الأمير يوسف بن المول[١] قد تمكن من دخول مدينتى رندة Ronda [٢]ولوشة Loja [٣]، ودخلتا فى طاعته، ونودى به سلطاناً على غرناطة. ولما زحف بقواته نحو غرناطة، علم بذلك السلطان محمد التاسع الأيسر، فأمر وزيره يوسف بن السراج بقيادة جيش غرناطة والخروج لمحاربة ابن المول، ومنعه من دخول غرناطة. وعلى مشارف غرناطة دارت رحى معركة قوية بين يوسف بن المول وقواته، وبين جيش غرناطة بقيادة الوزير يوسف بن السراج، لقى فيها الجيش الغرناطى هزيمة قاسية، ودخل يوسف بن المول غرناطة، ورحل الأيسر عنها فى ماله وأهله، وقصد مدينة مالقة التى ظلت على طاعته، وانفرد السلطان يوسف بن المول بحكم غرناطة، ولقب بأبى الحجاج،

(١) هو الأمير النصرى يوسف بن المول ، أمه ابنة السلطان محمد السابع، وهو بذلك يتصل بالبيت الحاكم عن طريق والدته، فهو حفيد السلطان محمد السابع. كان أميرًا قويًا، وافر الثراء، وله هيبة بين الناس فى غرناطة، لكنه كان شيخاً كبيرًا عند مبايعته، فلم تطل مدة توليته سوى ستة أشهر فقط. انظر: محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس، ص ص١١٩- ١٢٠؛ أحمد محمد الطوخى: مظاهر الحضارة، ص ٤٣؛ سحر سالم: بنو سراج، ص ٤٥٠؛

Arié, R.: El Reino Nasri, p. 64.

(٢) مدينة أندلسية تقع غرب مالقة ، وهى مدينة مدينة رومانية قديمة كان اسمها Arunda، وتعتبر قاعدة عسكرية هامة فى الأندلس ، نظرا لموقعها . فهى التى تحمى مالقة من ناحية الغرب . اشتهرت فى عصر بنى الأحمر بكثيرة الفواكه ، التى كانت تحمل منها لكل بلاد الأندلس ولذلك كانت مركز تجارى هام. . انظر: ياقوت الحموى: معجم البلدان، جـ٣،٧٣؛ ابن الخطيب: معيار الاختبار ، ص ص ٩٥- ٩٦، ٩٥ هـ١؛ الحميرى: الروض المعطار، ص ٢٦٩.

(٣) مدينة رومانية قديمة كان اسمها Lacivis ، وهى مدينة هامة تقع على نهر شنيل ، كانت تتبع إقليم إلبيرة ، ثم غرناطة بعد ذلك .بينها وبين غرناطة ٥٠كم. انظر: الحميرى : الروض المعطار ،ص ٥١٣.

وذلك فى عام ٨٣٥هـ/ ١٤٣٢[١].ولكن لم يمهله القدر ، حيث توفى بعد توليه الحكم بستة أشهر فقط[٢].

وفور وصول الخبر إلى السلطان المخلوع محمد التاسع الأيسر قرر على الفور الزحف إلى غرناطة، وتمكن من دخولها، وعاد للحكم للمرة الثالثة عام (٨٣٥-٨٤٨هـ/ ١٤٣٢- ١٤٤٥م)[٣].

وفى عام ٨٤٨هـ / ١٤٤٥م لجأ إلى ملك قشتالة خوان الثانى الأمير يوسف بن أحمد- حفيد السلطان يوسف الثاني، وابن عم السلطان محمد التاسع الأيسر[٤]، والمعروف بابن إسماعيل Aben Ismael[٥]، وبدأ فى عقد اتفاقية معه، يساعده في الوصول لحكم مملكة غرناطة، على أن يكون ذلك تحت طاعة مملكة قشتالة[٦].

وفي تلك الأثناء سعي حاكم المرية الأمير محمد بن نصر بن محمد أن يكون سلطان غرناطة، وبايعه أهل المرية، والبلاد المجاورة لها، مستغلاً الضعف الذى أحل بالمملكة. وزحف إلى غرناطة، وتمكن من دخولها، واستولى على قلعة الحمراء، وجلس السلطان الجديد محمد العاشر (٨٤٨-٨٤٩هـ / ١٤٤٥-١٤٤٦م) على

---

(١) السخاوى: الضوء اللامع، جـ١٠، ص٦٨؛ محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس، ص ١٢٠؛عبد الرحمن حجى: التاريخ الأندلسى، ص ٥٦٥؛ أحمد محمد الطوخى: مظاهر الحضارة، ص ٤٣.

(٢) محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس، ص ١٢٠؛ عبد الرحمن حجى: المرجع السابق، ص ٥٦٥؛ أحمد محمد الطوخى: مظاهر الحضارة، ص ٤٣؛ Arié,R.: L`Espagne Muslmane , p. 138

(٣) السخاوى: الضوء اللامع، جـ١٠، ص٦٨؛ عبد الرحمن حجى: التاريخ الأندلسى، ص ٥٦٥؛ أحمد محمد الطوخى: مظاهر الحضارة، ص ص ٤٣- ٤٤.

(٤) محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس، ص ١٢١؛ يوسف شكرى فرحات:غرناطة فى ظل بنى الأحمر، ص٥٥؛ Arié,R.: L`Espagne Muslmane , p. 138

(5)Arie R.: El Reino Nasri, p.68.

(6) Harvey, L. P.: Op. Cit., p.25.

العرش، وعرف بالأحنف [١]، ولقب بالغنى بالله، كما أطلق عليه فى المصادر الأسبانية لقب الأعرج El Cajo[٢].

وفى إشبيلية عندما وصلت أنباء تلك الأحداث إلى الملك خوان الثاني، الذي كان يرتب لتولى الأمير يوسف بن أحمد عرش مملكة غرناطة، سعى لتحقيق ذلك في اتجاهين: الأول هو تقديم العون العسكري للأمير يوسف بن أحمد لشن الحرب علي غرناطة، وإزكاء روح الفتنة بينه وبين السلطان الأحنف.[٣] والثانى هو الاتصال بأسرة بنى السراج وزراء السلطان المخلوع الأيسر والذين يعارضون بدورهم تولي السلطان الأحنف ، وطلب منهم مساعدة الأمير يوسف بن أحمد فى الوصول للحكم.[٤] كما خرجت القوات القشتالية لشن الحرب على أملاك مملكة غرناطة[٥].

وتمكن الأمير يوسف بن أحمد من الوصول إلي مقر إقامة أسرة بنى السراج، التى وعدت الملك القشتالي بمساعدة الأمير أحمد [٦]. وعندما وصلت تلك الأنباء إلى السلطان الأحنف، سير جيشاً لقتال الأمير يوسف وبنى السراج ، بينما خرج هو بجيشه لشن الحرب على أملاك قشتالة ، نكاية في مساعدة الملك خوان الثاني للأمير يوسف وذلك فى عام ٨٤٩هـ / ١٤٤٥م [٧]. إلا أن الأمير يوسف تمكن من بسط

---

(١) سحر سالم : علاقة مصر المملوكية بمملكة غرناطة قبيل وعقب سقوطها- ضمن الذكرى الخمسمائة لسقوط غرناطة، تونس، ١٩٩٣م جـ٢ ، ص٩٢.

(2) Harvey, L.P.: Op. Cit., p. 254.

3) Arié,R.: L`Espagne Muslmane , p. 138.

(4)Arie,R.: El Reino Nasri, p.69.

(٥) يوسف شكرى فرحات: غرناطة فى ظل بنى الأحمر ، ص ٥٦.

(٦) محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٢١؛

(٧) نفس المرجع والصفحة .

سيطرته على مساحات واسعة. ودارت معركة قوية بين قواته وقوات السلطان الأحنف ، انتهت بهزيمة السلطان الأحنف الذي فضل الفرار. وتمكن الأمير يوسف من دخول غرناطة ، والجلوس على عرشها ، وذلك في عام ٨٤٩هـ/١٤٤٥م [١].

ولأن السمة الغالبة على مملكة غرناطة فى تلك الفترة هى الاضطراب، وعدم الاستقرار، فإن السلطان يوسف الخامس لم يستمر فى الحكم سوى عدة أشهر، حيث تمكن السلطان محمد الأحنف من دخول غرناطة فى ظروف غامضة، وجلس على عرشها للمرة الثانية، وذلك فى أواخر عام ٨٤٩ هـ/ ١٤٤٦م [٢] .

وفى عام ٨٥١هـ / ١٤٤٧م تمكن السلطان محمد التاسع الأيسر من دخول غرناطة مع مجموعة من مؤيديه، وتولى عرش غرناطة للمرة الرابعة، واستمر حتى وفاته في عام ٨٥٧هـ / ١٤٥٣م [٣].

وبوفاة السلطان الأيسر ظهرت شخصية جديدة على مسرح الأحداث وهو السلطان سعد المستعين بالله [٤] (٨٥٧-٨٦٩هـ/ ١٤٥٣-١٤٦٤م).

وبعد استقرار الأمر له حاول السلطان سعد التخلص من أسرة بنى السراج التى ساعدته من قبل فى الوصول للحكم، لأنهم كانوا يشاركونه فى السلطة . فقتل العديد

(1) Arie,R.: El Reino Nasri, p.69.
(2) Harvey, L.P.: Op. Cit., p.225
(3)Arie,R.; El Reino Nasri ,P.70.

(٤) هو أبو نصر سعد بن على شقيق السلطان يوسف الثالث. ولد فى عام ٧٨٩هـ/ ١٣٩٨م، وتولى وعمره خمس وخمسون عاما. وصل إلى الحكم بمساعدة أسرة بنى السراج التى رفضت تولى السلطان محمد الحادى عشر الحكم منفردا" بعد وفاة السلطان محمد التاسع الأيسر، وانفراده بعرش غرناطة ، فبايعت السلطان سعد المستعين . عنه انظر : سحر سالم : بنو السراج ، ص ص ٤٥٢-٤٥٣؛
Harvey, L .P.: Op. Cit., p. 261.

من زعمائهم، وعلى رأسهم الوزير مفرج بن السراج، وذلك فى عام ٨٦٦هـ / ١٤٦٢م . غير أن ولدى الوزير مفرج وهما محمد وعلى تمكنا من الهرب مع مجموعة كبيرة من بنى السراج ، واتجهوا إلى مالقة، والتف حولهم العديد من أمرائها، واتفقوا جميعًا على مبايعة أميرها يوسف النصري – أحد أمراء بنى نصر ،الذى نصبه السلطان سعد حاكماً على مالقة – وأعلن نفسه سلطاناً على غرناطة[١] وتمكن السلطان يوسف من دخول الحمراء، والسيطرة على مجريات الحكم فى غرناطة، وفر منها السلطان سعد المستعين . لكن لم يمهل القدر السلطان يوسف السادس كثيراً حيث لم يلبث أن توفى فى العام التالى ٨٦٧هـ / ١٤٦٣م[٢] وعاد بعدها السلطان سعد المستعين إلى الحكم مرة ثانية. وأول ما قام به هذه المرة هو طلب المساعدة من المماليك فى مصر لمواصلة الجهاد فى الأندلس.

وعلى المستوى الداخلى حرضت أسرة بنى السراج أحد أبناء السلطان سعد المستعين وهو الأمير على والملقب بأبى الحسن[٣] ، للخروج على والده، وأعلنوا مبايعته ، وأعلن الثورة ضد والده، وتمكن من دخول غرناطة ففضل والده الفرار إلى مالقة، وذلك فى عام ٨٦٩هـ /١٤٦٤م[٤] .

---

(١) يوسف شكرى فرحات: غرناطة فى ظل بنى الأحمر ، ص ٤٦.

Arié,R.: L`Espagne Muslmane , p. 138

(2) Arei, R.,: El Reino Nasri , p.73.

(٣) هو أبو الحسن على بن السلطان سعد المستعين بن على تولى الحكم بعد وفاة والده السلطان سعد المستعين فى عام ٨٧١ هـ / ١٤٦٦م ، وظل فى سدة الحكم حتى عام ٨٨٧هـ / ١٤٨٢م . انظر : مجهول: أخبار العصر فى انقضاء دولة بنى نصر – تحقيق د/ حسين مؤنس ، القاهرة، ١٩٩١، ص ص ٧٤–٧٥ ؛ محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٢٤ .

(٤) مجهول : أخبار العصر ،ص ٧٥.

لكن لم يستمر ذلك كثيراً فسرعان ما تنازل السلطان أبو الحسن على لوالده عن العرش أمام هجمات النصارى على أملاك المسلمين وعدم تمكنه من التصدى لهم [١].

واختار السلطان سعد الإقامة فى المرية حتى توفى فى أواخر عام ٨٧٠ هـ / أبريل ١٤٦٥م[٢]. وبوفاته انفرد السلطان أبو الحسن على (٨٧١- ٨٨٧ هـ/ ١٤٦٥- ١٤٨٢م) بعرش مملكة غرناطة.[٣] وعلى الرغم من انفراد السلطان أبى الحسن على بالحكم فى غرناطة فإن الحالة الداخلية فى غرناطة لم تستقر بعد. هو أن كبار القواد فى دولته كانوا هم المسيطرون على مجريات الأمور، ولم يكن للسلطان أبى الحسن على سوى الحكم ظاهريا" فقط . ولما أراد تصحيح الوضع، والانفراد بشئون الحكم، اعتزل كبار القواد ومنعهم من الدخول عليه، فأوغر ذلك صدورهم منه ، ووقعت بينهم وبين السلطان حروب عدة [٤].

علاوة على ذلك فإنه ثمة صراع نشب بين الأسر الكبيرة فى غرناطة، والممثلة فى أسرة بنى السراج – التى حرضت السلطان من قبل على الخروج على والده – يشاركها فى الصراع أسرة بنى الثغرى وأسرة أضحى . وعمل هذا الصراع على انتشار الفوضى فى مملكة غرناطة[٥]. مما دفع بشقيق السلطان ويدعى محمد

(١) يوسف شكرى فرحات: غرناطة فى ظل بنى الأحمر ، ص ٥٧؛ سحر سالم: بنو السراج : ص ٤٥٣؛

Arei, R.: El Reino Nasri, p. 75.

(٢) مجهول : أخبار العصر ، ص ٧٥.

(٣) نفس المصدر والصفحة.

(٤) مجهول : أخبار العصر، ص ص ٧٥ – ٧٦.

(٥) نفس المصدر، ص ٧٥؛ محمد عبدالله عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٤٧؛ يوسف شكرى فرحات : غرناطة فى ظل بنى الأحمر ، ص ٥٧.

والمعروف بالزغل فى الخروج على أخيه، طمعاً فى عرش غرناطة. وبايعه القادة الذين كانوا فى خلاف مع السلطان أبى الحسن على، والتفوا حوله فى مالقة(١).

وكعادة كل من أراد الخروج على السلطان الشرعى فى غرناطة، اتصل الزغل بالملك هنرى الرابع ملك قشتالة ليساعده فى الوصول لحكم غرناطة ، وتمت مقابلة بينهما فى مدينة أرشذونة فى عام ٧٧٤هـ/ م ١٤٦٩م ، ووعده بالعون والتأييد (٢).

ولكى يتمكن السلطان أبو الحسن على من القضاء على الفتنة فى مملكته، عمد إلى التقرب من الرعية ، وأحسن معاملتهم، فالتفوا حوله ، ووعدهم بالإصلاح ، والتغيير فى سياسته . فوعده الشعب بالحرب معه ضد الثوار فى مالقة (٣) ، فدارت بينهما معارك كثيرة ، لكن رأى السلطان الزغل أنه من الأفضل القضاء على ذلك الخلاف، فسار ليلاً من مالقة إلى غرناطة، وتقابل مع شقيقه ،واتفقا سوياً على محاربة الثوار فى مالقة، وبالفعل تم القضاء على الفتنة . واتفق السلطان مع شقيقه على أن يظل هو الحاكم الشرعى لغرناطة، على أن يظل الزغل هو حاكم إقليم مالقة وأحوازها، وذلك فى عام ٨٧٨هـ / ١٤٧٥م(٤).

خامسًا: سقوط مملكة غرناطة :

بعد وفاة الملك القشتالى هنرى الرابع سنة ٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م تولت الملكة إيزابيلا Esabel(٥) عرش المملكة، فحكمت المملكة هى وزوجها الأمير

---

(١) مجهول : أخبار العصر ، ص ٧٥.

(٢) سحر سالم : علاقة مصر المملوكية بغرناطة ، ص ص ٩٢-٩٣.

(5) Arié, R.: L`Espagne Muslmane, p. 140; Harvey, L. P.: Op. Cit., p.255.

(٣) مجهول : أخبار العصر ، ص ٧٥ .

(٤) الملكة إيزابيلا ابنة الملك هنري الرابع ، ولدت عام ٨٥٤هـ/ ١٤٥١م ، وتزوجت عام٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م من الأمير فرناندو ولى عهد البرتغال ، وتوفيت عام٩١٢هـ/ ١٥٠٦م . انظر:
Canning, J.:100 Great Kings, Queens and Rulers of the worled- New York, pp. 366-367

Fernando[1] ولى عهد مملكة أراجون[٢]. وبعد وفاة الملك الأراجونى خوان الثاني في عام ٨٨٤ هـــ / ١٤٧٩م، تولى الملك فرناندو عرش مملكة أراجون، وحكمها مع قشتالة باسم فرناندو الخامس Fernando V [٣]. وكان ذلك إيذانًا باتحاد المملكتين .

وفى عام ٨٨٢هـــ / ١٤٧٨م كان قد عقدت معاهدة صلح وسلام بين مملكة غرناطة ومملكة قشتالة. وعندما أرسل السلطان الغرناطى أبو الحسن على للملك فرناندو والملكة إيزابيلا فى شأن تجديد الهدنة بين الجانبين وافقا على تجديدها شريطة أن يقوم السلطان الغرناطى بالاعتراف بطاعته لقشتالة وأراجون، وتأدية ضريبة سنوية مقابل ذلك [٤]. وأرسلا بذلك إلى أبى الحسن سفيراً قشتالياً من رجال بلاط الملكة إيزابيلا للقيام بتلك المهمة [٥]. ولما طرح على السلطان مطالب الملك والملكة رد عليه قائلا "إن سلاطين غرناطة الذين اعتادوا أداء الجزية ماتوا وأن دار

---

(١) كان الملك الأراجوني خوان الثاني يرغب فى يزوج ابنه فرناندو من الأميرة إيزابيلا ولية عهد مملكة قشتالة، لكن لقى ذلك معارضة شديدة من شقيقها الملك هنرى الرابع . لكنها كانت ترغب فى الزواج منه، ولتحقيق ذلك طلبت منه أن يأتى إلى بلد الوليد سرا، لإتمام الزواج منها ، فدخل قشتالة متنكرًا هو وبعض رفاقه في هيئة تجار. وعقد الزواج سنة ٨٧٤هـــ / ١٤٦٩ م .انظر :

W. T. Waugh: A History of Europe from 1378 to 1494- London, 1947; Petrie Charlos: Spain - London,1949, p.16 .

(2) Rafeal Altamira: A History of Spain From The beginnings to The Present day- Translated by Munalee, London, 1949pp. 261 -262 .

(3) Waugh,W.T.: Op. Cit., p. 395.

(٤) مجهول : أخبار العصر، ص٧٥.

(5) :Arei,R.: L`Espagne Muslmane , pp.144-145; El Reino Nasri, p. 73; Harvey , L.P.: Op. Cit., pp. 262-264. .

الضرب فى غرناطة لا تصنع الآن غير السيوف" [١]. وعاد رسول فرناندو إليه لا يحمل معه سوى الرفض الواضح من جملة السلطان الغرناطى، والذي أغضب الملك فرناندو غضباً شديداً وصاح قائلاً " Granda,Granda,le arrancare los granos unol " ومعناها " غرناطة، غرناطة، لأنتزعن حباتك الواحدة تلو الأخرى " [٢].

وبدأ الملك والملكة بالفعل فى عام ٨٨٥هـ / ١٤٨٠م فى شحن القوى الوطنية فى قشتالة وأراجون، لشن الحملة الصليبية لاسترداد غرناطة بأسرها[٣].

وعلى الجانب الآخر فقد تغيرت الأحوال فى مملكة غرناطة ودب الضعف داخل الجيش، وانصرف السلطان إلى اللهو والعبث، وفقد حب الناس له، وسخطوا عليه، لأنه فرض عليهم الضرائب[٤]. وازدادت حالة البلاد سوءاً خاصة بعد الفيضان الذى اجتاح غرناطة بسبب السيول فى عام ٨٨٢هـ / ١٤٧٨م ودمر الزروع وهدم العديد من البيوت فساءت الحالة الاقتصادية[٥]. علاوة على ذلك سيطر الوزير أبو القاسم رضوان[٦] على مجريات الأمور وكان يسىء التصرف[٧].

وسرعان ما دبت الخلافات داخل البيت الحاكم فى غرناطة. وكانت بسبب زواج السلطان أبى الحسن على من فتاة نصرانية تسمى إيزابيلا دى سوليس Isabela

---

(١) أحمد مختار العبادى: تاريخ المغرب والأندلس، ص٤٦٣.

(2) Rafeal Altamira: Op. Cit ,pp.16-18.

(3) Waugh,W.T.: Op. Cit., p.395.

Arei,R.: L`Espagne Muslmane , pp.144

(٤) مجهول: أخبار العصر، ص٧٨؛

(٥) نفس المصدر، ص ص ٧٦- ٧٨.

(٦) نفس المصدر ، ص ٧٨، هـ٣.

(٧) نفس المصدر ، ص ٧٨.

De Solis[١]، اعتنقت الإسلام، وتسمت ثريا، أو كوكب الصباح، والتى نجحت فى أن تستأثر بحب السلطان ، وأوغرت صدره تجاه ابنة عمه، زوجته الأميرة عائشة، وولديها أبى عبد الله محمد ويوسف. وكان محمد هو المرشح للعرش بعد والده، لكن ثريا سعت لأن يتولى أحد أبنائها عرش غرناطة، فازدادت فى الضغط على السلطان الذى انهمك فى ملذاته، وشهواته، فأمر بالقبض على ابنة عمه عائشة وولديها وزج بهما فى أحد أبراج الحمراء، ونقل الولاية لابنه من زوجته ثريا، ويدعى سعد وزاد ذلك من كره الناس له [٢].

وسرعان ما تمكنت الأميرة عائشة وولديها من الفرار من الحمراء، لخوفهم من بطش السلطان أبى الحسن بهم ، وذلك بمعاونة أسرة بنى السراج Aben Cerrajes[٣]، العريقة فى غرناطة. وذهبوا إلى وادى آش، والتف حوله العديد من مؤيديه. ومما زاد فى كثرة مؤيديه هو سياسة والده الداخلية ، التى زادت فى سخط الرعية عليه ، وسرعان ما دبر بنو السراج الثورة فى غرناطة ، والتى انتهت بجلوس السلطان أبى عبد الله محمد على العرش بدلاً من والده وذلك فى عام٨٨٧هـ /

---

(١) هى فتاة مسيحية من إحدى البلاد التابعة لمملكة قشتالة ، كان المسلمون قد سبوها فى إحدى الغارات على البلاد القشتالية ، وكانت بارعة فى الجمال،. واسمها فى المسيحية إيزابيلا دى سوليس. وهى ابنة القائد دون سانشو خيمينيث دى سوليس ، الذى لقى مصرعه فى إحدى المعارك بين المسلمين والقشتاليين . وألحقت وصيفة فى قصر الحمراء ، واعتنقت الإسلام وتسمت ثريا أو كوكب الصباح ، ولم تلبث أن تزوجها السلطان أبو الحسن على وآثرها على زوجته عائشة ابنة عمه. وأنجب منها أولا أقنعته بتفضيلهم على أولاد ابنة عمه. انظر: مجهول: أخبار العصر، ص ص٧٩-٧٨؛ أحمد مختار العبادى : تاريخ المغرب و الأندلس ، ص٤٦٤ .

(٢) المقرى: نفح الطيب ، ج٦، ص٢٦٢؛ مجهول : أخبار العصر، ص ص ٧٨-٧٩؛ أحمد مختار العبادى : تاريخ المغرب والأندلس ، ص٤٦٤ ..

(٣) مجهول : أخبار العصر ، ص ص٨٣-٨٤.

١٤٨٢م[١]. وهو السلطان محمد الثانى عشر آخر ملوك بنى الأحمر فى غرناطة ،ودخلت غالبية مملكة غرناطة فى طاعته ، ما عدا مالقة بقيت فى يد عمه أبى عبد الله محمد بن سعد الملقب بالزغل[٢].

وكان أن اتجه السلطان أبو عبد الله محمد الثانى عشر لحصار قلعة اللسانة Lucena[٣] ، فانهزم أمام الجيش القشتالى ،ووقع فى الأسر[٤]وأُخِذَ إلى إشبيلية، مقر إقامة الملك والملكة،فاستغلا ذلك وقاما بشن حرب نفسية عليه، تارة بالتهديد والوعيد، وتارة بالوعد والأمانى ، وأقنعاه أنه فى ظل المسيحيين سوف يحقق المكاسب العديدة ، وأنه لا مفر من سقوط غرناطة ، ولن يكون للمسلمين الحياة الهانئة سوى بمهادنة المسيحيين.وعندما علم المسلمون بأسر سلطانهم اجتمع أهل الحل والعقد فى غرناطة، واستدعوا السلطان أبا الحسن على بن سعد ، ليتولى الحكم بعد أسر ولده محمد ، لكنه كان فقد بصره، فتنازل لأخيه أبى عبد الله محمد الزغل، وتوفى عام ٨٩٠هـ / ١٤٨٥م[٥].

---

(١) الونشريسى : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب – تحقيق د/محمد حجى ، بيروت ، ١٩٨١م ، ج١١، ص١٤٨؛ المقرى : نفح الطيب، ج٦، ص٢٦٢؛ مجهول : أخبار العصر ، ص ص٨٣-٨٤؛ أحمد مختار العبادى : تاريخ المغرب الأندلس، ص٤٦٥.

(٢) محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس ، ص١٥٤؛ Harvey, L. P.: Op. Cit., p. 275.

(٣) قلعة هامة فى غرب الأندلس فى الشمال الغربى من غرناطة، ومجاورة لحصن قبرة. وعلى مقربة من قلعة يحصب . انظر : ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ١ ،١١١،ص١١١ ح ٣.

(٤) الونشريسى : المعيار المعرب ، جـ١١ ، ص١٤٨؛ مجهول :أخبار العصر، ص ص٨٥-٨٦ .

(٥) أحمد مختار العبادى: تاريخ المغرب والأندلس ، ص٤٦٦ ؛ عبد الرحمن حجى: التاريخ الأندلسى، ص٥٥١.

أما بالنسبة للحرب المسيحية على غرناطة فقد تكونت الجيوش من ممالك مسيحية عديدة وتمكنت من الاستيلاء على العديد من المدن الإسلامية التابعة لمملكة غرناطة ، الواحدة تلو الأخرى، مثل مالقة والمرية ووادي آش، ولم يبق للمسلمين من أملاك في الأندلس سوى مدينة غرناطة . وبهدف الاستيلاء عليها ،عمد الملك والملكة على تكوين حملة قوية ، قدر جيشها بثمانين ألفًا(١).وزوَّد هذا الجيش بالآلات الحربية الضخمة، وأهمها المدافع والبارود(٢) .وتقدم الجيش الملك فرناندو والملكة إيزابيلا (٣) .وفى جمادى الآخرة سنة ٨٩٦ هـ/أبريل ١٤٩١م نصبت آلات الحصار حول المدينة، واستعدت لضرب الأسوار (٤) . واجتمع القادة وأعيان الناس والفقهاء فى ذى الحجة سنة ٨٩٦هـ / أكتوبر ١٤٩١م، وساروا إلى السلطان أبى عبد الله محمد، وبعد أن عرضوا عليه الحالة التى أضحت تسيطر على غرناطة ، وافق الجميع على تسليم المدينة ،ودخلها النصارى فى ربيع الأول سنة ٨٩٧ هـ / الثانى من يناير ١٤٩٢م(٥)

---

(١) المقرى : أزهار الرياض ، جـ١ ، ص١٠٤ .

(2) Prescott, W: History of the Reign of Ferdinand and Isabella – London, 1895., p. 292 .

(٣) نفس المصدر ، ص١٠٥

(4)) Prescott, W. Op.Cit, p. 292.

(٥) مجهول : أخبار العصر ، ص١١٥ ؛ أحمد مختار العبادى : تاريخ المغرب والأندلس ، ص٤٦٨ ؛ مونتغمرى وات: فى تاريخ أسبانيا الإسلامية– لبنان، ١٩٩٢م، ص١٥٩.

الفصل الثانى

نظام الإمارة فى مملكة غرناطة

أولاً : تنصيب السلطان

ثانيًا : البيعة

ثالثًا: ولاية العهد

رابعًا: ألقاب الحكام

خامسًا: مهام السلطان

سادسًا: حياة السلطان الخاصة

سابعًا: الاغتيالات والانقلابات السياسية

الفصل الثانى

نظام الإمارة فى مملكة غرناطة

أولاً: تنصيب سلاطين بنى الأحمر:

لم يصل ملك الأندلس لأسرة بنى الأحمر عن طريق الوراثة ، وإنما يرجع الفضل لوصول هذه الأسرة لحكم بلاد المسلمين فى الأندلس إلى تأسيس السلطان النصرى محمد الأول ابن الأحمر (٦٣٥- ٦٧١هـ/ ١٢٣٨-١٢٧٢م)[١] .وظلت تحكم وتتوارث السلطة والسيادة قرابة القرنين ونصف. وحرص الملوك أن يبقى الأمر بنظام الملك المتوارث المنحصر في أسرة مالكة واحدة[٢]

واستمر الملك في أسرة بني نصر منذ عهد محمد بن يوسف الأول حتي سقوط غرناطة فى عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م ، لا ينازعهم في ملكها أحد سواهم[٣]. إلا أن بأسهم كان بينهم شديدًا ويستعين كل متشوق إلي الملك بالغوغاء وغيرهم للوصول إلى هدفه كما أن بعضهم استعان لوصولهم للعرش بالملوك من النصارى المسيحيين الذين كانوا يتربصون للإسلام والمسلمين فى بلاد الأندلس [٤].

---

(١)ابن الخطيب: الإحاطة،ج٢، ص ص٦٤-٦٥ ؛ اللمحة البدرية، ص٣٥؛ أحمد محمد الطوخي : مظاهر الحضارة فى الأندلس ، ص١٥٤.

(٢)ابن الخطيب: اللمحة البدريةص٢١-٣٠ ؛ابن خلدون:العبر،ج٤،ص١٧٠؛القلقشندي:صبح الاعشي،ج٥، ص٢٦

(3) Arie, R.: El Reino Nasri , p. 199..

(٤) ابن الخطيب:اللمحة البدرية البدرية، ص٨٣؛ للمزيد انظر :أحمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة فى الأندلس ، ص١٥٦

ولا تشير المصادر إلي كيفية وراثة العرش النصري ، ويبدو أنه لم تكن هناك قواعد وأصول محددة يتم بمقتضاها وراثته ، فمثلاً نجد أن محمد الأول قام في حياته بتعين ولده محمد الثاني الفقيه كولى للعهد في عام ٦٦٢هـ/ ١٢٦٤م ، ثم تولى عرش المملكة بعد وفاة والده عام ٦٧١هـ/١٢٧٢م(١).

كذلك تولى السلطان محمد الرابع بن إسماعيل الحكم بعد وفاة والده السلطان أبى الوليد إسماعيل فى عام ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م ، ولم يبلغ العاشرة من عمره(٢).

كما أن ابنه السلطان يوسف الأول خلفه فى عام ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م ، وهو لم يزل في الخامسة عشرة من عمره(٣).

ولم يكن من الضروري أن يخلف الابن الأكبر أباه في وراثة العرش (٤) ، فيذكر ابن الخطيب أن زوجة السلطان يوسف الأول نجحت فى أن تجعله يعهد بولاية العهد لابنه الأصغر إسماعيل بدلاً من محمد الذى تولى عرش المملكة بعد ذلك وعُرف بمحمد الخامس الغنى بالله ويذكر ابن الخطيب أن السبب فى ذلك ".. بما ألقى عليه وعلي أمه من محبته.." (٥).

---

(١) ابن الخطيب : الإحاطة، ج٢، ص٦٥ ؛ اللمحة البدرية،ص٣٦ ؛ أحمد محمد الطوخي : مظاهر الحضارة فى الأندلس، ص١٥٥.

(٢) ابن الخطيب : اللمحة البدرية البدرية، ص٧٧؛ Arie, R.: El Reino Nasri, p. 199. .

(٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلام، ص٣٠٤؛ اللمحة البدرية، ص٨٩.

(4) Arie, R.: El Reino Nasri , p. 199..

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة، ج٢، ص١٣.

ثانيًا: البيعة:

البيعة فى اللغة مأخوذة من الفعل باع ، وباع الشىء أى أعطاه إياه بثمن ، وبايعه مبايعةً وبياعًا أى عقد معه البيع ، والبيعة على إيجاب البيع وعلى المبايعة والطاعة(١) .

ويشبهها المؤرخ ابن خلدون بعقد البيع ، فالبائع والمشترى يضعا يدهما فى يد بعضهما تأكيدًا للبيع ، ويرى أن عقد البيع هو عهد على الطاعة(٢).

أما البيعة كمصطلح فهى مصطلح إسلامى ، يقوم على عقد بين الحاكم والمحكوم أى بين المبايع والمبايع له ، وهى عقد وكالة بين أفراد الأمة وولى الأمر ، وهذه الوكالة هى قيام ولى الأمر بما فيه صلاح الناس فى دينهم بالمحافظة على إقامة الحدود ، ونشر العدل بين الرعية ، والعمل على تحقيق صلاح الناس فى دنياهم بالمحافظة على ما يصلحهم فى معاشهم ، وتحقيق الحماية لهم من الأخطار فى الخارج والداخل، ونشر الأمن بينهم والعيش باطمئنان وسكينة (٣).

---

(١) ابن منظور : لسان العرب- ،دار صادر، بيروت ،د.ت ، جـ٨،ص ٢٦، مادة بيع، الزبيدى: تاج العروس من جواهر القاموس- دار الهداية-د.ت ،جـ٢١،ص ٣٧٠، باب العين فى الباء (ب ى ع) .

(٢) ابن خلدون : المقدمة-دار الفكر، بيروت، د.ت، ص ١٦٥.

(٣) محمد عبد القادر أبو فارس: النظام السياسى فى الإسلام- دار الفرقان،الأردن، ١٩٩٨٠م ، ص ص ٢٩٩-٣٠٠ .

وفى مملكة بنى الأحمر نهج ملوكهم نهج ملوك الدول الإسلامية فى المشرق والمغرب فيما يتعلق بضرورة أخذ البيعة لولى الأمر الذى يتمثل فى شخص السلطان وكانت البيعة فى الغالب تؤخذ للسلطان الجديد عقب وفاة السلطان أو خلعه(١).

فقد تناول الوزير ابن الخطيب بيعة أهل غرناطة للسلطان محمد الرابع يوم وفاة والده فى ٢٧ رجب٧٢٥ هـ / ٩ يوليو ١٣٢٥م . فيذكر كيف حضرت الطبقات الاجتماعية المختلفة لعقد البيعة ويذكر أنه "...حضر القضاة والخطباء والصلحاء والصوفية والفقراء والمقرئين والعلماء والأئمة والشيوخ ورجال الحديث والكتاب..."(٢).

وكذلك عند وفاة السلطان أبى الحجاج يوسف الأول فى أول شوال ٧٥٥هـ/ ١٩ أكتوبر ١٣٥٤ م أخذت البيعة لولده السلطان محمد الخامس من الذين حضروا وفاة والده . وعن ذلك يذكر ابن الخطيب " .... فاجتمع منهم طوائف الخاصة والجمهور، ما بين الشريف والمشروف والرؤساء أولى المنصب المعروف، وحملة العلم وحملة السيوف والأمناء ومن لديهم من الألوف وسائر الكافة...... فعقدوا له البيعة الوثيقة الأساس..."(٣).

كما أنه هناك البيعة لولى العهد والسلطان الغرناطى الوحيد الذى وردت الإشارات التاريخية الواضحة التى تقرر أخذه البيعة لولى عهده قبل مماته هو السلطان محمد الأول الغالب بالله مؤسس الدولة . وعن ذلك يذكر ابن الخطيب "

---

(1) Arie, R.: El Reino Nasri , p. 199..

(٢) ابن الخطيب:أعمال الأعلام ، ص ص ٢٩٩-٣٠٠؛ Arie, R.: El Reino Nasri , p. 200.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ٢، ص ٩٩ ؛ القلقشندى: صبح الأعشى ، ج٩ ، ص ٣٤٦.

....وفى حدود اثنين وستين وستمائة عقد البيعة لولى عهده واستدعى القبائل للجهاد...."[1].

وكانت البيعة للسلطان أو لولى الأمر تؤخذ بخط اليد فى كتاب يسمى كتاب البيعة ليكون شاهدًا عليهم بما بايعوا عليه [2].

وبعد بيعة الخاصة على النحو سالف الذكر تتم بيعة العامة ،وكانت تقدمها الجموع الشعبية الغفيرة فى العاصمة والمدن الرئيسة فى المملكة [3] .

وقد وصف لنا المؤرخ الغرناطى ابن الخطيب أحد هذه البيعات التى عاصرها بنفسه ووصفها لنا وصفًا دقيقًا وتتمثل فى أخذ البيعة للسلطان الغرناطى محمد الخامس الغنى بالله عند تنصيبه سلطانًا على غرناطة فى عام ٧٥٥هـ/١٣٥٤م .وعن ذلك يذكر:".... .تمت لة البيعة فى حفل مشهود ، مجمع لغيره معهود، فلم يختلف علية اثنان...." [4].

- صياغة البيعة

كان فى عصر بنى الأحمر يتولى الوزير أو الكاتب أو الوزير الكاتب أمر صياغة البيعة مراعيًا عوائد الدولة و تقاليدها فى هذا الشأن احتفاءً وتعظيمًا لشرف جهة الصدور [5].

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ٢، ص ٩٩، اللمحة البدرية، ص ٤٧.

(٢) القلقشندى: صبح الأعشى ، ج٩ ، ص ٣٤٧.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ٢، ص ٩٠-٩١؛ Arie, R.: El Reino Nasri , p. 199.

(٤) ابن الخطيب:أعمال الأعلام ، ص ص ٣٠٦-٣٠٧.

(٥) ابن الخطيب : ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب – جـ٢، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٨١م.،ص ص ١٢٨ ٢٢٩ ؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١ ، ص ١٥٣ .

وقد أورد الوزير ابن الخطيب أحد البيعات التى صاغها بنفسه وهى بيعة السلطان الغرناطى محمد الخامس ، والتى افتتحها بحمد الله وتسبيحه ثم عدد محاسن وألقاب السلطان محمد الخامس الغنى بالله وزكى نسبه وأجداده .وعدد مآثر ومحاسن بنى الأحمر ،ثم بدأ فى تناول ما اتفق عليه أهل الحل والقد وأهل مملكة غرناطة، وما كان من إجماع كلمتهم من أمر بيعتهم للسلطان محمد الخامس الغنى، على ما بويع عليه الرسول – صلى الله عليه وسلم- وعدد ابن الخطيب الفوائد التى تعم على دولة المسلمين عندما تتحد كلمتهم وتتوحد صفوفهم (١).

ثالثًا: ولاية العهد:

كان السلطان النصرى مثله مثل سلاطين الدول الإسلامية مشرقًا ومغربًا يقوم بترشيح من يقوم بوراثة الأمر من بعده (٢) ، ويسمى ولى العهد ، وفى الغالب يكون هذا الولى الولد الأكبر من أبناء السلطان من الذكور .

وفى مملكة غرناطة ورد ذكر ولاية العهد فى تراجم المؤرخين للملوك والسلاطين والأمراء من بنى الأحمر ، وكانت ترد عند تناول المؤرخ أولاد السلطان تحت عنوان "أولاده" فيذكر المؤرخ لسان الدين بن الخطيب المعاصر لدولة بنى الأحمر عند تناوله ترجمة مؤسس الدولة النصرية السلطان محمد الأول بن الأحمر وتحت عنوان أولاده ".... محمد ولى العهد...."(٣). ، ويقصد به محمد بن السلطان محمد الأول وهو الذى تولى عرش المملكة بعد والده ولقب بالفقيه.كذلك يذكر ابن

(١) ابن الخطيب : ريحانة الكتاب ،ص ص ١٢٨ -١٢٩ وعن نص البيعة انظر ملحق رقم (٧) .
(2) Arie, R.: El Reino Nasri , p. 202...
(٣) ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ١،ص ص ٥٤٣-٥٤٤؛ اللمحة البدرية ، ص ٦١.

الخطيب عند ترجمته للسلطان محمد الثانى الفقيه عبارة "..... ولى عهده أبو عبد الله محمد ...." [١] وهو يشير إلى محمد بن محمد بن محمد الذى تولى عرش المملكة بعد والده محمد الثانى الفقيه وهو السلطان محمد الثالث (٧٠١-٧٠٨هـ/ ١٣٠٢-١٣٠٩م). غير أن هذا الأمر وهو العهد بولاية العهد لأحد الأبناء وتوليهم العرش لم يكن أمرًا مسلمًا به فى تاريخ دولة بنى الأحمر فى غرناطة [٢] فكثيرًا ما كان يحدث انقلابًا أو اغتيالاً يتسبب فى نقل الحكم من الفرع الحاكم إلى فرع آخر من فروع هذه الأسرة .

فعلى الرغم من أن السلطان محمد الثانى الفقيه ثانى ملوك بنى نصر ورث والده محمدًا الأول فى الحكم بعد وفاته عام ٦٧١هـ/١٢٧٢م ، كما أن محمد الثالث ورث الملك بعد وفاة والده محمد الثانى الفقيه عام ٧٠١هـ/١٣٠٢م . إلا أن الحكم انتقل فى عام ٧٠٨هـ/١٣٠٩م إلى فرع آخر من فروع العائلة حيث قام السلطان أبو الجيوش نصر بخلع أخيه السلطان محمد الثالث وجلس مكانه على العرش (٧٠٨ هـ - ٧١٣ هـ/ ١٣٠٩م ـ١٣١٤م) [٣].

كما أن السلطان أبو الجيوش نصر شرب من نفس الكأس على يد ابن عم والده السلطان أبى الوليد إسماعيل الذى ثار ضده وتمكن من دخول الحمراء فى ٢١ شوال

(١) ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ١، ص ٥٩٩؛ اللمحة البدرية ، ص ٥٢ .
(2) Arie, R.: El Reino Nasri , p. 202.
(٣) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص ص ٥٥٢-٥٥٣؛ اللمحة البدرية، ص ص ٦٧-٧٠؛
Arie, R.: El Reino Nasri, p.203.

سنة ٧١٣هـ/ ٨ فبراير ١٣١٤م، وفر أبو الجيوش إلى وادى آش، وبذلك تولى السلطان أبى الوليد إسماعيل عرش المملكة (٧١٣-٧٢٥هـ/ ١٣١٤-١٣٢٥م) (١).

أما عن مهام ولى العهد فقد شارك بعض ولاة العهد بعض السلاطين فى مباشرة أمور الحكم، مثال ذلك السلطان محمد الثانى الفقيه(٦٧١ - ٧٠٢ هـ/ ١٢٧٢ - ١٣٠٢م) الذى قام بمشاركة والده السلطان محمد الأول فى أمور الحكم ، فيذكر ابن الخطيب أنه " .... قام بالأمر بعد أبيه، وباشره مباشرة الوزير أيام حياته... " (٢). وكذلك السلطان محمد الثالث(٧٠١-٧٠٨هـ/ ١٣٠٢-١٣٠٩م)، الذى باشر أمور السياسة فى حياة والده السلطان محمد الثانى الفقيه ، ويذكر ابن الخطيب أنه "... تهنأ العيش مدة أبيه، وتملى السياسة في حياته، وباشر الأمر بين يديه.." (٣).

رابعًا: ألقاب الحكام :

تلقب بنو الأحمر فى غرناطة بعدة ألقاب منها لقب أمير المسلمين(٤) . كذلك تلقبوا بالسلطان(٥) ، على غرار ما كان عليه الحال أيام المرابطين. (٦)

كما اتخذ ملوك دولة بنى الأحمر لأنفسهم الألفاظ الملوكية الفخمة، من باب التشريف.مثال ذلك اتخاذ السلطان محمد الأول بن الأحمر لقب أمير المؤمنين(٧) كذلك

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص ٣٨٧؛ اللمحة البدرية، ص ص ٧٦-٧٧.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة، ج١، ص٥٦٥.

(٣) نفس المصدر،ج١، ص٥٥٢.

(٤) ابن الخطيب:الإحاطة، جـ١،ص ١٧٠، ص ٥٦٣؛جـ ٢، ص ٦٠؛ ابن خلدون : العبر، جـ ٧، ص ١٩٠.

(٥) أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس، ص ١٥٦.

(٦) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، جـ ٧، ص ٥٢.

(٧) ابن الخطيب:اللمحة البدرية ، ص ٣٦؛ Arie, R.: El Reino Nasri, p.203.

اتخذ السلطان محمد الثالث لقب المنصور والناصر لدين الله[١]. كما اتخذ السلطان أبو الجيوش نصر لقب المستعين بالله ، والمؤيد والمنصور[٢] . كما اتخذ السلطان محمد الرابع ابن إسماعيل لقب المتوكل علي الله، والقائم بأمر الله[٣] ، كما اتخذ السلطان محمد الثامن لقب المستمسك بالله [٤] . كما حمل بعض السلاطين لقب الغالب بالله مثل مؤسس الأسرة[٥]، والسلطان نصر الذى تلقب بأبى الجيوش نصر[٦].

كما أن الرسائل الديوانية والوثائق الرسمية الخاصة بمراسلات ملوك بنى الأحمر مع ملوك وسلاطين الدول الإسلامية فى المشرق والمغرب [٧] ومع ملوك الممالك المسيحية فى شبه الجزيرة الأيبيرية تدل على اتخاذ سلاطين بنى الأحمر لقب صاحب الحمراء [٨].

وتشهد نقوش ألواح الأضرحة على ألقاب بنى الأحمر. فقد كتب على قبر السلطان محمد الأول الغالب بالله ألقابًا عديدة كانت له وقد كتب عليه " .. هذا قبر السلطان الأعلي عز الإسلام، جمال الأنام..... كاسر الجيوش..... أمير

---

(١) ابن الخطيب:اللمحة البدرية ، ص ٥٥.

(٢) نفس المصدر ، ص ٦٣.

(٣) ابن الأحمر : نثير فرائد الجمان ، ص ٢١٥.

(٤) أحمد محمد الطوخي: مظاهر الحضارة فى الأندلس ، ١٥٧.

(٥) ابن الخطيب:اللمحة البدرية ، ص ٣٠.

(٦) القلقشندي: صبح الأعشي، ج٧، ص٤١٢-٤١٣ ؛ أحمد محمد الطوخي:مظاهر الحضارة فى الأندلس، ص١٥٧؛ Arie, R.: El Reino Nasri, p.200.

(٧) ابن الخطيب: الإحاطة، ج٢، ص١٠٠؛ اللمحة البدرية، ص٤٨، ٤٩.

(8) Alarcon Y L inares: Los Ducoments, pp. 102,104,106.

المؤمنين...... قدوة المتقين ..... شرف الملوك والسلاطين، الغالب بالله، المجاهد في سبيل الله، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر الأنصارى..." (١) .

كذلك تشهد أبواب غرناطة على بعض الألقاب التى اتخذها بنو الأحمر فى غرناطة فقد كتب علي أحد الأبواب " أمر ببناء هذا الباب المسمي بباب الشريعة أسعد الله به شريعة الإسلام كما جعله فخراً باقياً علي الأيام مولانا أمير المسلمين السلطان المجاهد العادل أبو الحجاج يوسف بن مولانا السلطان المجاهد المقدس أبى الوليد بن نصر......"(٢) .

كما اتخذ بعض سلاطين بني نصر ألقابًا لها دلالات خاصة مثل لقب الشيخ الذى اتخذه السلطان محمد الأول لتقشفه وتصوفه وورعه (٣) . كما لقب السلطان محمد الثاني بالفقيه لرعايته للعلم والعلماء ولانتحاله طلب العلم أيام أبيه (٤).

وكذلك لُقّب السلطان محمد الخامس بالغنى بالله بعد عودته منتصرًا من إحدي الحملات الحربية التي قام بها ضد مملكة قشتالة عام ٧٦٨هـ/١٣٦٧م(٥) .كذلك عرف باسم المخلوع ، لخلعه عن العرش علي يد أخيه إسماعيل(٦)،وكذلك اتخذ

(١) محمد كرد علي:غابر الأندلس وحاضرها- القاهرة، ١٩٢٣م، ،ص١٢٥ .

(٢) ابن الخطيب : الإحاطة،ج٢، ص٩٤ ؛ اللمحة البدرية ، ص ٤٣؛ أحمد الطوخي: مظاهر الحضارة فى الأندلس ، ص١٥٧ .

(٣) ابن خلدون: العبر،ج٤، ص٢١٨؛ المقرى : نفح الطيب، جـ ١، ٤٢١.

(٤) ابن الخطيب : الإحاطة،ج١، ص٥٦٥ ؛ اللمحة البدرية ، ص ٣٨؛ ابن خلدون: العبر ، ج٤،ص١٧٢؛ج٧، ص١٩١.

(٥) ابن خلدون: العبر،ج٧، ص ٤٢٣ .

(٦) القلقشندى : صبح الأعشى، جـ٥، ص ٤١٢؛ يوسف شكري فرحات :غرناطة في ظل بني الأحمر ،ص٣٠

السلطان محمد بن سعد لقب الزغل لشجاعته في مقاومة أعدائه(١). ولُقّب السلطان أبو عبد الله الأخير بالزغيبي بمعني البائس وذلك لتعثر حظه(٢).

كما وُصف العديد من سلاطين بنى الأحمر بألقاب مليئة بالمدح والثناء مثل " المجاهد، المقام العلى، صاحب الحضرة العلية، المجاهد في سبيل الله (٣) .الإمام الهمام، الإمام العادل(٤).

أما تسميتهم ببني الأحمر فيرجع إلي شقرة فيهم وأول من تلقب بالأحمر جدهم الأكبر عقيل بن نصر، وذلك لشقرة فيه. واستمر ظهور هذا اللون في بعض أفراد هذه الأسرة مثل محمد السادس الذي تطلق علية المصادر الأسبانية لقب البرميخو Elbermjo ومعناه اللون البرتقالى الضارب إلي الحمرة وهو لون شعره ولحيته (٥).

---

(1) Arie, R.: El Reino Nasri, p.200.

(٢) ولد لأبي الحسن وريثه علي العرش (أبا عبد الله) الذي يعرفه المؤرخون (بو عبدول أو الصغير)، وحين ولادته تنبأ الفلكيون حسب العادة المتبعة آنذاك بسوء طالعه، فقد كتب في الطالع أن هذا الطفل سيجلس علي عرش غرناطة لكن سقوط المملكة ككل سيكون أثناء حكمه .وكدلالة علي ملاحقة هذا الطالع له منذ طفولته نعت أيضا بالزغيبى أي قليل الحظ . عنه انظر. مجهول : أخبار العصر، ص ٦٢.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ٢، ص ٦٦؛ اللمحة البدرية ، ص ٥٥؛ القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ٧ ، ص ص ٤١٣-٤١٩..

(٤) ابن الخطيب: اللمحة البدرية ، ص ص ٣٧، ٥٥؛

(٥) أحمد مختار العبادى : تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٢٧؛ محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام فى الأندلس ، جـ ٧، ص ٥٢؛ أحمد محمد الطوخي:مظاهر الحضارة فى الأندلس ، ص١٥٨؛
Arie, R.: El Reino Nasri, p.200

خامسًا: مهام السلطان :

نهج ملوك بنى الأحمر فى غرناطة نهج سائر ملوك وسلاطين الدول الإسلامية فى المشرق والمغرب فيما يتعلق بمهام وسلطات السلاطين . فكانوا يدينون بمبدأ الحكم المطلق. إلا أنه في وقت الخطر أو فى أعوام الأحداث الخطيرة كان السلطان يستعين برأى الزعماء والقادة .وكان السلطان يستأثر بكل سلطة حقيقية، ويباشر مهام الأمور بنفسه . ويختار رجال دولته ويوزعهم على المناصب والوظائف الإدارية المختلفة كل حسب مؤهلاته وقدراته، فيقلد الألقاب ويوزع الأوسمة وما إلى ذلك من مهام ونشاطات(١)ومن هذه المهام :

- تولية الولاة

يعد اختيار الولاة على رأس المهام السلطانية فى مملكة غرناطة ، خاصة من يتولى منهم المدن الكبيرة ببلاد الأندلس والتى تعد أهم مدن المملكة وقواعدها مثل مالقة والمرية ووادى آش وغيرها من المدن الكبيرة . وكان لولاة هذه المدن عناية خاصة فى اختيارهم فكانوا فى الغالب ينتمون الى الأسرة المالكة إما بالنسب أو بالمصاهرة ويطلق على الوالى منهم مصطلح الرئيس(٢) .

وعلى الرغم من أن ولاية القرابة فى دولة بنى الأحمر فى غرناطة كانت تعمل فى كثير من الأحيان على لم شمل الدولة ومنع الفتنة كانت أيضا مثار للفتن والانقسامات ،ومجلبة للقلاقل الداخلية ،والصراع داخل الأسرة المالكة . وتعد الفتنة

---

(١) ابن الخطيب : الإحاطة جـ ٢،ص٦٢ ؛اللمحة البدرية ،ص٣١ ؛ محمد عبد الله عنان :دولة الإسلام فى الأندلس ،جـ ٧ ، ص ٤٤١ ؛ أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس ،ص١٦٥ ؛
Arie, R.: El Reino Nasri, p.201.

(٢) ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ ١ ،ص ٥٥١ ، اللمحة البدرية،٦٦ ؛ المقرى : نفح الطيب جـ ٩ ،ص٣١٤

التى حدثت فى عهد السلطان محمد الثانى الفقيه (٦٧١ -٧٠١هـ/١٢٧٢-١٣٠٢م) من أقاربه من بنى أشقيلولة[١] أشهر الفتن الداخلية التى وقعت فى مملكة غرناطة وكادت تعصف بهذه الدولة بعد ثورتهم وخروجهم عليه [٢] .

كذلك الفتنة التى قام بها أحد أبناء الأسرة الحاكمة والذى كان يتولى منصب والى مالقة ومُلقب بالرئيس وهو فرج بن إسماعيل ابن عم السلطان محمد الثانى [٣]

---

(١) بنو أشقيلولة، أسرة من المولدين، كان على رأسهم أبو الحسن بن أشقيلولة، أحد زعماء الأندلس. وهذا الاسم ليس عربيًا، وإنما من أصل أسبانى. ولقد ساندوا ابن الأحمر ضد ابن هود، وتوثقت الصلات بينهم وبين بنى الأحمر بالمصاهرة، حيث تزوج ولدا أبى الحسن بن أشقيلولة من ابنتى محمد ابن الأحمر مؤمنة وشمس، وولى الأول وادى آش، والثانى مالقة، وبعد ذلك أعطى ابن الأحمر وعدًا لابن عمه الرئيس أبى سعيد بن إسماعيل بولاية مالقة، فغضب أبو محمد بن أشقيلولة، وأعلن استقلاله بمالقة فحاصرهم، ولكن دون جدوى، ولما توفى ابن الأحمر وتولى ابنه الفقيه، تفاقمت المشكلة بينهما، ولما عبر السلطان المرينى أبو يعقوب يوسف إلى الأندلس عام ٦٧٤هـ / ١٢٧٥م ، تنازلوا له عن مالقة نكاية فى خالهم السلطان الفقيه . .انظر: ابن أبى زرع : الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية – تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، ١٩٧٢م ، ص ١٣٧؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق٢ ، ص ص ٢٧٧-٢٩١.

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، جـ ٢، ص٢٨٧ ؛ الإحاطة جـ ١ ، ص ٥٦٣-٥٦٤ ؛اللمحة البدرية ، ص ٥٧؛ أحمد محمد الطوخى : مدينة شلوبانية الأندلسية فى عصر بنى الأحمر – الإسكندرية ، ١٩٨٧م، ص ١٤.

(٣) نشب خلافٌ بين الرئيس فرج بن إسماعيل من كبار رجال بنى الأحمر، وبين السلطان أبى الجيوش نصر، منذ أن تولى حكم مملكة غرناطة، حيث كان الرئيس فرج بن إسماعيل والياً على مالقة والجزيرة وأحوازهما ، ولما تولى السلطان نصر، أوغر الناس صدره من الرئيس فرج، فدعا لولده إسماعيل سلطاناً على غرناطة. وبدأت الحرب بين الفريقين، وزحف جيش الرئيس وابنه إسماعيل إلى غرناطة، وهزم جيش السلطان، ثم عاد إلى مالقة، وذلك فى سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م، ثم صالحه بعد ذلك لقلة المال معه، ثم بعد مصالحة السلطان نصر للقشتاليين ثار أهل غرناطة، فانتهز الرئيس وولده الفرصة، وشنوا

والد السلطان أبو الجيوش نصر(٧٠٨-٧١٣هـ/ ١٣٠٩-١٣١٤م) التى حدثت الفتنة فى عهده . وعن هذه الفتنة يذكر ابن الخطيب :" ...وما كاد أهل الأندلس يستنشقون ريح العافية حتى نشأ نجم الفتنة،، ونشأت ريح الخلاف ،واستفسد وزير الدولة ضمائر أهلها ..... وأظهر الرئيس ابن عم الأب صاحب مالقة أبو سعيد بن إسماعيل صنو الغالب بالله بن نصر الامتساك بما كان بيده، والدعاء لنفسه، وقدم ولده الدائل إلى طلب الملك...." (١)

- تعيين أرباب الوظائف السامية :

كان من بين أهم مهام السلطان أيضًا تعيين أرباب الوظائف المهمة فى الدولة وكان يتولى ذلك بنفسه ، وعلى رأس الوظائف الحيوية ذات الأهمية بالنسبة لموقعها من السلطان هم الوزراء فيقوم باصطفاء الوزراء الأصفياء، الذين هم رجال الدولة الأُوَل، وأرباب السياسة . فهم شركاء السلاطين والأمراء فى الأمر والنهى والإثراء بالسر والجهر (٢).

كما كان السلطان يعمد إلى اختيار الكتاب المهرة الذين لا يقلون وزنًا عن الوزراء فهم لسان حال الدولة، وأقلام ألسنتها، يسجلون المآثر والمفاخر ،ويدبجون

الحرب على مدينة غرناطة ، وحاصروا السلطان أبى الجيوش نصر فى الحمراء، ثم تصالح معهم على الرحيل إلى وادى آش فوافقوا على ذلك. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص ص ٣٨٤-٣٨٧؛ اللمحة البدرية، ص ص ٨٢-٨٤.

(١) ابن الخطيب :الإحاطة ،جـ ٣ ،ص ٣٣٩-٣٤٠ ؛ اللمحة البدرية، ص٧٥.

(٢) ابن الخطيب : الإحاطة جـ ٢ ،ص٦٣؛ اللمحة البدرية ص٣٢؛
Arie, R.: El Reino Nasri, p.200 .

المراسيم والظهائر ، ويقفون على ما تخفى صدور الأمراء وما تنطوى علية السرائر. وفى دولة بنى الأحمر كثيرًا ما اتحدت الكتابة والوزارة فتقلدها رجل واحد أثير [١].

كما كان السلطان يقلد أهل الاختصاص والتمييز فى الخطط الشرعية المختلفة ،فيعين القضاة على مختلف المدن والأمصار ، ويختار منهم قاضى الجماعة وهو رئيس القضاة . كما كان يعين خطباء المساجد الجامعة فى المدن الكبرى فى المملكة . كما كان يختار السفراء المبعوثين من المملكة إلى الدول سواء كانت الدول الإسلامية أم المسيحية كما كان يختار الفقهاء الأقوياء للحسبة. ولموزعى الأرزاق أهل البراعة فى العدد والحساب . وكان يقوم بتعيين ولاة الإشراف والأشغال المخزنية ، وولاية خطة المواريث والأعمال السلطانية فى كافة النواحى والجهات. وكذلك كان السلطان يدقق فى جمع الأموال والجبايات . ويباشر حسابات العمال بنفسه، ،مثال ذلك ما ترويه المصادر من أن محمد بن على السكان ، الذى كان "خازن للطعام بوادى آش ، قد حوسب على أموال ، فشط قبله السلطان أربعون ألف قدح. وكان السعر إذ ذاك غاليًا ، فثمنت الأقداح علية بأربعين ألف دينار وسجن فيها بغرناطة [٢] .

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة ،جـــ ٢،ص٥ ؛ القلقشندى :صبح الأعشى ،جـــ ١،ص ٥٤-٥٥.

(٢) ابن الخطيب : الإحاطة ،جـــ ٢، ص٦٢ ؛اللمحة البدريةص٣١؛
Arie, R.: El Reino Nasri, p.200

- إصدار الظهائر

كما أنه من صلاحيات الملك أيضا إصدار الظهائر ،وهى قوانين وتشريفات وامتيازات يخص بها أصحاب الوظائف العليا كالوزراء والقضاة والكتاب وغيرهم من ذوى المناصب المختلفة (١) .

- ختم الرسائل والظهائر

كما كان من صلاحيات الملك والسلطان فى هذه المملكة توقيعه بخط يده أو ختم على جميع المكتوبات والوثائق والسجلات الصادرة عن الديوان، وهى خصيصة خص بها ملوك هذه الدولة دون غيرهم، وكان توقيع بنى الأحمر فى أول الأمر " لا غالب إلا الله " ثم أصبح "وكتب فى التاريخ" ثم انتقلوا بعد ذلك وكتبوا علامتهم "صح هذا" (٢)

- زيارات التفقد

كما كان السلطان يعمل رحلات بين السنة والأخرى ضمن الركاب السلطانى والموكب الملوكى يتفقد من خلالها الأقطار والأمصار، كتلك التى قام بها السلطان يوسف الأول فى الجهات الشرقية ، والتى يقول عنها ابن الخطيب فى ثنايا الترجمة

---

(١) رابح عبد الله المغراوى : تاريخ الأوضاع الحضارية فى مملكة غرناطة تاريخ الأوضاع الحضارية لمملكة غرناطة من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين بن الخطيب (٧١٣ هـ/ ٧٧٦ هـ)- حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية ، الكويت، ٢٠٠٠م ، ص١٢٣؛
Arie, R.: El Reino Nasri, p.199.

(٢) ابن خلدون :المقدمة ،ص١٧٤؛ القلقشندى: صبح الأعشى ،جـ٨ ،ص١٠٩ ؛
Alarcon Y L inares: Los Ducoments,pp.102,104,106.

للرحالة خالد بن عيسى بن إبراهيم البلوى:" وجرى ذكره فى الرحلة التى صدرت عنى فى صحبة الركاب السلطانى عند تفقد البلاد الشرقية..." (جزر البليار) [١].

- قيادة الجيش

وكذلك كان من مهام السلطان أيضا مباشرة الحروب بنفسه وقيادة الجيش للجهاد ، وقد ثبت هذا فى حق أغلب السلاطين النصريين إن لم نقل جميعهم لحالة القلق التى كانت الأندلس عليها لتبدل الأحوال وتنامى شوكة النصارى، وتكالبهم على استرداد القواعد [٢].

- مجالس الملك:

كان للملك مجالس مختلفة يعقدها للنظر فى الشئون المتباينة حسب ما يقتضيه الحال ،ومن هذه المجالس :

١- مجلس المواجهة (المظالم)

حيث يواجه المجلس المتخاصمين ، ويقابل المتظلمين بحضور القضاة والشهود والمعنيين ويعاين المحاكمة، ويساهم فى الفصل بين المتنازعين [٣] ،وقد يقطع بالحكم الفصل وهو المعنى بالأمر قبل غيره من الحاضرين ،ويذكر ابن الخطيب نصًا تناول ما يتعلق بهذا المجلس من أمور، والنص خاص بالسلطان محمد الأول

---

(١) ابن الخطيب : الإحاطة ،جـ١ ،ص٥٠٠-٥٠١ ، خطرة الطيف فى رحلة الشتاء والصيف – ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب – تحقيق د/ أحمد مختار العبادى، الإسكندرية، ١٩٨٣م ،ص ٢٥-٥٣ ؛ أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس ،ص١٦٦؛

Arie, R.: El Reino Nasri, p.199.

(٢) ابن الخطيب :اللمحة البدرية البدرية ،ص٤٢ ؛ أحمد محمد الطوخى : مظاهرة الحضارة فى الأندلس ، ص٦٧-٦٨.

(٣) أحمد محمد الطوخى: مظاهر الحضارة فى الأندلس ،،ص١٦٧ ؛

Arie, R.: El Reino Nasri, p.203

الغالب بالله مؤسس المملكة . كما يكشف المدة الزمنية التى كان يخصصها لأمور رعيته . فيقول ابن الخطيب :" ..... وكان يعقد للناس مجلسًا عامًا، يومين فى كل أسبوع فترتفع إليه الظلامات ويشافه طالب الحاجات، وينشده الشعراء وتدخل الوفود وأرباب النصائح فى مجلس اختص به أهل الحضرة، وقضاة الجماعة، وأولى الرتب الشبيهة فى الخدمة ، بقراءة أحاديث من الصحيحين ، ونختم بأعشار من القرآن . ثم ينتقل إلى مجلس خاص ينظر فيه فى أموره، فيصرف كل قصد إلى من يليق به ذلك...." [١].

٢- مجلس الرقاع

وهو المجلس الذى ينظر فى مضامين الرسائل المختلفة الواردة من الجهات المختلفة سواء داخل المملكة أو خارجها ،وقد تكون عبارة عن تقارير تطلع الملك على شئون المدن والولايات المختلفة ،أو رقاعًا تقرر المودة وتذكر بالولاء، أو أخبار عن تحركات الأعداء والمناوئين إلى غير ذلك[٢].

٣- مجلس التهانى

مجلس يعقد فى مناسبات الأفراح والمسرات [٣]، تفد فيه الوفود المختلفة من داخل المملكة،وقد تكون من خارجها ،تقدم آيات التهانى مثل التهانى بالولادات والأعذار،وكذلك التهانى بالانتصارات والفتوح فى المعارك والحروب، فقد كانت المملكة فى صراع دائم مع العدو النصرانى[٤].

٤

---

(١) ابن الخطيب :الإحاطة، جـ٢ ،ص٩٥،اللمحة البدرية البدرية، ص٤٤.

(2) Arie, R.: El Reino Nasri, p.202.

(٣) ابن خلدون :التعريف بابن خلدون ، ص٨٨ .

(4) Arie, R.: El Reino Nasri, p.201..

- مجلس الرسل والسفارات الواردة

ينعقد بمناسبة ورود الرسل والسفراء ،وقد يكون السفراء قادمين من دول الإسلام المجاورة، أو من دول العدو المتاخمة، وقد يكون الرسل هم سفراء الإيالة عند عودتهم من قضاء سفارتهم إلى الدول المجاورة ، إذ يكون لذلك حفاوة خاصة وتنويه متميز لأهميته فى أغلب الأحيان ،وخاصة إذا كللت السفارة بالنجاح (١) .

٥- مجلس المبايعات

المجلس الذى كان ينعقد للأعيان والولاة والقضاة والفقهاء والكتاب والأدباء والشعراء والأشياخ وكافة رجال الدولة المرموقين ،يقدمون من خلاله تهانيهم للأمير المتربع على عرش المملكة. وعن هذا المجلس يذكر ابن الخطيب " .... فاجتمع منهم طوائف الخاصة والجمهور، ما بين الشريف والمشروف والرؤساء أولى المنصب المعروف، وحملة العلم وحملة السيوف والأمناء ومن لديهم من الألوف وسائر الكافة...... فعقدوا له البيعة الوثيقة الأساس..." (٢).

- **الرسوم الملكية**

لم يتخذ سلاطين بنى الأحمر فى غرناطة فى عهد محمد الأول الغالب بالله خطة للعلامة أو كاتبًا لها ، كما كان لغيرها من الدول المعاصرة . بل كان السلطان يوقع بيده على السجلات الرسمية(٣).

وكان القرار عادة يكتب فى نفس هذه السجلات ويسمى التوقيع ، وكان توقيع بنى الأحمر فى أول الأمر " لا غالب إلا الله " ينتشر فى كل مكان–فى العصائب المنقوشة

---

(١) أحمد محمد الطوخى: مظاهر الحضارة فى الأندلس ،،ص١٦٧ .

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة ، جـــ٢، ص ٩٩ .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ،ص٢٤٢.

التى كانت تحيط بالأبواب والنوافذ ، أو التى كانت فى أبواب الحمراء وحول عقودها ، أو النقوش الحائطية وتيجان الأعمدة وقطع العملة [١]. ثم أصبح " وكتب فى التاريخ" . ثم انتقلوا بعد ذلك وكتبوا علامتهم "صح هذا"[٢].

وفى ذلك يقول شاعر الحمراء عبد الله بن زمرك فى مدح السلطان محمد الخامس

يا إمــامــا قد اتخذناه   من الدهر مـــــــــــلاذا
خــط يمناك ينـــــادى   صح هذا صــــــــح هذا[٣].

وكانت بعض توقعات سلاطين بنى الأحمر تمتاز بخفه الروح وحرارة النادرة مثال ذلك توقيع السلطان محمد الفقيه على رقعة شخص كان يطلب صرف بعض الشهادات المخزنية (الحكومية) ويلح فيها

يموت على الشهادة وهو حى   إلـــــهـــــــى لا تمته على الشهادة

وأطال الخط عند لفظ إلهى ، إشعاراً بالضراعة عند الدعاء [٤].

وهناك توقيع آخر للسلطان محمد الثانى الفقيه ، إذ تظلم شخص من أن جنديًا أوى إلى بيته وحاول اغتصاب زوجته فكتب الفقيه فى التوقيع يخرج هذا النازل ولا يعوض بشئ من المنازل [٥].

---

(١) أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس ،١٥٩.

(٢) نفس المرجع والصفحة؛

Alarcon Y L inares: Los Ducoments, pp. 102,104,106.

(٣) ابن الخطيب : اللمحة البدرية ،،ص٥١؛ أحمد مختار العبادى :دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ،ص٢٢٩– ٢٣٠.

(٤) ابن الخطيب : اللمحة البدرية ،،ص٥١ .

(٥) المقرى : نفح الطيب ،ج٧ ،ص ٢٠٧– ٢٠٨ .

أما عن استخدام التاج فلم يكن بنى نصر يضعون التاج، الذى كان استخدامه معروفاً فى القرن السابع الهجرى/الثالث عشر الميلادى لدى معاصريهم مثل ملوك الحفصيين فى تونس وغيرهم. ولم يرد ذكر التاج فى كتابات المؤرخين المسلمين عن ملوك بنى الأحمر فى غرناطة. . فى حين يذكر ابن الخطيب أن السلطان الغرناطى محمد الأول (٦٣٥ - -٦٧١ هـ/١٢٣٨-١٢٧٢م) كان يسير بين الناس ورأسه عارية. وتبعه فى هذا التقليد السلطان أبو سعيد البرميخو(٧٦١- ٧٦٣هـ / ١٣٦٠-١٣٦٢م)[١].

كما كان بعض سلاطين بنى نصر يضعون العمامة ، فعندما سقط السلطان أبو الوليد إسماعيل (٧١٣-٧٢٥هـ/ ١٣١٤-١٣٢٥م) تحت طعنات قاتله كان يضع عمامة على رأسه . كما يظهر محمد الثانى عشر(٨٨٧-٨٩٧هـ/١٤٨٢-١٤٩٢م) بعمامة من كتان أبيض[٢] فى صورة له محفوظة فى متحف الفن بمدريد[٣].

وقد اتخذ بنو نصر من اللون الأحمر شعاراً لهم فى لون قصورهم ، وقبابهم أو خيامهم والورق الذى يكتبون علية ظهائرهم ورسائلهم السلطانية [٤] ، وزيهم . فتظهر المدونات القشتالية محمد السادس البرميخو مرتدياً تنورة حمراء عندما أمر

(١) ابن الخطيب : نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب – تحقيق د/ أحمد مختار العبادى، القاهرة، ١٩٦٧م ،ص ١٨٣.

(٢) المقرى : نفح الطيب ،ص ٣ ،ص٣٦٥؛ أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس ، ص ١٦٠ .

(٣) أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس ، ص ١٦٠.

(٤) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص٣٠٩؛ الإحاطة ،ج٢ ،ص١٥ .

الملك القشتالى بدرو الأول Pedro I (٧٥١-٧٧٠هـ/ ١٣٥٠-١٣٦٩م) بقتله بأشبيلية عام ٧٦٣هـ /١٣٦٢م [١] .

كذلك جعلوا اللون الأحمر لوناً لأعلامهم وراياتهم [٢]، فنجد الوزير ابن الحكيم الرندى يتغنى باستيلاء الغرناطيين على قيجاطة Quesada[٣] فى عام ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م ، فى رسالة له مشيراً إلى أن المسلمين كانوا يرفعون فوق أبراجهم وأسوارها أعلامهم الحمراء [٤] .

أما عن الموكب الملكى واستقبال الشعب لسلطانه، فكان السلطان محمد الخامس قد استحدث الآلة [٥] ، وكان يرافق موكب السلطان حرس خاص يسمى الساقة ترافقه الطبول وسبعة بنود [٦] .

---

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٣٠٩ ؛ الإحاطة ، جـ ٢ ، ص ٣٠ ؛ اللمحة البدرية : ص ١٢٩؛ المقرى : أزهار الرياض ، جـ ١ ، ص ٢٢٤ ؛ أحمد مختار العبادى :تاريخ المغرب والأندلس، ص ٤٣٨

(٢) أحمد مختار العبادى: تاريخ المغرب والأندلس، ص٢٢٧؛ سحر السيد عبد العزيز سالم: الألوية والرايات والبنود والأعلام فى الأندلس فى العصر الإسلامي- دورية كلية الآداب جامعة المنصورة، العدد١٦، ١٩٩٥، ص٢٥٤.

(٣) قيجاطة Quesada: إحدى المدن التابعة لولاية جيان Jaen. انظر: الحميرى: الروض المعطار، ص ١٦٥.

(٤) ابن الخطيب : الإحاطة ،ج٢ ،ص٤٤٤.

(٥) الآلة هى تشر الألوية والرايات وقرع الطبول والنفخ .... لمزيد انظر ، ابن الخطيب : الإحاطة ،ج٢،ص٣

(٦) ابن الخطيب :خطرة الطيف ضمن مشاهدات ،ص٤٣.

ويذكر ابن الخطيب أنه فى عام ٧٥٥هـ / ١٣٥٤م ، عند عودته مصاحباً للسلطان أبى الحجاج يوسف الأول (٧٣٣-٧٥٥هـ/١٣٣٣-١٣٥٤م) ، من رحلة تفقدية للحدود الشرقية للمملكة استقبل تجار الروم السلطان استقبالاً حاراً(١). ومر الموكب الملكى للسلطان الغرناطى تحت مظلة من الديباج ، مرفوعة على أعمدة من خشب العاج (٢)، فى منظر مهيب ، وكان للسلطان هودج على حصان خاص ، (٣).

ويضيف ابن الخطيب أن الجنود الغرناطيين كانوا يمرون أمام السلطان يوسف الأول فى المرية ناشرين البنود الشهيرة الألوان (٤) . كما يذكر أنه فى مدينة بسطة Baza(٥) "...وقع النفير وتسابق إلى لقائنا الجم الغفير ، مثل الفرسان صفاً ، وانتشر الرجل جناحًا ملتفًا ، واختلط الولدان بالولائد ، والتمائم بالقلائد ...." (٦)

كذلك نجد وصفاً لموكب للسلطان محمد الخامس فى فاس عندما شرع ليعود إلى الأندلس بعد الفترة التى قضاها فى بلاد المغرب حيث يذكر ابن الخطيب "... أن السلطان جلس...... واستحضرت البنود والطبول والآلة وألبس خلعة الملك(٧) ".

---

(١) ابن الخطيب :خطرة الطيف ضمن مشاهدات،ص٢٣-٥٣.

(٢) نفس المصدر ،ص٤٤.

(٣) نفس المصدر والصفحة.

(٤) نفس المصدر ،ص٤٣.

(٥) مدينة بسطة Baza : مدينة أندلسية تقع بالقرب من وادى آش . تتبع كورة جيان وهى قريبة منها أيضًا. مشهورة بكثرة البساتين بها . انظر : الحميرى : الروض المعطار، ص ص ١١٣-١١٤.

(٦) خطرة الطيف ضمن مشاهدات ،ص٣٢.

(٧) ابن الخطيب : نفاضة الجراب ،ص١٨٤.

أما عن حرس السلطان فقد كان له حرس خاص [1]،من جنود يرجعون إلى أصل مسيحى يطلق عليهم اسم "المعلوجين" [2]، أو "المماليك" [3].فيذكرابن الخطيب أن مملوك للسلطان محمد الأول يدعى صابراً الكبير هو الذى أعاده إلى غرناطة وهو يحتضر بعد معركة عنيفة مع الخارجين عليه من كبار الزعماء [4].

كما أن أحد هؤلاء المماليك ويدعى زيان هو الذى قتل السلطان محمد بن إسماعيل فى ١٣ ذى الحجة سنة ٧٣٣هـ/ ٢٥ أغسطس ١٣٣٣م[5].

كذلك يذكر ابن الخطيب أنه أثناء رحيله هو والسلطان محمد الخامس إلى بلاد المغرب بعد خلعه فى عام ٧٦١هـ/١٣٦٠م ، رافقه مائة مملوك حيث أظهروا له هناك ولاءً بلا حدود حتى إذا ما استرد عرشه جمع منهم أعدادًا كبيرة واعتمد عليهم[6] .

ومن العادات الرسمية فى دولة بنى الأحمر الاحتفال بانتقالات الموكب السلطانى حين خروجه إلى بعض المناطق زائرًا ومتفقدًا . فيذكر ابن الخطيب أنه خرج "..... فى صحبة الركاب السلطانى عند تفقد البلاد الشرقية....... تتلقى

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، ص ٦٨.

(٢) ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص ص ٢٦٣.

(٣) نفس المصدر ،ج١ ، ص٣٧٩.

(٤) ابن الخطيب : الإحاطة ،ج١،ص٥٥٥؛ نفاضة الجراب ، ص٢٠٢.

(٥) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص ص ٢٩٧-٢٩٩؛ الإحاطة، جـ١، ص ص ٥٤٠-٥٤١ ؛ اللمحة البدرية، ص ص٩٦-٩٧؛ ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص ص ٢٦٣-٢٦٤.

(٦) ابن الخطيب : الإحاطة ،ج٧ ، ص٣٧٩.

ركابنا الأفواج ، وتحيينا الضاب والفجاج إلى قنتورية[١]، فناهيك من مرحلة قصيرة كأيام الوصال ، قريبة البكر من الآصال ، كان المبيت بإزاء قلعتها السامية الارتفاع ، الشهيرة الامتناع ، وقد برز أهلها فى العديد والعدة ، والاحتفال الذى قدم به العهد ، على طول المدة صفوفاً بتلك البقعة ، خيلاً ورجلاً كشطرنج الرقعة ، لم يتخلف ولد عن والد.....[٢] .

كذلك كانت هناك الحفلات والمسرات التى تبعث عليها الأعياد الدينية المختلفة والولائم الدنيوية كالعقيقة والختان وختم حفظ القرآن بالنسبة إلى الولائد والولدان ، التى وصفهم فيها ابن الخطيب بالاقتصاد والتوسط وعدم البذخ قال "....وأعيادهم حسنة ، مائلة إلى الاقتصاد.... [٣].

سادسًا: حياة السلطان الخاصة :

اتخذ سلاطين بنو الأحمر من مدينة غرناطة عاصمة لهم ، وكان السلطان محمد الأول مؤسس دولة بنى الأحمر قد رأى أن ينشئ حصناً يحتمي به، ويقيم فيه، فاختار برجاً قديمًا على الضفة اليسرى لنهر حدرة. فوق تل تربته حمراء.[٤]. وسرعان ما أحاطوا هذا المقر الملكى بالأبراج والأسوار والأبواب للدفاع عنه ، حتى

---

(١) قنتوريةCantoria بلدة تقع جنوب "برشانه" Purchana على نهر المنصورة ، وصفها ابن الخطيب بقولة (.... يجود بها الجبن والعسل ، ومن دونها الأسل ، وأما عن الخبر فلا تسل ، وإن كانت أحسن شكلاً ، فأقل شرباً و أكلاً ، وأجفى أهلاً ، وأشد جهلاً وأعدم علاً ونهلاً ، وأهلها شرار...) لمزيد انظر : ابن الخطيب: معيار الأختيار ،ص١٠٥- ١٠٦ .

(٢) ابن الخطيب : الإحاطة ،ج١، ص٥٠٠-٥٠١ ، خطرة الطيف ضمن مشاهدات ، ص٢٥ -٥٣ .

(٣) ابن الخطيب : الإحاطة ،ج١ ،ص١٣٧ .

(4) Arie, R.: El Reino Nasri, p.199.

أصبح بعد ذلك حصن الحمراء، أو قلعة الحمراء(١) ، مقر الملك ، تشرف على المدينة ب "....الشرفات البيض، والأبراج السامية ، والمعاقل المنيعة ، والقصور الرفيعة، تغشى العيون ، وتبهر العقول ...(٢)".

وكان سلاطين بنى الأحمر يقضون فصل الشتاء فى قلعة الحمراء (٣).وفى فصل الصيف كانوا يفضلون الانتقال إلى قصر آخر هو قصر جنة العريف(٤)، حيث".. الحدائق الوارقة الظلال والنافورات الرائعة الجمال.."(٥) .

---

(١) يقع قصر الحمراء فى الجانب الشمالى الشرقى من مدينة غرناطة، ويعود تاريخ إنشاءه إلى بداية دولة بنى الأحمر، حيث أمر ابن الأحمر بإنشائه بعد استقرار الأمر له فى غرناطة، وفى عهد ه تم إنشاء القصر، وبعض الأبراج المنيعة، وأنشأ سوراً حولها، ثم أمر ابنه محمد الثانى الفقيه باستكمال الحصن، والقصر الملكى، وشيد محمد الثالث بناء المسجد الجامع، ولكن يعتبر عصر السلطان أبو الحجاج يوسف هو العصر الذهبى لإنشاء قصر الحمراء، ثم أكمله ابنه محمد الخامس. انظر: محمد بلبع: غرناطة وقصر الحمراء- القاهرة، ١٩٦٩م، ص٧٨ ؛ السيد عبد العزيز سالم: فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس- الإسكندرية، ١٩٨٩م، ص ص ٢٠٤-٢٠٦؛ أحمد محمد الطوخى: مظاهر الحضارة، ص ص ٦٠-٦٣.

(٢) ابن الخطيب : اللمحة البدرية ،ص١٤.

(3) Arie, R.: El Reino Nasri, pp199-200..

(٤) قصر جنة العريف : يعرف بالأسبانية El-Generalife ويقع على ربوة عالية، علـى مقربـة مـن قصر الحمراء، ويطل عليه. جدده السلطان أبو الوليد إسماعيل، وأضاف عليه ٠ ويرجع تاريخ تشييده إلى أواخر القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى، ويطل أيضاً على قمم جبال سيرا نيفـادا ٠ اتخـذه سلاطين غرناطة مصيفا أو متنزهاً لهم ٠ انظر: المقرى: أزهار الرياض ، جـ ١ ، ص ١٩٥ ؛ السـيد عبد العزيز سالم : المساجد والقصور بالأندلس – سلسلة اقـرأ ، العـدد١٩٠، ١٩٥٨م ، ص ص ١٢٤ – ١٢٥ .

(٥) ابن الخطيب : اللمحة البدرية ،ص١٠٩.

وكما هى العادة فى كل الدول الإسلامية كان يحيط بالسلطان رجال الحاشية .ويجتمع لديه أشراف البلاد فى أيام الأعياد والمناسبات. [١] غير أن سلاطين بنى الأحمر لم يصنعوا لأنفسهم هالة من العظمة .ومما يؤكد ذلك هو ما ذكره المؤرخ والوزير الغرناطى لسان الدين بن الخطيب الذى بالغ فى مدح زهد وورع السلطان محمد الأول مؤسس المملكة ، فيذكر أنه "... كان يؤثر التقشف ... يخصف النعل ويلبس الخشن ..."[٢] ويصفه عند دخوله غرناطة عام ٦٣٥هـ/١٢٣٨م بأنه كان فى منظر متواضع فهو يرتدى " ....شاية مضلعة ، أكتافها ممزقة...".[٣]

أما السلطان محمد الثانى الفقيه فكان يتصف بعدله بين الناس ، وثقافته فى شتى العلوم [٤]. وكان السلطان أبو الحجاج يوسف الأول يميل فى حكمه إلى العدل والإصلاح[٥] . كما أن السلطان محمد الخامس كان متواضعًا يسير فى حاشية صغيرة فى شوارع العاصمة مرتديًا ملابس غير مترفة ... فأنست العامة بقربه ، وسكنت الخاصة إلى طيب نفسه.." [٦]. وكان السلطان محمد السادس البرميخو يسير على أقدامه فى غرناطة عارى الرأس ، مشمرًا عن ساعديه ، مخاطبًا العامة فى الطريق[٧]

---

(١) المقري: نفح الطيب ، ج١٠،ص٤٧.
(٢) ابن الخطيب : الإحاطة ،ج٢ ،ص٦١؛ اللمحة البدرية ، ص٣٠ ،
(٣) ابن الخطيب : الإحاطة ،ج٢ ،ص٦١؛ اللمحة البدرية ، ص٣٠ ،
(٤) ابن الخطيب : اللمحة البدرية ،ص٣٨.
(٥) ابن الخطيب : اللمحة البدرية ،ص ٨٩.
(٦) نفس المصدر،ص ١٠١.
(٧) ابن الخطيب :نفاضة الجراب ، ١٨٣.

كما كان من بين عادات سلاطين بنى الأحمر فى غرناطة الخروج للصيد فى الصباح الباكر يمتطون صهوة جيادهم وتساعدهم كذلك النسور فى الصيد ، ويستخدمون الرماح (١).

وكانت هواية الصيد يهتم بها الأمراء والفرسان من رجال الدولة على وجه الخصوص إمعانًا فى الفروسية ." (٢) فقد كان السلطان أبا الوليد إسماعيل منقطعًا إلى الصيد (٣). كما أن السلطان محمد بن إسماعيل كان مغرمًا بالصيد أيضًا (٤).

أما عن ثقافة وتعليم سلاطين بنى الحمر فقد نبغ منهم أدباء وشعراء كبار ، فقد كان السلطان محمد الثانى الفقيه بارعًا فى نظم الشعر ، وتشجيعه للعلم والعلماء من الأطباء والمنجمين والحكماء ، والكتاب والشعراء(٥). ويذكر ابن الخطيب أن السلطان محمد الثالث كان "... يقرض الشعر ، ويصغى إليه ، ويثيب عليه ، فيجيز الشعراء ، ويرضخ للندماء ، ويعرف مقادير العلماء..." (٦). أما السلطان أبو الجيوش نصر فكان "...محباً للعلم وأهله ،عالمًا فى الفلك يصنع الآلات العجيبة بنفسه.." (٧) . كما كان السلطان محمد بن إسماعيل " ....يحب الأدب ويرتاح إلى الشعر.." (٨) ..

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، ج١٠ ،ص١٣-١٧.

(٢) ابن الخطيب : الإحاطة ،٤،٢٤٦-٢٤٧.

(٣) ابن الخطيب : الإحاطة ،ج١ ،ص٣٥٦ ؛ اللمحة البدرية ،ص ٦٥ .

(٤) ابن الخطيب: اللمحة البدرية ،ص ٦٥ ،ص ٧٧.

(٥) نفس المصدر،ص ٥١.

(٦) ابن الخطيب: اللمحة البدرية ،ص ص ٦١-٦٢.

(٧) نفس المصدر،ص ٧٠.

(٨) نفس المصدر،ص ٩٠.

كذلك قام السلطان يوسف الثالث حفيد الغنى بالله بوضع ديوان من الشعر يتناول قصائد فى الغزل والنسب والوصف والحماسة والفخر والمدح والرثاء[(١)].

وكان سلاطين بنى نصر كذلك مشجعين للأدباء والشعراء فيعقدون المجالس العلمية [(٢)] ، ويقصدهم الشعراء فى الأعياد والمناسبات الأخرى فيمنحونهم الهبات والصلات ، ويقدمون إليهم وإلى كبار موظفى البلاط هدايا من زهور وفاكهة وكتب وملابس [(٣)]. فقد أهدى السلطان محمد الخامس عباءة صنهاجية من لون أحمر مزينة بزخارف من الطير إلى ابن خلدون [(٤)]. ونجد الرحالة الطنجى ابن بطوطة حين وصوله إلى مدينة غرناطة تلقى هدية من والدة السلطان أبى الحجاج يوسف لأن السلطان كان مريضًا. [(٥)]

ويتعلق بحياة سلاطين بنى الأحمر الخاصة أيضًا انهماك بعضهم فى حياة اللهو والترف والملذات وخاصة فى فترات الضعف . فيذكر ابن الخطيب فى ترجمته للسلطان محمد بن إسماعيل بأنه " .... كان رئيس السراق وعريف الخراب ، إمام الشر ....رفعت إليه امرأة من البدو شكوى تدعى أنها سرقت دارها فقال :إن كان ليلاً بعدما سد باب الحمراء على وعلى ناسى ، فهى والله كاذبة ، إذ لم يبق سارق فى

---

(١) يوسف الثالث: ديوان ملك غرناطة يوسف الثاللث- تحقيق محمد عبدالله كانون، القاهرة،١٩٦٥، ص ٥ .

(٢) ابن الخطيب :الإحاطة ،ج١ ، ص٣٥٣.

(٣) المقرى : نفح الطيب ،ج١٠ ، ص ٨٣-٨٥ .

(٤) المقرى : نفح الطيب ،ج١٠ ، ص١٤٢ .

(٥) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة- بيروت، ١٩٩٢م ،ص٣٧٠ .

الدنيا ، أو فى البلاد .... " [١] . كما انهمك السلطان أبو الحسن على فى حياة اللهو والترف ، وانشغل بالملذات وانهمك فى الشهوات ، فكان ذلك سببًا فى ثورة الغرناطيين عليه وخلعه فى عام ٨٨٧هـ/١٤٨٢م [٢].

سابعًا: الاغتيالات والانقلابات فى الأسرة الحاكمة:

ساد نظام الحكم المطلق فى مملكة غرناطة مثلها مثل العديد من الدول والممالك الإسلامية ، وكثيرًا ما كان يتسبب هذا النظام فى نشوب الانقلابات والاغتيالات ، وبخاصة فى عصر الملوك الضعاف[٣]. ،ويرجع السبب فى ذلك إلى استئثار بعض الزعماء الأقوياء والأسر ذات العصبية،بحكم المدن والثغور ،فكان ذلك يتسبب فى ثورة الشعب الغرناطى . كما أن رغبة بعض الطامحين فى الجلوس على عرش المملكة تسببت أيضًا فى العديد من الانقلابات والاغتيالات كما سيتضح فى الصفحات التالية [٤].

وكان أول الانقلابات التى شهدها تاريخ مملكة غرناطة هو انقلاب عام ٧٠٨هـ/ ١٣٠٩م،والذى قام بتدبيره الأمير أبو الجيوش نصر شقيق السلطان محمد الثالث(٧٠١-٧٠٨هـ/ ١٣٠٢-١٣٠٩م) ، وعاونه فيه كبار رجال الدولة -الذين سئموا نظام الطغيان الذى فرضه السلطان محمد الثالث الملقب بالمخلوع ،ووزيره ابن

(١) الإحاطة ،ج١ ،ص٣٥٦، ص٥٣٥.

(٢) مجهول : أخبار العصر ، ص٧ .

(3) Arie, R.: El Reino Nasri, p.199.

(٤) محمد عبد الله عنان :دولة الإسلام فى الأندلس،ج٧ ،ص٤٤١-٤٤٢.

الحكيم الرندى- [١] والتف حولهم العديد من أهالى غرناطة، وتمكنوا من دخول الحمراء[٢]، ووثب الثوار بالوزير ابن الحكيم فقتلوه ، واعتقلوا السلطان محمد الثالث، وأرغموه على التنازل عن العرش ، ليتولى أخوه أبو الجيوش نصر (٧٠٨-٧١٣هـ/ ١٣٠٩-١٣١٤م)[٣] ، ونفى السلطان المخلوع إلى حصن المنكبAlmanecar [٤]، حيث قضى خمسة أعوام فى الأسر ،ثم أعيد بعد ذلك مريضًا إلى غرناطة حيث توفى فى سنة ٧١٣هـ/١٣١٣م [٥] .

ولم تلبث أعراض الفتنة أن ظهرت فى الجنوب حيث أعلن أبو سعيد فرج بن إسماعيل النصرى وكان والى مالقة ويلقب بالرئيس وابن عم السلطان محمد الثانى الفقيه والد السلطان أبو الجيوش نصر ، فأعلن الخروج والعصيان . والتف حوله العديد من مؤيديه فى ثورته ، ورشح الثوار لعرش مملكة غرناطة ابنه الأمير أبا الوليد إسماعيل بن الرئيس فرج ،بدلاً من السلطان نصر [٦] .

---

(١) ابن الخطيب :اللمحة البدرية البدريةص٦٠ .

(2) Rachel Arie: El Reino Nasri, pp. 33-34.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص ص ٥٥٢-٥٥٣؛ اللمحة البدرية، ص ص ٦٧-٧٠؛ Rachel Arie: El Reino Nasri, p34 .

(٤) المنكب Almunecar : ميناء ساحلى يقع فى جنوب شرق الأندلس ، وتتبع مدينة المنكب مقاطعة غرناطة ، واسم المنكب اسم عربى يعنى الحصن المرتفع. كثيرة مصايد السمك وكثيرة زراعة الفواكة . بينها وبين غرناطة مسافة تقدر بأربعون ميلاً. انظر : الحميرى : الروض المعطار ، ص ص ٥٤٨-٥٤٩.

(٥) ابن الخطيب : اللمحة البدرية البدريةص٧٥-٧٦ ؛ محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ،ج٧ ،ص ١١٦ ؛ Rachel Arie: El Reino Nasri, p35.

(٦) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص ص ٣٨٤-٣٨٧؛ اللمحة البدرية، ص ص ٨٢-٨٤..

ولم يمض سوى قليل من الوقت حتى استطاع الرئيس أبو سعيد فرج وأتباعه التغلب على المرية و بلش مالقة. وغيرهما من القواعد الجنوبية. وفى أوئل سنة ٧١٢هـ /١٣١٣م سار فى قواته إلى غرناطة ،وهرع السلطان نصر إلى لقائه فكانت الهزيمة على نصر،فلجأ إلى غرناطة ،ولكنه لم يلبث أن أذعن واضطر إلى التنازل عن العرش ،وسار بأهله إلى وادى آش(١)،وتولى حكمها حتى توفى ليلة الأربعاء ٦ذى القعدة من عام ٧٢٢هـ /١٣٢٢م (٢).

وفى رجب سنة ٧٢٥هـ/ يونية ١٣٢٥م خرج السلطان الغرناطى أبو الوليد إسماعيل للغزو فى الأراضى القشتالية، وكانت وجهته مدينة مارتش Martas(٣)، واستولى عليها عنوة ، وكانت أعظم غزواته ، ثم عاد إلى غرناطة. بيد أنه لم تمض على عودته سوى ثلاثة أيام حتى قتل بباب قصره مغتالاً ، على يد ابن عمه الأمير محمد بن إسماعيل (٤)، المعروف بصاحب الجزيرة. فحمل جريحًا حيث توفى على

(1) Rachel Arie: El Reino Nasri, p37..

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص ٣٨٧؛ اللمحة البدرية، ص ٧٦ ؛ محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ،ج٧، ٢٠٠.

(٣) مارتش Martos: مدينة أندلسية حصينة، تقع جنوب غربى مدينة جيان Jaen، فى الشمال الشرقى من بيانة Baena. انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص٣٩١هـ١.

(٤) الأمير محمد بن إسماعيل هو ابن عم السلطان أبى الوليد إسماعيل ويعرف بصاحب الجزيرة، ويذكر ابن الخطيب أن الخلاف كان بسبب أمرٌ تقرعه عليه، وبالغ فى الإهمال فيه، مما أغضب السلطان، وتوعده بما أثار حفيظته، فهجم عليه وهو جالس فى مجلسه يوم ٢٦ رجب سنة ٧٢٥ هـ/ ٦ يوليو ١٣٢٥م، وطعنه ثلاث طعنات بخنجره، إحداهن فى عنقه، فى أعلى الترقوة، فخر صريعاً. انظر ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص٣٩٢؛ اللمحة البدرية، ص ٨٧.

الأثر[١] ، وكان مصرعه فى السادس والعشرين من رجب سنه ٧٢٥هـ /يونية ١٣٢٥م [٢].

كذلك على الرغم من أن عصر السلطان أبو الحجاج يوسف الأول(٧٣٣-٧٥٥هـ/١٣٣٣-١٣٥٤م) ، ساد فيه السلام والأمن ، إلا أنه اغتيل أثناء صلاته بالمسجد الأعظم فى يوم عيد الفطر سنة ٧٥٥هـ / أكتوبر سنة ١٣٥٤م [٣] وهو يصلى صلاة عيد الفطر بالجامع الأعظم فى غرناطة، وكان فى ركعته الأخيرة، فطعنه مخبولٌ بخنجر كان قد أعده لذلك ، وقبض عليه فمُزق وأُحرق بالنار . وحزن المسلمون لذلك حزناً شديداً فى الأندلس والمغرب [٤] .

---

(1) Rachel Arie: El Reino Nasri, p37..

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص٣٩٢؛ اللمحة البدرية، ص ٨٧؛ محمد عبدالله عنان :دولة الأسلام ، ص١٢٠-١٢١.

(٣) قتل وهو فى السابعة والثلاثين فى عنفوان فتوتة ومجدة ويصف لنا ابن الخطيب ، وقد كان من شهود هذا المنظر المؤسف ، مقتل السلطان ، فى قوله من رسالة بعث بها إلى السلطان أبى عنان ملك المغرب (لم يرعه وقد اطمأنت بذكر الله تعال القلوب ،وخلصت الرغبات إلى فضله المطلوب ، إلا سقى قبضه الله تعالى لسعادته، غير معروف ولا منسوب ، وخبيث لم يكن بمعتبر ....) لمزيد انظر : محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ،ج٧ ،ص١٣٤-١٣٦.

(٤) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص ٣٠٦؛ اللمحة البدرية، ص ١١٠؛ ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص٣٠٦؛ Ahmad Mujtar Al-Abbadi : El-Reino de Granada ,p..27.

وكان أن خلف السلطان محمد الخامس(٧٥٥-٧٩٣هـ/١٣٥٤-١٣٩١م) والده أبا الحجاج يوسف الأول فى حكم غرناطة، [١]. وبعد خمسة أعوام من توليته العرش تمكن الأمير أبو عبد الله محمد الملقب بالرئيس [٢]، من القيام بانقلاب انتهى بخلع محمد الخامس وتولية شقيقه السلطان إسماعيل المعتقل فى بعض أبراج الحمراء ، تؤازره جماعة من الزعماء ، وفى مقدمتهم صهره الرئيس أبو عبد الله محمد ، ودعوا له سراً ، وترقبوا الفرصة للوثوب على السلطان محمد الخامس ، وكانت أمه المقيمة بالقصر تؤيد مشاريعه بالسعى والبذل الوفير وذلك فى ٢٨ رمضان سنة ٧٦٠ هـ / ٢١ أغسطس ١٣٥٩م [٣].

وكان السلطان محمد قد تحول بولده إلى سكنى قصر جنة العريف الواقع شمال شرق الحمراء، فانتهز المتآمرون ذات مساء فرصة ابتعاده عن دار الملك ، وهاجموا حصن الحمراء يوم٢٨ رمضان سنة ٧٦٠هـ/١٣٦١م ، ونفذوا إلى قصر الحاجب رضوان وقتلوه بين أهله وولده ، ونادوا بإسماعيل أخا السلطان ملكاً على غرناطة[٤].

---

(١) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ٣٠٦ ؛ الإحاطة ، جـ٢ ، ص ١٤ ؛ اللمحة البدرية ، ص ١١٣ ، ابن خلدون : العبر ، جـ ٧ ، ص ٣٣٤

Ahmad Mujtar Al-Abbadi : El-Reino de Granada ,p.28 .

(٢) الرئيس هو الأمير أبو عبد الله محمد بن أبى سعيد من أمراء بنى نصر ٠ صهر الأمير إسماعيل بن أبى الحجاج شقيق السلطان محمد الخامس ٠ وهو الذى تزعم انقلاب غرناطة سنة ٧٦٠هـ / ١٣٥٩م . عنه انظر: ابن الخطيب : اللمحة البدرية ، جـ ١٢٠ ٠

(٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص٣٠٧ ؛ الإحاطة ، جـ ٢ ، ص ص ٢٦ – ٢٨.

(٤) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص٣٠٧ ؛ الإحاطة ، جـ ٢ ، ص ص ٢٦ – ٢٨ ؛ اللمحة البدرية ، ص ص ١٢٦ – ١٢٧ ؛ ابن خلدون : العبر، جـ ٧ ، ص ٣٠٦ ؛ أحمد مختار العبادى : فترة مضطربة فى تاريخ غرناطة، ص ٥٤ ؛ Ahmad Mujtar Al-Abbadi : El-Reino de Granada ,p.28

أما السلطان إسماعيل الثانى فلم يحسن سياسة الرعية لانغماسه فى الملذات وتقريب أهل الترف منه[١] ، و لم يدم حكمه سوى عام واحد فقط، واستضعفه صهره الأمير أبو عبد الله محمد مدبر الانقلاب الأول[٢]،وقام بانقلاب آخر أطاح بالسلطان إسماعيل الثانى، وتولى هو حكم غرناطة، ولقب بالغالب بالله[٣]، وذلك فى شعبان سنة ٧٦١هـ / يونيو ١٣٦٠م [٤] .

وتتوالى الانقلابات فى مملكة غرناطة ففى عام ٨٢٢هـ/١٤١٩م ، ثار الأمير محمد التاسع بن نصر المعروف بمحمد الأيسر -[٥] الذى كان قبل ذلك سجيناً فى حصن شلوبانية- على سلطان غرناطة الشرعى السلطان محمد بن يوسف الثالث وهو محمد الثامن الملقب بالصغير El pequeno (٨٢٠-٨٢٢ هـ/ ١٤١٧-١٤١٩م) ، واستطاع أن ينتزع منه العرش بمساعدة بنى السراج ، وأن يضعه فى سجن حصن شلوبانية[٦] .

---

(١) ابن الخطيب:اللمحة البدرية، ص ١٢١.

(2) Ahmad Mujtar Al-Abbadi : El-Reino de Granada ,p.30..

(٣) قتيبة الشهابى : معجم ألقاب أرباب السلطان فى الدول الاسلامية من العصر الراشيدى حتى القرن العشرين-دمشق،١٩٥٥ ، ص ٧٤ ٠

(٤) شن الأمير أبو عبد الله محمد مدبر الانقلاب هجوماً على السلطان إسماعيل وهو فى قصره، وفى حضور حاشيته، وذلك ليلة السابع والعشرين من شعبان سنة ٧٦١ هـ / ١٢ يوليو ١٣٦٠م، وحاصر أبو عبد الله محمد قصر السلطان إسماعيل ، فلجأ إلى أحد الأبراج العالية، والمطل على البلد ، فاستجار بالناس ، وتجمعت أعداد غفيرة لنصرته ، لكن لم يمنعه ذلك من القبض عليه، وقتله أمام الناس، ومعه أحد أخوته، ويسمى قيس، وظلت جثتهما بالعراء حتى ووريا بعد ذلك ٠ انظر : ابن الخطيب : أعمال الأعمال ، ق ٢ ، ص ٣٠٧؛ اللمحة البدرية ، ص ص ١٢٨ – ١٢٩ ٠

(5) Rachel Arie: El Reino Nasri, pp. 38..

(٦) أحمد محمد الطوخى: مظاهر الحضارة، ص ٤٢ .

ولكن بعد حوالى ثمانية أعوام وتحديدًا فى عام ٨١٣هـ /١٤٢٧ م ،نجح محمد الصغير فى خلع محمد التاسع ، واستعاد منة السلطنة مرة أخرى(٨٣١- ٨٣٣هـ/ ١٤٢٧- ١٤٢٩م)(١).

غير أن الأحوال المضطربة فى المملكة لم تستقر فأعلن محمد التاسع الثورة مرة أخرى ضد السلطان محمد الثامن(٢)، وتمكن من إنزال الهزيمة به واستولى على العرش فى سنة ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م(٣).

ولم تمض سوى بضعة أعوام بعد ذلك ،حتى دبرت مؤامرة فى غرناطة انتهت بعزل السلطان محمد التاسع الأيسر (٤)، وتولية أمير آخر هو أبو الحجاج يوسف بن المول العرش ، وظل متربعا على العرش حتى عزل فى سنة ٨٤٩هـ /١٤٤٥م، على يد السلطان محمد العاشر الملقب يالأحنف (٨٤٨-٨٤٩هـ / ١٤٤٥-١٤٤٦م) ، ولقب بالغنى بالله. (٥)

كذلك فى عهد السلطان سعد المستعين بالله (٨٥٧-٨٦٩هـ/ ١٤٥٣-١٤٦٤م)، وتحديدًا فى عام ٨٦٧هـ / ١٤٦٢-١٤٦٣م ، ثار عليه ولده أبو الحسن على بتحريض من أسرة بنى السراج،وأخرجه من غرناطة وامتلكها ، فسار سعد إلى مالقة ، وحكم أبو الحسن مكانه(٦) .

---

(1) Harvey, L. P.: Op. Cit., p. 248.

(2) Rachel Arie: El Reino Nasri, pp39..

(٣) السخاوى: الضوء اللامع، جـ١٠، ص٦٨؛ يوسف شكرى فرحات: غرناطة فى ظل بنى الأحمر ، ص ٥٤؛ أحمد محمد الطوخى: مظاهر الحضارة، ص ٤٢؛ سحر سالم: بنو سراج، ص ٤٥٠؛

(4) Rachel Arie: El Reino Nasri, pp71-72..

(٥) سحر سالم بنو السراج ، ص ٤٥٢؛ علاقة مصر المملوكية بمملكة غرناطة ، ص٩٢.

(٦) مجهول : أخبار العصر ،ص ٧٥.

وفى العام التالى ٨٦٨هـ/١٤٦٤م ، لما اشتد ضغط النصارى على الأندلس ، عاد أبو الحسن فعقد الصلح مع أبيه ، وأطلق سراحه ، واختار سعد الإقامة فى المرية فلم يعترض ولده ولم يلبث أن توفى فى أواخر هذا العام ، وعندئذ خلص العرش لأبى الحسن(١) .

إلا أن أبا الحسن فى تهافته على اللذة كان يكثر من التسرى بالجوارى ، ليطيب له الاستمتاع فوقع على جارية أسبانية اسمها إيزابيلا فشغف بها شغفاً عظيمًا، واستولت على إرادته ، فحملته على أن يتزوجها وأسلمت فسميت الثريا ، فأحلها المنزلة الأولى بين نسائه حتى أنه قدمها على زوجته عائشة ، وهى إبنة عم السلطان وأقصى عائشة وولديها عن كل عطف ورعاية حتى أنه أمر باعتقالها ، وزجت عائشة مع ولديها إلى السجن ،وشدد فى الحجر عليهم ، وعوملوا بمنتهى الشدة والقسوة (٢).

فأثار هذا التصرف غضب كثير من الكبراء الذين يؤثرون الأميرة الشرعية وولديها بعطفهم وتأييدهم ، وكان نذير الاضطرابات والخلاف فى المجتمع الغرناطى .وانقسم الزعماء والقادة إلى فريقين خصيمين ، فريق يؤيد السلطان ،وفريق يؤيد ولده محمد(٣) .

---

(١) يوسف شكرى فرحات: غرناطة فى ظل بنى الأحمر ، ص ٥٧؛ سحر سالم: بنو السراج : ص ٤٥٣؛

Arei, R.: El Reino Nasri, p. 75.

(٢) المقرى : نفح الطيب ، ج٤ ، ص٥١٢ .

(٣) مجهول : أخبار العصر ، ص ص٨٣-٨٤؛ المقرى : نفح الطيب ، ج٦، ص٢٦٢؛ ؛ أحمد مختار العبادى : تاريخ المغرب الأندلس، ص٤٦٥.

لكن الأميرة عائشة لم تستسلم بل عمدت إلى الأنصال بعصبيتها وأنصارها ، وفى مقدمتهم بنو السراج أقوى أسر غرناطة ، واستطاعت أن تغادر قصر الحمراء مع ولديها بأية وسيلة .وفى ليلة من ليالى جمادى الثانية سنة ٨٨٧هـ / ١٤٨٢م ، استطاعت الأميرة أن تفر مع ولديها محمد ويوسف بمعاونة بعض الأصدقاء المخلصين [١].وسرعان ما دبت روح الثورة فى غرناطة، والتى انتهت بجلوس السلطان أبى عبد الله محمد على العرش بدلاً من والده وذلك فى عام٨٨٧هـ / ١٤٨٢م[٢]

وقام أبو عبد الله محمد بتجهيز جيش وأخذ يزحف على قرطبة وحرر الكثير من الحصون فى طريقه ، وأثناء عودته وفى موقعة اللسانة وهزموه ووقع فى أسر القشتاليين ، وفى هذه الأثناء حاول زعماء غرناطة إعادة أبى الحسن إلى عرشه بدلاً من ابنه الأسير، ولكن الإعياء كان قد سيطر عليه ، والمرض فتك به ، فتنازل عن المنصب لأخيه محمد أبى عبد الله الزغل حاكم ثغر مالقة[٣] .

وما كاد الزغل يعود إلى غرناطة ، حتى تجددت الفتنة من جديد وكان سببها أبو عبد الله الصغير وأنصاره ،وقام أهل ربض البيازين ، وهو حى غرناطة الشعبى ، الواقع فى شمالها الشرقى تجاه مدينة الحمراء، وذلك فى أوائل سنة ٨٩١هـ /أوائل

---

(١) محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس ، ص١٥٤؛ Harvey, L. P.: Op. Cit., p. 275.

(٢) الونشريسى : المعيار المعرب ، ج١١، ص١٤٨؛ المقرى : نفح الطيب، ج٦، ص٢٦٢؛ مجهول : أخبار العصر ، ص ص٨٣-٨٤؛ أحمد مختار العبادى : تاريخ المغرب الأندلس، ص٤٦٥.

(٣)الونشريسى : المعيار المعرب ، جـ١١ ، ص١٤٨؛ مجهول :أخبار العصر، ص ص٨٥-٨٦ ؛ محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، ج٧ ، ص٢٠٠-٢٠٣.

١٤٨٦م، بإعلان الثورة ضد الزغل وإعلان تأييدهم لتولى أبو عبد الله محمد المعروف بالصغير [١]

واشتدت الفتنة ،ونصب الزغل على البيازين المجانيق والأنفاط ، ودافع أهل البيازين عن أنفسهم دفاعًا شديدًا ،وطالت هذة الفتنة أكثر من شهرين ، ثم بدأ التفاوض بين الزغل وأبى عبد الله محمد الصغير،واتفقا على تقسيم المملكة إلى قسمين ،فيختص الزغل بحكم غرناطة ومالقة والمرية وبلش والمنكب ، ويختص أبو عبد الله بحكم الأنحاء الشرقية[٢] .

---

(١) مجهول : أخبار العصر ، ص ٧٥.

(٢) نفس المصدر والصفحة ؛ أحمد محمد الطوخى : مدينة شلوبانية الأندلسية فى عصر بنى نصر ، ص٢٠-٢١

الفصل الثالث

نظام الوزارة والحجابة فى دولة بنى الأحمر

أولاً: الوزارة في الأندلس

ثانيًا: شروط تولى الوزارة

ثالثًا: ألقاب الوزارء

رابعًا: صلاحيات الوزير

خامسًا : استبداد الوزراء

سادساً: نهاية الوزارة

سابعًا : الحجابة

الفصل الثالث

نظام الوزارة والحجابة فى دولة بنى الأحمر

أولاً: الوزارة فى الأندلس :

تعنى كلمة وزير أى المساعد والمعاون والمؤازر ، ويذكر ابن منظور أن كلمة الوزير تعنى جليس الملك وخاصته الذى يحمل عنه ثقله ويعينه برأيه وتدبيره [١] . ويذكر القلقشندى أن الوزارة تدل فى لفظها على الإعانة ، والوزارة مكان الوزير ، والوزير هو المتحدث للملك فى أمر مملكته . [٢] ويذكر الماوردى فى كتابه أدب الوزير أن الوزارة ورد لها تعريفًا فى ثلاثة أوجه : الأول أنها مأخوذة من الوزر بكسر الواو وهو الثقل ،لأن الوزير يحمل عن الملك أو الخليفة أثقاله ، والثانى أنها مأخوذة من الوَزَر بفتح الواو ، وتعنى الملجأ ،لأن الملك يلجأ إليه مستعينًا برأيه ومشورته ، والثالث مأخوذ من الأزر وهو الظهر لأن السلطان يقوى بالوزير كقوة البدن بالظهر . [٣] أما ابن خلدون فيذكر أن الوزارة إما أنها مأخوذة من المؤازرة

---

[١] ابن منظور : لسان العرب ، ج ١٩، ص ٤٣٧.

[٢] القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥، ص ٤٤٨.

[٣] الماوردى : أدب الوزير للماوردى المعروف بقوانين الوزراة وسياسة الملك – تحقيق حسن الهادى حسين ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ، ط ٢، ١٩٩٤م ، ص ٩.

أى المعاونة أو أنها مأخوذة من الوِزر(بكسر الواو) أى الثقل[١].والوزارة نظام إسلامى قائم منذ نشأة الدولة الإسلامية[٢] .

وفى بلاد الأندلس كان نظام الوزارة قائمًا فى عصر الدولة الأموية[٣] ، وكانت وزارة متعددة المناصب ، لها رئيس وزراء كان يسمى الحاجب ، وهو حلقة الاتصال بين الوزراء والأمير ، وكان تعدد الوزراء الموجود فى بلاد الأندلس لا

---

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٦٥.

(٢) عرفت الوزارة عند العرب قبل الإسلام ولما جاء الإسلام اقر هذا المنصب، فكان الرسول –صلى الله عليه وسلم – يستشير أصحابه – رضوان الله عليهم– واتخذ منهم وزراء وخص منهم أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى بن أبى طالب. فكان أبو بكر بمثابة وزير الرسول ، وكان عمر وزير أبا بكر وكان عثمان وزير عمر ، ومعنى هذا أن كبار الصحابة كانوا مقام الوزراء من الرسول – صلى الله عليه وسلم – . وبعد وفاة الرسول –صلى الله عليه وسلم – كان الخلفاء الراشدين يشرفون على شئون الدولة بمساعدة وزراء وعمال . وكان الوزير يساعد الخليفة فى تنفيذ سياسة الدولة العامة وينوب عنه فى الحكم ، ويشاركه الرأى ، وتحمل المسئولية ، وظل الأمر كذلك حتى كان عصر الدولة العباسية فاستقر منصب الوزير وتمهدت قواعده ، وتقررت قوانينه على رأس مناصب الدولة منذ عهد الخلافة العباسية وفيما تلى ذلك من عهود كتقليد أصيل من تقاليد الحكم الإسلامى . انظر: حسن إبراهيم حسن: النظم الإسلامية – القاهرة ، ١٩٣٩، ص ١٤٤؛ صلاح الدين بسيونى رسلان: الوزارة فى الفكر السياسى – القاهرة ، دار قباء للطباعة والنشر ، ٢٠٠٠م، ص ص ٢٧-٣٠.

(٣) بعد أن توطدت الأمور فى بلاد الأندلس للأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨-١٧٢هـ) استوزر عدة أشخاص من رجاله الأكفاء ، ثم قام الأمير عبد الرحمن الأوسط ٢٠٦-٢٣٨هـ بتعديل نظام الوزارة وقسمها لإلى عدة وزارات ،وألزم الوزراء بالحضور إلى بيت الوزارة الذى خصص له فى دار الإمارة يوميًا ، للتشاور فى أمور الدولة ، وفى الفترة من ٣٦٦-٣٩٩هـ ارتفع شأن الحاجب وقلة أهمية الوزير ، وخضع الوزير فى تلك الفترة للحاجب . انظر : ابن =عذارى : البيان المغرب ، ج ٢، ص ٨٠؛ أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ١٤٢.

نظير له فى بلاد المشرق ، فقد كانت السلطة فى المشرق مركزة فى يد وزير واحد ، وقلما وُجد وزيران[1]، أما فى يلاد الأندلس فكان لكل من نواحى الإدارة العامة وزير يختص بها ، وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله: "وأما دولة بني أمية بالأندلس فأبقوا اسم الوزير في مدلوله أول الدولة، ثم قَسَّموا خطته أصنافًا، وأفردوا لكل صنف وزيرًا، فجعلوا لحسبان المال وزيرًا، وللترسيل (البريد) وزيرًا، وللنظر في حوائج المتظلمين وزيرًا، وللنظر في أحوال أهل الثغور وزيرًا، وجُعل لهم بيت يجلسون فيه على فرش منضدة لهم، وينفذون أمر السلطان هناك كلٌ فيما جُعِلَ له..." [2]

واستمر نظام الوزارة منذ عصر الدولة الأموية حتى عصر بنى الأحمر[3] . وتعد الوزارة فى مملكة غرناطة الخطة الحكومية العليا بعد السلطان ، واكن فى كثير من الأحيان هو المهيمن على شئون الدولة المدنية والعسكرية ، فقد اتخذ الوزير الغرناطى ألقابًا دلت على قوة نفوذه وسلطانه [4] . والوزير كان على رأس

---

(١) خليل إبراهيم السامرائى وآخرون : تاريخ العرب وحضارتهم فى الأندلس – بنغازى ، ليبيا ، ط ١، ٢٠٠٠، جـ ٢، ص ٣٦٩.

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٦٧٠.

(٣) بعد سقوط الخلافة الأموية وقيام عصر ملوك الطوائف ظل العمل بنظام الوزارة ، لكن انحطت هيبة ومكانة الوزير ، وصار هذا المنصب يمنح للموظفين والكتاب وشيوخ القرى ، وفى عصر الدولة المرابطية احتل الوزير مكانة مرموقة ، وكان مقربًا من السلطان ، وكان يستشيره فى كافة الأمور ، كذلك اعتمد الموحدون على نظام الوزارة ، وكان منصب الوزير من المناصب المهمة فى الدولة ، حتى تولاه أبناء الخلفاء وإخوتهم ، ولقبوا بالأسياد . انظر : القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ٥ ، ص ١٢٦؛ أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ص ١٦٦-١٦٨.

(٤) أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس ، ص ١٧٥ .

الشخصيات الكبيرة بعد السلطان [١]، تتحرك فى البلاط النصرى وتعاون السلطان فى الإشراف على السياسة الداخلية والخارجية للمملكة [٢] .

ثانيًا: شروط الوزارة :

ونظرًا لأهمية منصب الوزير الغرناطى فقد كانت هناك عدة شروط يجب أن تتوفر فى الشخصية التى سوف تقدم على تولى ذلك المنصب أهمها أن يكون الوزير من النخبة أو علية القوم،[٣] ومن أشهر الوزراء الذين تحدث المؤرخون عنهم فيما يخص الوجاهة والنخبة ما ذكره المؤرخ ابن الخطيب فى تناوله لترجمة ملوك بنى الأحمر فى غرناطة وفى سياق تناوله لوزرائهم فيذكر أن الوزير على بن إبراهيم الشيبانى وزير السلطان الغرناطى محمد الأول الغالب بالله مؤسس المملكة كان "....من وجوه حضرته ، وذوى النسب من الفضلاء أولى الدماثة والوقار...."[٤]. كما يذكر ابن الخطيب أن الوزير محمد بن أبى بكر بن يحى بن مول وزير السلطان محمد الرابع بن إسماعيل بن فرج كان".. من وجوه الدولة ، وصدور من يمت بوصله..." [٥]. وقوله أيضًا عن الوزير على بن مسعود المحاربى وزير السلطان إسماعيل الأول بن فرج "... من أعيان الحضرة ...، وذوى النباهة ، فجاذب رفيقه حبل الخطة ونازعه لباس الحظوة حتى ذهب باسمها ومسماها .... " [٦].

---

(1) Arie, R.: El Reino Nasri ,p.204.

[٢] يوسف شكرى فرحات : غرناطة فى ظل بنى الأحمر، ص ٦٢.

(3) Arie, R.: El Reino Nasri ,p.204.

[٤] ابن الخطيب: الإحاطة ، ج ٢، ص ٩٦؛ اللمحة البدرية ، ص ٤٤.

[٥] ابن الخطيب: الإحاطة ، ج ١، ص ٥٣٧؛ اللمحة البدرية ، ص ٩٤.

[٦] ابن الخطيب: الإحاطة ، ج ١، ص ٣٨٠؛ اللمحة البدرية ، ص ٧٩.

كما كان من أهم الصفات التى ينبغى أن تتوفر فيمن سيتولى الوزارة فى الدولة الغرناطية أن يكون قائدًا ملمًا بفنون القيادة السياسية والعسكرية على السواء ،وذلك لما تقتضيه الأمور من الحزم والجد [١].

وعن صفة الحزم والجد يذكر ابن الخطيب أن الوزير أبا الحسن على بن مول وزير السلطان يوسف الأول أنه كان "... رجل جهورى حازم مؤثر للغلظة .." [٢]. وعن صفة القيادة يقول ابن الخطيب فى ترجمته لوزراء السلطان إسماعيل الأول بن فرج وأثناء حديثه عن الوزير أبو عبد الله محمد بن أبى الفتح "... وبيت هؤلاء القواد شهير، ومكانتهم من الملوك النصريين مكينة " [٣].

كما كان يشترط أن يكون الوزير فى الغالب من الأدباء ، ملمًا بفنون الأدب ، فغالبية وزراء بنى الأحمر عُرف عنهم أنهم كانوا أدباء مهرة ، فى فنون الأدب ، وذلك لأن الأدب من متطلبات هذه الوظيفة[٤] ، فقد أسند سلاطين بنى نصر العديد من الوظائف المهمة للأدباء ، وارتقى بعضهم فى الوظائف متدرجًا منصب بعد منصب حتى وصل إلى منصب الوزير ومن هؤلاء الوزير محمد ابن زمرك[٥] ، وأبو بكر

---

(1) Arie, R.: El Reino Nasri ,pp.204-205.

(٢) ابن الخطيب: اللمحة البدرية ، ص ١٠٣.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة ، ج ١، ص ٣٨٠.

(4) Arie, R.: El Reino Nasri ,p.205.

(٥) الوزير ابن زمرك : هو أبو عبد الله محمد بن يوسف الصريحى المعروف بابن زمرك ، كانت أسرته تقيم فى شرق الأندلس ، ثم نزحت إلى غرناطة ، ولد فى عام ٧٣٣ هـ / ١٣٣٣م . وهو من تلاميذة ابن الخطيب . تدرج فى المناصب حتى وصل إلى كاتب السر فى عهد السلطان محمد الخامس الغنى بالله ٠ وكان أديبًا بارعًا ، فكسب حب السلطان، لكنه استبد بالرأى فى أواخر عهد الغنى بالله ، فنفاه من غرناطة ٠ ثم استدعاه بعد ذلك السلطان محمد السابع، وولاه الحجابة، لكنه لم يستمر فيها سوى أشهر

محمد بن عاصم[١] . وعلى رأس الوزراء الأدباء كان الوزير والأديب والمؤرخ لسان الدين بن الخطيب . [٢]

كما أن من بين الوزراء من كان ملمًا بعلوم الدين على الرغم من أن علوم الدين كانت تؤهل حاملها للوظائف الدينية مثل الخطابة والقضاء والحسبة وغيرها من الوظائف التى تتطلب الإلمام بالعلوم الشرعية . [٣]

وعلى الرغم من ذلك، تولى بعض العلماء الشرعيين الوزارة ، فالمؤرخ ابن الخطيب يذكر أن الوزير أبو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الحكيم اللخمى الرندى ،وزير السلطان الغرناطى محمد الثالث كان "... الوزير الصدر الحاج المحدث .." [٤]

كما كان من بين الشروط التى يجب أن تتوفر فيمن سيتولى الوزارة أن يكون فى الغالب من بين الأثرياء وبيته من البيوت العريقة المعروفة فى بلاد الأندلس فى تلك الفترة [٥] فيذكر الوزير ابن الخطيب عن ترجمته للوزير الغرناطى أبو يحى بن

= قلائل ، أساء فيها معاملة الناس والزعماء ، فكثر حساده وخصومه. وفى أواخر عام ٧٩٧ هـ / ١٣٩٥م، دخل جماعة من المتآمرين منزله، وقتلوه ومعه أهله . عنه انظر : ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ ٢ ، ص ص ٢٢١ – ٢٤٠ ؛ المقرى : أزهار الرياض ، جـ ٣ ، ص ٢٠٦ ، نفح الطيب ، جـ ٤ ، ص ص ٦٧٩ – ٧٥٥ .

(١) يوسف شكرى فرحات : غرناطة فى ظل بنى الأحمر، ص ٦٢.

(٢) محمد عبد الله عنان : ابن الخطيب وتراثه الفكرى – القاهرة ، ١٩٦٨م ، ص ص ١٠٠–١٠٢..

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة ، ج ١، ص ٤٠٢؛ Arie, R.: El Reino Nasri ,p.205

(٤) نفس المصدر والصفحة.

(5) Arie, R.: El Reino Nasri ,p.205.

الكاتب وزير السلطان محمد الأول أنه كان " ... من أهل حضرته ومن أرباب النعم..." (١) .

كما أن الوزير ابن الخطيب نفسه كان من أعرق البيوتات الأندلسية ،فقد ورث العلم والأدب والبلاغة عن والده الذى كان بارعًا بها ، وقد أرجع أصل أسرته إلى "سلمان" قبيلة باليمن هاجرت إلى الشام، ثم انتقلت إلى الأندلس فسكنت قرطبة، ثم هاجرت منها مع أعلام الجالية القرطبية إلى طليطلة ، حيث استقر جده سعيد الذي عرف بالخطيب في "لوشة" مع خلفه الذين تبعوه في الانتماء للعلم والحكم وكان آخرهم لسان الدين، وقد نعم لسان الدين في مرحلة طفولته وصباه وشبابه بالتقلب في هذه المهاد المفعمة بالنعمة، وتفتح وجدانه في هذا البيت الموصول بالعرفان والتقاليد المعتبرة (٢).

ولا يعنى ما سبق أن كل وزراء بنى الأحمر فى غرناطة كانوا من أصول عريقة ، فقد كان من بين الوزراء من ترجع أصوله إلى بيوت فقيرة فى بلاد الأندلس فى تلك الفترة(٣) ومن هؤلاء الوزراء الوزير أبو عبد الله بن زمرك الذى كان والده يعمل حدادًا فى ربض البيازين فى غرناطة (٤). كذلك الوزير أبو بكر محمد بن عاصم كان من أسرة فقيرة فى غرناطة (٥)

---

(١) ابن الخطيب: اللمحة البدرية ، ص ٤٥.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ج ١، ص ص ١٨ -١٩؛ أحمد ختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٣٦.

(3) Arie, R.: El Reino Nasri ,p.204.

(٤) المقرى : نفح الطيب، ج ٩، ص ٣١٤.

(٥) يوسف شكرى فرحات: غرناطة فى ظل بنى الأحمر ، ص ٦٣.

كما أنه كان من بين الوزراء من كان من أصل مسيحى مثل الوزير أبو النعيم رضوان بنيغاش الذى كان من أصل مسيحى ثم وصل إلى أن أصبح الوزير الأول فى غرناطة فى عهد السلطان الغرناطى محمد بن إسماعيل ومن بعده أبو الحجاج يوسف الأول ثم لولده محمد الخامس الغنى بالله (١) . كذلك الوزير أبو السرور مفرج وزير السلطان الغرناطى يوسف الثالث كان من أصل مسيحى ،وتولى الوزارة . (٢)

كما تولى الوزارة فى عصر بنى الأحمر وزراء من المماليك حراس الملك ومنهم الوزير عصام وزير السلطان محمد بن إسماعيل ، والوزير خالد وكان مملوكًا للسلطان محمد الخامس ثم أصبح وزيرًا لابنه السلطان يوسف الثانى (٣).

●ثالثًا: ألقاب الوزارء:

اتخذ وزراء بنى الأحمر ألقابًا عديدة تدل فى غالبها على صلاحياتهم الكبيرة فى تلك الفترة ومن هذه الألقاب ذى الوزارتين وهو يشير إلى جمع الوزير فى يده وزارتين وغالبًا ما تكون الوزارة ومعها خطة الكتابة فيلقب بذى الوزارتين ، ولقب ذى الوزارتين لقب ظهر فى الأندلس منذ عصر الخلافة فى قرطبة ، وكان يطلق على كل من جمع وزارتين وتقاضى راتبين(٤) . كما كان شائعًا فى عصر ملوك الطوائف

---

(١) ابن الخطيب: اللمحة البدرية ، ص ص ٨١ ، ٩٠ ، ١٠٣.

(٢) نفس المصدر ، ص ١١٥؛ يوسف شكرى فرحات: غرناطة فى ظل بنى الأحمر ، ص ٦٣.

(٣) ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص ٨٥.

(4) Arie, R.: El Reino Nasri ,p.204-205.

فى الأندلس فكان من مظاهر الاحتفاء بالمناصب القيادية وقد أُطلق على كل من جمع بين وزارتى السيف والقلم . [١]

وفى عهد بنى الأحمر أُطلق لقب ذى الوزارتين على كل من جمع فى يديه الوزارة والكتابة ، ففى عهد السلطان محمد الثانى الفقيه ، جمع الوزير محمد بن عبد الرحمن اللخمى بين الوزارة والكتابة ولقب بذى الوزارتين.[٢] كما أن الوزير والمؤرخ لسان الدين بن الخطيب قد جمع بين الوزارة والكتابة ولقب بذى الوزارتين[٣] . كما اتخذ الوزير محمد بن عبد الرحمن بن الحكيم اللخمى الرندى ،وزير السلطان الغرناطى محمد الثالث لقب عماد الدولة [٤] . كما كان من بين ألقاب الوزراء الرئيس[٥] .

رابعًا: صلاحيات الوزراء:

تعد الوزارة فى مملكة غرناطة من الوظائف ذات السلطات المختلفة ، فهو الذى يتلقى الأوامر من السلطان ويقوم بتنفيذها ، والوسيط بين أرباب الوظائف الأخرى والسلطان ، وكذلك الوسيط بين الخاصة والعامة فى المملكة . ويشير الوزير لسان الدين بن الخطيب عن أهمية منصب الوزير فى ممكلة غرناطة فى تناوله لبعض أخباره هو ، ففى ترجمته للسلطان محمد الخامس الغنى بالله يتناول إسناد السلطان له للوزارة ، ويعدد اختصاصاته بقوله "...... قمت بأول الأمر بالوظيفة التى أسندها إلى

---

(١) ابن خلدون:المقدمة ، ص ٦٧١.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة ، ج ٢، ص ٤٤٧.

(٣) نفس المصدر ، ج ٢، ص ص ١٥-١٦؛ المقرى : نفح الطيب، ج ٩، ص ٣١٤.

(٤) ابن الخطيب: المحة البدرية، ص ٦٣.

(5) Arie, R.: El Reino Nasri ,p.205.

أبوه المولى المقدس رحمه الله (يقصد السلطان أبو الحجاج يوسف الأول) من الوقوف على رأسه ، والإمساك فى التهانى والمبايعة بيده ، والكتابة والإنشاء والعرض والجواب ، والخلعة والمجالسة ، جامعًا بين خدمة القلم ، ولقب الوزارة ، معزز الخطط برسم القيادة ، مخصوصًا بالنيابة عنه فى الغيبة ، على كل ما اشتمل عليه سرور القلعة والحضرة ، مطلق أمور الإيالة ، محكمًا فى أشتاته تحكيم الأمانة ، مطلق الجراية ، ظاهر الجاه والنعمة....." [١] .

وفى موضع آخر يترجم لنفسه ويعدد صلاحياته فى الوزارة فى عهد السلطان أبى الحجاج يوسف الأول بقوله "..... وخلفنى عالى الدرجة ، شهير الخُطة ، مشمولاً بالقبول ، مكتوفًا بالعناية "وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها " فقلدنى السلطان كاتب سره ، ولما يجتمع الشباب ، ويستكمل السن ، معززة بالقيادة ، ورسوم الوزارة ، واستعملنى فى السفارة إلى الملوك ، واستنابنى بدار ملكه ، ورمى إلى يدى بخاتمه وسيفه ، وائتمننى على صوان ذخيرته ، وبيت ماله ، وسجوف حرنه ، ومعقل امتناعه ، ومن فصول منشوره ، وأطلقنا يده فى كل ما جعل الله لنا النظر فيه ..."[٢].

وقد عدد الوزير لسان الدين بن الخطيب صلاحياته كوزير فى عهد مملكة غرناطة ، فقد أوكل له السلطان أبو الحجاج يوسف الأول العديد من الصلاحيات ، تشير إلى ذلك عبارة "... وأطلقنا يده فى كل ما جعل الله لنا النظر فيه ..." [٣] .

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة ، ج ٢، ص ١٧ .

(٢) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٤، ص ص ٤٤٢-٤٤٣.

(٣) نفس المصدر ، ج ٤، ص ٤٤٣.

ومن عرض الوزير لسان الدين بن الخطيب يمكن إجمال صلاحيات الوزير فى الأندلس فى عصر بنى الأحمر فيما يلى :

كان الوزير يرأس مجلس البيعة ومجلس التهانى ، فكان الوزير يقف على رأس السلطان أثناء عقد البيعة له ، وكان الوزير كذلك يمسك بيد السلطان لعقد البيعة له [١]. كما كان الوزير يقف بين يدى السلطان فى مجالس العامة ومجالس الرقاع [٢]. وكان يقوم بتوزيع الأعمال على الموظفين ويتابع تنفيذها بنفسه [٣]. كما كان من مهمته أحيانًا أن يقوم بتعيين الولاة والعمال [٤].

وعلى الرغم من أن الشئون المالية فى مملكة غرناطة كانت فى يد موظف مختص بها غير الوزير ، كان يختار من بين وجهاء مملكة غرناطة وكان يُعرف بالوكيل أو صاحب الأشغال[٥] ، إلا أن بعض وزراء بنى الأحمر قاموا بالإشراف على الشئون المالية [٦]فقد قام الوزير محمد بن أحمد بن المحروق بمتابعة الشئون المالية فى عهد السلطان محمد بن إسماعيل[٧]

---

(١) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٢، ص ١٧ .

(٢) ابن الخطيب: اللمحة البدرية ، ص ٩٠.

(٣) نفس المصدر، ص ١٠٣.

(٤) ابن الخطيب: اللمحة البدرية ، ص ٩٠.

(٥) أحمد مختار العبادى : دراست فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٣٥.

(6) Arie, R.: El Reino Nasri ,p.206..

(٧) ابن الخطيب: اللمحة البدرية ، ص ٨٠.

كما قام الوزير لسان الدين بن الخطيب فى عهد السلطان أبى الحجاج يوسف الأول ، ومن بعده ابنه محمد الخامس الغنى بالله بالإشراف على النواحى المالية فى الدولة ، ومنها الإشراف على بيت المال ، والإشراف على أعمال الجباية ،وغيرها [١]

كما أنه كان من بين اختصاصات الوزير مرافقة السلطان فى زياراته التفقدية للمملكة للاطمئنان على أحوال الرعية ، ومن أمثلة ذلك ما قام به الوزير ابن الخطيب أثناء مرافقته للسلطان الغرناطى أبى الحجاج يوسف الأول ، لتفقد أحوال المملكة ، فقد خرج الموكب السلطانى من العاصمة غرناطة متجهًا إلى وادى آش . ثم اتجه الموكب منها إلى مدينة بسطة. ثم اتجه من بسطة إلى مدينة برشانة ومنها إلى مدينة قنتورية . ومن قنتورية اتجه الركب السلطانى إلى بيرة ، ومنها إلى مدينة المرية ، ومن المرية اتخذ الطريق إلى بجانة[٢]، ومنها إلى مرشانة Marchena [٣]، ومنها إلى وادى آش ،ثم إلى العاصمة غرناطة[٤] .

كما أن قيادة الجيوش نيابة عن السلطان كانت أحد أهم اختصاصات الوزير ، وعلى مدار تاريخ مملكة غرناطة تم تفويض العديد من الوزراء لتولى مهمة قيادة

---

(١) ابن الخطيب: اللمحة البدرية ، ص ص ١٠٤، ١١٦.

(٢) بجانة Pechena: بفتح الباء وبعدها جيم مفتوحة مشددة بعدها ألف وبعد الألف نون وهى مدينة أندلسية ساحلية تسمى أيضًا ألش اليمن لأن الأمويين أنزلوا قبيلة بنى سراج القضاعيين فى هذه المنطقة وألزموهم بحراسة الساحل، بينها وبين المرية خمسة أميال . انظر : الحميرى : الروض المعطار ، ص ص ٧٩-٨٠.

٣) مرشانة Marchena : وتسمى أيضًا مرسانة ، وهى مدينة عبارة عن حصن يقع بالقرب من المرية . وهناك بلدة أخرى بنفس الاسم قرب إشبيلية انظر: الحميرى : الروض المعطار ، ص ٥٤٢ .

(٤) ابن الخطيب:خطرة الطيف ، ص ص ٢٧-٤٩.

الجيوش ففى عهد السلطان محمد الثانى تم تفويض الوزير الغرناطى أبا سلطان الدانى[١] أمر القيادة العسكرية للجيش فى العديد من المعارك الحربية[٢] .

كما قام السلطان أبى الحجاج يوسف الأول بتفويض الوزير أبى النعيم رضوان بقيادة الجيش فى حروب مملكة غرناطة ضد جيوش مملكة قشتالة ، فى مرات عديدة ، وحقق العديد من الانتصارات على الجيوش القشتالية ، وفتح العديد من المدن، فقد استطاع الوزير أبو النعيم رضوان فى عام ٧٣٣هـ/١٣٣٢م فتح مدينة باغة ، وبعد أن تمكن من فتحها ترك بها حامية عسكرية لحمايتها من غارات النصارى إذا ما أرادوا استردادها مرة أخرى[٣].

كما كان من بين اختصاصات الوزير أن يتولى أمر رئاسة ديوان[٤] الإنشاء[٥]، أو ديوان الرسائل ، الذى عرفت خطته فى غرناطة على مدار تاريخها باسم خطة

---

[١] الوزير أبو سلطان الدانى : أصله من بلدة دانية ، وهو من أحد بيوت الأشراف فى مملكة غرناطة ، فأسرته من الأسر العريقة فى الأندلس ، وقد تولى الوزارة للسلطان محمد الثانى الفقيه . انظر: ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص ٥٢.

(٢) ابن خلدون : العبر ، ج ٧، ١٩٨.

(٣) ابن الخطيب: اللمحة البدرية ، ص ٩٠.

[٤] كلمة ديوان أصلها فارسى، ويذكر ابن خلدون : أن كسرى ملك الفرس نظر يومًا إلى كُتَّاب قصره وهم يحسبون على أنفسهم كأنهم يحادثون، فقال ديوانه أى مجانين بلغة الفرس وحذفت الهاء لكثرة الاستعمال تخفيفًا ، فقيل ديوان. انظر : ابن خلدون :العبر، جـ١ ، ص ٣٠٢ .

(٥) كانت وظيفة الكاتب فى مملكة غرناطة من الوظائف المرموقة ، وكان لا يمارسها إلا أهل العلم والأدب ، وكانت تستلزم حسبما أورد القلقشندى أن يكون الكاتب ملمًا بأنواع الكتابة والاشتمال على البيان الدال على لطائف المعانى التى هى زيد الأفكار ، وجوهر الألفاظ ، وكانت خطة الكتابة تسمى فى غرناطة بالكتابة العليا . وكان المكان الذى يقوم فيه الكاتب بالكتابة يسمى بديوان الإنشاء أو بديوان =

الكتابة العليا [١] . وكان فى بعض الأحيان يقوم الوزير بنفسه بأمر الكتابة والإنشاء كصياغة الظهائر المتعلقة بتولى المناصب فى الدولة كتعين كبار الموظفين والولاة والقضاة وغيرهم[٢] ، وصياغة عقود الاتفاقات التى تعقدها المملكة مع الممالك الأخرى إسلامية ومسيحية[٣]. كما كان الوزير يتولى الرد على الرسائل الديوانية الواردة إلى المملكة[٤]. فقد تولى الوزير الغرناطى لسان الدين ابن الخطيب وزير السلطان محمد الخامس الرد على رسالة السلطان أبو حمو موسى[٥] (٧٥٨-٧٩١هـ/١٣٥٩-١٣٨٩م) ، والتى تضمنت موافقة بنى زيان على تقديم العون والمدد لبنى الأحمر فى الأندلس [٦] ، برسالة يشكره فيها على ذلك ومما جاء فيها :

= الرسائل . انظر : القلقشندى : صبح الأعشى ، ج ١، ص ٥٥؛ أحمد مختار العبادى : دراست فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٣٤.

(١) المقرى : نفح الطيب ، جـ ٨ ، ص ٣٢٥ ؛ أزهار الرياض ، جـ ٢ ، ص ٣٤١ .

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة ، ج ٢، ص ١٧ ؛ Arie, R.: El Reino Nasri ,p.206

(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٤٢.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة ، ج ٢، ص ١٧ .

(٥) هو أبو حمو موسى بن أبي يعقوب، المعروف بأبي حمو موسى الثاني، من ملوك بني عبد الواد . ولد سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م . وفى عام ٧٥٣ هـ/١٣٥٢م استولى المرينيون على مدينة تلمسان ، ففر أبو حمو الثانى، إلى تونس، فاستقبله الحفصيون بحفاوة بالغة ، وقدموا له العون والمساعدة لاسترجاع ملك بنى زيان فى تلمسان. وفي عام ٧٦٠هـ/١٣٥٩م تمكن أبو حمو موسى الثاني من دخول تلمسان على رأس جيش كبير ، والاستيلاء على الحكم. وفي الفترة الأخيرة من حكمه، حدث تنافس على العرش بينه وبين ابنه أبي تاشفين، الذي لم يتردد في التحالف مع المرينيين والاستعانة بهم للهجوم على أبيه بتلمسان وقتله عام ٧٩١هـ/١٣٨٩م. انظر : ابن خلدون : العبر، جـ ٦، ص ص ٥٥١-٥٥٢.

(٦) يحيى بن خلدون : بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد- تحقيق عبد الحميد حاجيات، الجزائر، ١٩٨١م، جـ٢، ص ١٦٧؛ Arie, R.: El Reino Nasri ,p.205.

لقد زارَ الجزيرةَ منكَ بحـــرُ   يمدُ فليس نَعرفُ منه جُزرًا
أعَدْتَ لها بِعَهْدِكَ عهد موسى   سَميِّك فهى تَتْلُو من ذِكْــرًا [١]

كما تضمنت رسالة السلطان الغرناطى محمد الخامس إلى السلطان الزيانى أبى موسى حمو ، رسالة نثرية من نظم الوزير والأديب لسان الدين ابن الخطيب ، كانت غاية فى الإبداع الأدبى يذكر فيها أنهم "... لم يعانوا منذ أن فتحت الأندلس شـــدة، وضيقا أشدّ مما هم عليه الآن، وذكر بأن ملك النصارى جمع لهم جيوشا من سائر الأمم النصرانية، وأنهم قاموا بإحراق الزروع، والمسلمون ليس لهم مغيث يلجئون إليه – بعد الله – سوى إخوانهم في الدين، وذكر بأنهم كانوا قد أعلموا المرينيين بهذا الخطر، وأنهم يقومون بما يقدرون عليه من دعم ومساندة، وأنهم لا يملكون غير أنفسهم وقد بذلوها في سبيل الله وهم ينتظرون نجدتكم..." [٢].

فقام أبو حمو موسي الزياني بإرسال الأحمال العديدة من الذهب والفضة، والخيل، والطعام، وتمثلت المساعدات في " ... خمسين ألف قدح من الزرع، وثلاثة آلاف قطعة من الذهب لكراء السفن.. "[٣].

كما أن الوزراء كانوا يتولون فى بعض الأحيان مهمة الرد على رسائل ملوك الممالك المسيحية المجاورة لمملكة غرناطة ، وكان يوجد بقصر الحمراء دار لترجمة

---

[١] ابن الخطيب : ديوان لسان الدين بن الخطيب السلمانى – تحقيق محمد مفتاح ، دار الثقافــة ، الـــدار البيضاء ، ١٩٨٩م ، جــ٢ ، ص ٧٩.
[٢] ابن أبى زرع : الذخيرة السنية، ص ١٧٢.
[٣] نفس المصدر، ص ١٧٢.

هذه الرسائل لعدة لغات ، ومما يؤكد وجود إدارة للترجمة بـــديوان الإنشـــاء هـــو أن بعض المراسلات السلطانية الصادرة فى غرناطة كانت تشير إلى وجـــود نســـختين إحداهما باللغة العربية والأخرى باللغة الأخرى حسب الجهة الموجهة إليها .علـــى أن يتم حفظ النسخة العربية فى غرناطة ،وترسل الأخرى إلى الجهة المرسلة إليها[١] .

وعلاوة على وجود دار للترجمة فى قصر الحمراء ، تشير المصادر التاريخية إلى إلمام العديد من وزراء مملكة غرناطة باللغات غير العربية ،ومنهم الوزير محمد بن على المعروف بابن الحاج المهندس وزير السلطان أبى الجيوش نصر، الذى كان عارفًا بلغة ملوك قشتالة، وسيرهم وأخبارهم ،ومهتمًا بشأنهم، ولهذا نهج سياسة موالية لهم فى بعض الأوقات ،وأُغْرِق فى ذلك إغراقًا لم يقبله أهل غرناطة ، فثاروا عليـــه واتهموه بتحريض ملك قشتالة على الاستيلاء على الأراضى الإسلامية ومساعدته فى ذلك ، وكادوا يقتلونه لولا عزل السلطان له فى الحال [٢] .

كما أن الوزير الغرناطى لسان الدين بن الخطيب عمل كرئيس لديوان الإنشاء فى غرناطة، وتلقى العديد من الرسائل الديوانية من ملوك قشتالة وأراجون والتقى بوفودهم أيضًا ،وكان عارفًا بلغاتهم . فقد تعلم اللغة القشتالية التى تستدعيها صلات أسرته الرفيعة على المستوى الاجتماعى ، والتى كانت تعده منذ نعومة أظافره لتقليد المناصب المهمة فى غرناطة. كما تتطلبها صلات البلاط النصرى الذى ارتبط به منذ

---

(1) Alarcón y Linares :Los Documentos Árabes Diplomáticos, p. 411.

وتشير الوثيقة وهى عبارة عن رسالة من السلطان محمد الخامس الغنى بالله إلى ملـــك أراجـــون بـــدرو الرابع فى ١٨ صفر ٧٣٩هـــ / ٢٥ مايو ١٣٣٧م وجاء فيها " ... كتبت فى نسختين بالعربى والعجمـــى تكون أحداهما عندنا والأخرى عندكم " .

(٢) ابن الخطيب : اللمحة البدرية ، ص ٥٨ .

شبابه على مستوى الوظيفة والمكاتبات والمخاطبات واللقاء بالوفود والقيام بالسفارات. والغالب أن ابن الخطيب نال النصيب المعقول من اللغة القشتالية واللاتينية [١].

وقد كتب ابن الخطيب بأمر من السلطان محمد الخامس إلى ملك أراجون بدرو الرابع رسالة تضمنت بعض الوصايا والحكم. كما أنه قام بتلخيص كتاب الحولية العامة لألفونسو العاشر الحكيم وترجمته إلى العربية .واستعان فى هذا العمل باليهودى يوسف بن وقار ،الذى جلب له الكتاب من قشتالة لأنه لم يكن متداولاً بين المسلمين، وكان من مشمولات الملك الخاصة . [٢]

وكانت الكتابة من أهم ما يميز الوزراء فى مملكة غرناطة فى تلك الفترة بل وصل الحد فى ذلك إلى التباهى بالبلاغة والشعر وإعجابه به ، وقد صاغ ذلك شعراً، ومن أبرز النماذج التي تتضمن الإعجاب بشعره وفيض قريحته، قوله في معرض المديح، مفتخراً بنبوغه وتفوقه في زمن عز فيه النبغاء :

خذهـــا أميــــر المسلميـــن بـــديعة	تطـــوي البلاد مشارقاً ومغـــاربـــاً
ويقر بالتقصير عنـــد سمـــاعـــهـــا	قضت البلاغة لي بفوز قداحـــــها
ونبغت في زمـــن أخيـــر أهلهمـــا	كل من نظــــم القـــوافي شاعـــر
إن لـــم أدعـــها فـــي امتداحك فـــذة	سحبـــت بـــدائعهـــا على سحبان[٣]

[١] محمد فاتح زغل : سلطة المثقف بين الاقتراب والاغتراب ، قراءة فى سيرة لسان الدين بن الخطيـــب وتجربته السياسية ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ٢٠٠٦م ، ص ٧٢ .

(2) Al Abbady, A.M.: Op. Cit., p. 166.

(٣) ابن الخطيب: ديوان ابن الخطيب، جـــ١، ص، ٥٩٣

وكان غالبية وزراء مملكة غرناطة من أهل العلم والفضل والأدب ، ومارس غالبيتهم خطة الكتابة في ديوان الإنشاء قبل توليه الوزارة ، ثم ظلوا محتفظين بهذه الخطة بجانب عملهم كوزراء[١]. ومن الوزراء الذين مارسوا الكتابة ثم انتهى بهم الأمر لتولى الوزارة الوزير أبو عبد الله محمد بن الحكيم الرندى وزير السلطان محمد الثالث المخلوع ، والذى كان كاتبًا للسلطان محمد الثانى الفقيه[٢].

كما أن الوزير أبى الحسن بن الجياب شيخ ابن الخطيب كان قد تولى الكتابة للسلطان أبى الجيوش نصر ثم للسلطان أبى الوليد إسماعيل ، ثم للسلطان محمد الرابع بن إسماعيل ثم للسلطان أبى الحجاج يوسف الأول ، والذى ولاه الوزارة فى عهده بجانب الكتابة[٣] . كما أن الوزير لسان الدين بن الخطيب كان قد تولى الكتابة فى عهد السلطان أبى الحجاج يوسف الأول ، ثم وزيرًا بعد ذلك[٤].

ومن أمثلة تولى الوزراء الكتابة أثناء الوزارة ما قام به الوزير ابن الخطيب من تولى الكتابة فى وزارته للسلطان الغرناطى محمد الخامس ، وقد تعددت كتابات الوزير لسان الدين بن الخطيب ، وبخاصة التى تحض على الجهاد والاستنفار ضد النصارى . ومنها ما كتبه عام ٧٦٧هـ /١٣٦٦م لحث مسلمى غرناطة على حمل السلاح والجهاد ضد مملكة قشتالة، لاسترداد الأراضى الإسلامية التى كانت قد استولت عليها قبل ذلك. ومما جاء فيها "... أيها الناس رحمكم الله تعالى ، ارحموا

---

(١) أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ص ٢٣٣-٢٣٤؛
Arie, R.: El Reino Nasri ,p.206.

(٢) ابن الخطيب: اللمحة البدرية ، ص ص ٥٣ ، ٦٣.

(٣) نفس المصدر ، ص ص ٧١، ٧٩،٩٥ ، ١٠٤.

(٤) نفس المصدر ، ص ١٠٤.

إخوانكم المسلمين ، إن العدو قد داهم ساحتهم ، ورام الكفر استباحهم ، وزحفت أحزاب الطواغيت إليهم ، ومد الصليب ذراعيه إليهم......الجهاد الجهاد قد تعين ، الجار الجار فقد قرر الشرع حقه وبين ...... أعينوا إخوانكم بما أمكن من الإعانة..."[١]

و فى عام ٧٧٠هـ /١٣٦٩م عندما عزم السلطان الغرناطى محمد الخامس على الجهاد لاسترداد الجزيرة الخضراء من أيدى مملكة قشتالة بعد أن كانت قد استولت عليها عام ٧٤٤هـ/١٣٤٤م[٢] ، نادى فى مملكته بالجهاد، وأمر بالنفير لاستردادها ، ودعى الناس لاستغلال الفرصة ، ونصرة الإسلام ، وذلك من خلال رسالة من إنشاء ابن الخطيب ، تليت على المنابر ، وفى المنتزهات ، وفى الأماكن العامة [٣].

---

(١) ابن الخطيب: ريحانة الكتاب ، جـ ٢، ص ٦١؛ المقرى: نفح الطيب، جـ٦، ص ص ١٦٥-١٦٦ .

(٢) فى ذى الحجة سنة ٧٧٠ هـ / يوليو ١٣٦٩م ، تمكن المسلمون من ضرب الحصار حول المدينة براً وبحراً ، وكان حصاراً شديداً .وفى يوم ٢٣ ذى الحجة سنة ٧٧٠ هـ / ٢٩ يوليو ١٣٦٩م ، دارت معركة قوية بين الجيش الإسلامى والحامية القشتالية المرابطة لحمايتها من المسلمين ، انتصر فيها المسلمون. وقتل العديد من الفرسان القشتاليين. فرأى النصارى أنهم لا قبل لهم بمواجهة المسلمين ، فوافقوا على مبدأ التسليم مقابل منحهم الأمان ، وأرسلوا فى نفس اليوم من يفاوض السلطان الغرناطى فى ذلك الأمر ، فوافق على منحهم الأمان، وفى المقابل يرحلون عن المدينة، ويسلمونها للمسلمين، وذلك فى يوم ٢٣ ذى الحجة سنة ٧٧٠ هـ / ٢٩ يوليو ١٣٦ .وفى يوم الإثنين ٢٥ ذى الحجة سنة ٧٧٠ هـ / ٣١ يوليو ١٣٦٩م، خرج أهالى الجزيرة الخضراء منها . انظر: ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ ٢ ، ص ٩٠ .

(٣) ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ ٢ ، ص ص ٨٨ – ٨٩ .

كذلك كان من بين صلاحيات الوزير الإنابة عن السلطان فى كافة الأمور أثناء غيابه عن المملكة لسبب من الأسباب مثل الجهاد أو تفقد أمور المملكة[1] ، وكان الوزير يتولى كافة الاختصاصات مثل إدارة شئون القصر ، وتقليد الخاتم والسيف ، وكذلك الأمانة على خزانة السلاح . كما كان يتولى الإشراف على بيت المال فى غياب السلطان . كما كان الوزير يتولى الحفاظ على أعراض السلطان من خلال تولى تأمين حريم القصر والإشراف على ذلك بنفسه . [2]

كما كان من بين اختصاصات الوزير المهمة السفارة إلى الدول المجاورة وذلك إما لعقد اتفاقات أو لتوطيد الصلة بين البلدين ، أو تجديد العهود والمواثيق . فقد قـــام السلطان الغرناطى أبو الجيوش نصر بتكليف الوزير أبا عبد الله بن الحكيم بالســـفارة على بلاد المغرب وذلك للعمل على توطيد علاقة مملكة غرناطة بدولة بنى مـــرين ، والعمل على تقوية الروابط بين الدولتين[3]

كما قام الوزير الغرناطى ابن الخطيب قام بسفارتين مهمتين ، كانت الأولى فى عهد السلطان أبى الحجاج يوسف الأول ، وكان قد أوفده على رأس وفد إلى السلطان المرينى أبى عنان فارس لتعزيته فى وفاة والده السلطان أبى الحسن على [4].

---

(١) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٤، ص ٤٤٣؛ ابن خلدون : العبر ، ج ٧، ص ٤٣٠.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة ، ج ٢، ص ١٧ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، ج ٧، ص ٢٢٨.

(٤) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٢، ص ١٩؛ المقرى : نفح الطيب، ج ٥، ص ٩٨ .

كما قام بسفارة أخرى إلى السلطان المرينى أبى عنان[١] ، وكانت فـــى عهــد السلطان الغرناطى أبى عبد الله محمد الخامس الغنى بالله ، وكانت بهدف طلب العون والمدد المرينى لمملكة غرناطة حتى تتمكن من التصدى للأطمـــاع المســـيحية.[٢] ، وقابله السلطان المرينى بترحاب شديد ، وأكرم وفادته، فأنشده ابن الخطيب :

خليفَةَ الله ساعَدَ القَدَر   عُلاك ما لاح فى الدُّجى قمرُ [٣]

كذلك قام السلطان الغرناطى محمد الخامس بتكليف الوزير محمد بن زمرك بعقد الصلح مع الممالك المسيحية . [٤]. وفى بداية عهد السلطان يوسف الثالث، فضل

---

(١) سعى السلطان محمد الخامس إلى تحسين علاقته ببنى مرين بعد أن ساءت فى عهد والده السلطان أبى الحجاج يوسف الأول ٠ ولهذا السبب أرسل السلطان محمد الخامس وفدًا إلى بلاد المغرب للقاء السلطان المرينى أبى عنان، كان الوزير لسان الدين بن الخطيب على رأس هذا الوفد، وذلك فى ذى القعدة سنة ٧٥٥ هـــ / نوفمبر ١٣٥٤م، وكان الهدف منه أن يسود الحب والود بين أهل العدوتين، المغربية والأندلسية. كذلك ليحذره من أطماع النصارى فى أملاك المسلمين فى الأندلس، ويطلب منه استمرار التعاون العسكرى، والمدد المرينى، كما كان فى عهد أسلافه من سلاطين بنى مرين .وعندما مثل الوزير ابن الخطيب أمام السلطان المرينى أبى عنان أنشد هذه القصيدة .واهتز السلطان أبو عنان لهذه الأبيات، وأذن له بالجلوس ، وقال له قبل أن يجلس لك ما طلبت، فلن ترجع إليهم إلا ولك ما سألت . انظر: ابن الخطيب : الإحاطة ، جـــ ٢ ، ص ص ١٩ – ٢٠ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـــ ٧ ، ص ص ٤٤١–٤٤٢؛ المقرى : نفح الطيب، جـــ٥، ص ص ٩٨–٩٩ .

(٢) المقرى : نفح الطيب، ج ٥، ص ص ٩٨ –٩٩.

(٣) ابن الخطيب : الإحاطة ، جـــ ٢ ، ص ص ١٨–١٩ .

(٤) المقرى : نفح الطيب، ج ١٠، ص ٢٧.

أن يجدد الصلح مع قشتالة، فأرسل من أجل ذلك المفاوض الماهر الوزير عبد الله الأمين إلى بلاط قشتالة ، وتم الاتفاق على تجديدها (١).

كما كان من بين اختصاصات الوزير الغرناطى استقبال السفراء فيذكر الوزير ابن الخطيب أنه أثناء وزارته استقبل فى منزله الحكيم اليهودى الطبيب ابن زرزر من مملكة قشتالة ، وكان قد وصل إلى غرناطة لقضاء بعض المهام (٢).

كذلك استقبل الوزير لسان الدين بن الخطيب الطبيب القشتالى اليهودى يوسف بن وقار الإسرائيلى الطليطلى سفير الملك القشتالى هنرى الثانى إلى غرناطة فى عهد السلطان محمد الخامس. وفى غرناطة التقى بابن الخطيب . واستعان به ابن الخطيب فى ترجمة الجزء الخاص بتاريخ ملوك أسبانيا المسيحية فى نهاية كتابه " أعمال الأعلام " (٣) .

كما استقبل الوزير لسان الدين بن الخطيب المؤرخ والعلامة المغربى ابن خلدون(٤) إلى غرناطة ، فى السفارة التى كلفه بها السلطان المرينى أبو زيان(١) (

(1)Arie, R.: ElReino Nasri, p. 59.

(٢) المقرى : أزهار الرياض ، ج ١، ص ٦٢.

(٣) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ٣٢٢ – ٣٧٣ .

(٤) المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون ، يعود نسبه إلى إحدى القبائل العربية الموجودة فى حضرموت من عرب اليمن ، وكانت أسرته تقيم فى مدينة إشبيلية، وبعد سقوطها فى أيدى النصارى، انتقلت الأسرة لتعيش فى تونس ٠ ولد بتونس فى عام ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢م ٠ تولى الوظائف وهو شاب، ثم تدرج فيها حتى وصل إلى منصب كاتب السر فى عهد السلطان أبى سالم المرينى فى عام ٧٦٠ هـ / ١٣٥٩م. وتولى بعدها ديوان الإنشاء .عنه انظر: ابن خلدون: التعريف بابن خلدون، ص ص ١–٥٥؛ أحمد بابا التمبكتى: نيل الابتهاج بتطريز الديباج – تحقيق عبد الحميد الهرامة – طرابلس ،١٩٨١م ، ص ١٦٩؛ السخاوى: الضوء اللامع، جـ٤، ص ١٤٥.

٧٦٣-٧٦٧/١٣٦١-١٣٦٥م) إلى السلطان الغرناطى محمد الخامس فى ربيـــع الأول سنة ٧٦٤ هـــ / أبريل ١٣٦٣م ، لتوطيد العلاقة بين العدوتين المغربية والأندلسية[٢] . ولازم ابن الخطيب المؤرخ ابن خلدون فترة إقامته بغرناطة . والتقيا معًا فى عـــدة مجالس مع السلطان الغرناطى محمد الخامس ، أنشد ابن خلدون فى بعضـــها عـــدة قصائد أثناء الاحتفال بالمولد النبوى الشريف.وفى مناسبات أخرى .[٣]

خامسًا:استبداد الوزراء :

شهدت مملكة غرناطة نوعًا من استبداد الوزراء واستئثارهم بإدارة كافة شئون المملكة ، والتعدى على صلاحيات كثيرة كان الملوك هم أصحاب الاختصاص فيها ،وقد أورد ابن الخطيب جملة من مظاهر استبداد الوزراء ، وازدياد صلاحياتهم ، وتمركز العديد منها فى أيديهم دون السلاطين فى ترجمته للحاجب أبى النعيم

---

(١) هو السلطان أبو زيان محمد بن يعقوب بن أبى الحســن، بويــع فــى ٧٦٣هـــ/١٣٦١م ،وســادت الاضطرابات فى عصره ، وكثرت الثورات ضده . شعر بخطر وضغط الوزير عمر الفودوى واســتبداده ، فخطط لقتله ، ولما أحس الوزير بذلك قتله خنقًا. انظر :ابن الأحمر : النفحة النسرينية، ص٥٩؛ إبراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ– الدار البيضاء، ١٩٦٨م جـــ٢، ص ٦١.

(٢) بعد عودة السلطان الغرناطى محمد الخامس للحكم فى عام ٧٦٣ هـــ / ١٣٦٢م طلب منـــه الســلطان المرينى أبو زيان رد رندة مرة أخرى إلى أملاك بنى مرين ، لكن السلطان الغرناطى رفض ذلــك ، وأراد التمسك بها لتصبح تحت سيطرة بنى الأحمر ، وفى ذلك الشأن تدخل الوزير لسان الــدين بــن الخطيــب ،الذى كان لا يزال فى بلاد المغرب، وانتهى الأمر بأن أبقى عليها السلطان الغرنــاطى فــى حوزتــه . انظر : ابن الخطيب : الإحاطة ، جـــ ٢ ، ص ٣٠ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـــ ٧ ، ص ٤٤٣ ؛ Luis Lucena de Pardes : El Hāŷib Ridwān la Madraza de Granada Y las Murallas del Albayzin – (Al- Andalus, Madrid Y Granada, Vol. XXI, 1956,pp280-295.

(٣) المقرى: نفح الطيب ، جـــ١، ص٤٤٧ ؛ابن خلدون : التعريف بابن خلدون ، ص ص ٨٤ –٩٠.

رضوان فيذكر أنه "... اتصل نظره مستبدًا عليه (أى السلطان) فى تنفيذ الأمور ، وتقديم الولاة والعمال ، وجواب المخاطبات ن وتدبير الرعايا ، وقود الجيوش ..." [١]

كذلك تحدث الوزير ابن الخطيب عن مظهر آخر من مظاهر الاستبداد عندما تحدث عن سلطاته فى عهد السلطان محمد الخامس الغنى بالله قائلاً:"... واختصصت بفوات المدة على السلطان ، فكنت المنفرد بسره .." [٢] كما ذكر فى موطن آخر ".... وقصر المشورة على نصحى.."[٣]

وقد تنوعت الأسباب التى أدت فى النهاية على استبداد الوزراء فكان منها ما يتعلق بالسلاطين ومنها ما يتعلق بالوزراء أنفسهم . ففى بعض الأحيان كان هذا الاستبداد ناجمًا عن رغبة السلطان نفسه فى زيادة صلاحيات الوزير مثلما حدث فى عهد السلطان أبى الحجاج يوسف الأول عندما أصدر ظهيرًا بتولى الوزير لسان الدين بن الخطيب الوزارة جاء فيه "... وأطلقنا يده فى كل ما جعل الله لنا النظر فيه ..."[٤]

وربما كان هذا الاستبداد ناجمًا عن تولى أحد السلاطين فى سن صغيرة لا تمكنه من مباشرة الحكم ففى عهد السلطان محمد بن إسماعيل (٧٢٥-٧٣٣هـ/ ١٣٢٥-١٣٣٣م)، و الذى كان قد تولى عرش المملكة بعد اغتيال والده السلطان أبى الوليد إسماعيل ، وكان عمره لا يتجاوز التسع سنوات[٥]، كان لابد من وجود من يقوم بتدبير أمور المملكة، فتولى أمورها الوزير أبو الحسن بن مسعود[٦]، وزير والده،

---

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص ٣١٦ .

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص ١٦.

(٣) نفس المصدر، جـ٤، ص ٤٤٣.

(٤) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٤، ص ٤٤٣ .

(٥) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص ٢٩٥.

(٦) عنه انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص ٣٨٠؛ اللمحة البدرية، ص ٧٩.

وبعد وفاته، تولى الوزارة محمد بن المحروق[1]، فاستبد بشئون المملكة، واستأثر بالسلطة[2].

وتسبب الوزير محمد بن المحروق باستبداده بأمور المملكة فى وقوع فتنة فى المملكة. ففى عام ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م منع الوزير ابن المحروق شيخ الغزاة عثمان بن أبى العلاء[3] من مقابلة السلطان أو الاتصال به إلا عن طريقه، وتعدى الأمر ذلك، فمنع جنود مشيخة الغزاة من دخول غرناطة. واستمر ابن المحروق فى استبداده، وأعلن عزل القائد عثمان بن أبى العلاء عن قيادة مشيخة الغزاة، وعين بدلاً منه القائد يحى بن رحو بن عبد الحق خلفاً له[4]، وترتب على ذلك أن ثارت ثائرة عثمان بن

---

(١) الوزير محمد بن أحمد المحروق، من أهل غرناطة، ترقى إلى الوزارة والحجابة يوم الاثنين غرة رمضان من عام ٧٢٥ هـ/ ٥ أغسطس ١٣٢٥م، وتوفى مقتولاً بأمر السلطان عام ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م. عنه انظر: ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص ٥٧٣؛ اللمحة البدرية، ص ٩٤.

(٢) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص ٢٩٦؛ الإحاطة، جـ١، ص ص ٥٣٧-٥٣٨؛ اللمحة البدرية، ص٩٤؛ ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص ٢٥٥؛ القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٥، ص ٢٦٢.

(٣) فى سنة ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦م عبر أولاد عثمان عبد الحق المرينى مثلهم مثل غيرهم من القبائل التى عبرت إلى الأندلس ، وكان زعيمهم عبد الله بن أبى العلاء ، الذى تولى مشيخة الغزاة فى الأندلس ، إلى أن مات شهيداً فى إحدى الغزوات سنة ٦٩٣هـ /١٢٩٤م ، ثم عقد السلطان أبو الجيوش نصر لأخيه عثمان بن أبى العلاء على مالقة ونواحيها أميراً على الغزاة بها ، ولما حدث انقلاب ضد السلطان من قبل أبا الوليد بن الرئيس أبى سعيد تحدث مع شيخ الغزاة بمالقة عثمان بن أبى العلاء ، قدم له المساعدة ، واستمرت ولاية عثمان بن أبى العلاء فى مشيخة الغزاة فترة طويلة . انظر : ابن خلدون : العبر ، جـ ٧ ، ص ص ٣٦٨-٣٧٢.

(٤) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص ٢٩٦؛ الإحاطة، جـ١، ص ص ٥٣٥-٥٣٦؛ اللمحة البدرية، ص ص ٩٣-٩٤؛ انظر أيضاً: أحمد محمد الطوخى: مظاهر الحضارة، ص ٣٧. يكنى أبو زكريا ولد بظاهر تلمسانسنة ٦٩١ه/١٢٨٨م يتصل نسبة ببنى مرين تولى مشيخة الغزاه مرتين أولهما قبل هلاك ابن المحروق فى أواسط سنة ٧٢٧ه/ ١٣٢٧م فى عصر السلطان محمد الرابعوقد استمر فيها =

أبى العلاء وجنوده، فاعتصم بحصن أندرش Andarax[١] بساحل المرية، وأرسل فى طلب عم السلطان الغرناطى، ويدعى محمد بن فرج بن إسماعيل، وكان وقتها فى تلمسان[٢]. ودعا لنفسه سلطاناً على غرناطة، ونشبت الحرب الأهلية فى غرناطة، ودارت حروب بين الفريقين كانت سجالاً، أدت إلى ضعف مملكة غرناطة[٣]. فأمر السلطان بالقبض على الوزير ابن المحروق ، وحاكمه لإشعال نار الفتنة ، وقتله فى ٨ محرم سنة ٧٢٩هـ/ ٦ نوفمبر ١٣٢٩م. وبذلك تم القضاء على المشاكل الداخلية فى غرناطة[٤].

وربما كان استبداد الوزراء راجعًا إلى ضعف الحكام فبعد وفاة السلطان محمد الخامس وتولى ابنه السلطان يوسف الثانى (٧٩٣ - ٧٩٧ هـ / ١٣٩١-١٣٩٤م)، تولى الوزارة له خالد مولى أبيه السلطان محمد الخامس والذى كان قد

= حتى ٧٢٩ه/ ١٣٢٧م حيث نقل إلى وادىآش مع قومة بع أن عاد إليها عثمان بن أبى العلاء عند قتل السلطان أبو الحجاج يوسف الأول جدد له ولده السلطان محمد الخامس الولاية وضاعف حظوتة وقربه .انظر :ابن الخطيب : الإحاطة، ج٤،ص٧٩؛ابنخلدون: العبر،ج٧،ص٣٧٤.

(١) أندرش Andarax : بلدة من أعمال المرية، ليس لها وجود حالياً، ولكن لا يزال اسمها يطلق على نهر ينبع من جبال شيلر Sierra Nevada، ويصب مياهه فى البحر المتوسط عند المرية. ووصفها ابن الخطيب قائلاً: حريرها ذهب. انظر: ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص ٩٣ هـ٤؛ معيار الاختبار ضمن مشاهدات، ص ٨٨ .

(٢) عندما تمت بيعة الأندلس للسلطان أبى الوليد إسماعيل فى عام ٧١٣هـ/ ١٣١٤م، ذهب أخ له يسمى محمد بن فرج بن إسماعيل إلى تلمسان ليستقر بها، وفى عام ٧٢٧هـ/ ١٣٢٧م، كانت دعوته هذه لمبايعته. انظر: ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص ٢٩٧.

(٣)ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص ٢٩٧؛ الإحاطة، جـ١، ص ص ٥٣٥-٥٣٦؛ اللمحة البدرية، ص ص ٩٣- ٩٤؛ ابن خلدون: العبر، جـ٤، ص ١٧٤.

(٤) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص ٢٩٧؛ الإحاطة، جـ١، ص ٥٣٦؛ اللمحة البدرية، ص ٩٤.

بدأت شخصيته تظهر على الساحة فى أواخر عهد السلطان محمد الخامس. وبعد وفاة السلطان محمد الخامس سيطرت هذه الشخصية على مجريات الأمور فى غرناطة ، وظهر وكأنه السلطان فى قراراته ، واستبد بالحكم ، وأول ما قام به هو قتل إخوة السلطان يوسف الثانى وهم الأمير سعد والأمير محمد والأمير نصر ، بعد أن قبض عليهم وأودعهم فى السجن. وعلم السلطان يوسف الثانى أن الوزير خالد يدبر لقتله بالاتفاق مع الطبيب الخاص للسلطان، وهو يحيى بن الصائغ وكان يهودياً . فقبض على الأمير خالد وزج به فى السجن ثم أمر بقتله، فاستقرت الحالة الداخلية (١) .

كذلك فى عهد السلطان الغرناطى محمد السابع (٧٩٧ – ٨١١ هـ / ١٣٩٤ – ١٤٠٨) والذى كان قد تولى له الوزارة الوزير أبو عبد الله بن زمرك ، فاستبد بأمور الدولة ، وهيمن على مجريات الأمور فى المملكة ، وكان ذلك السبب أنه لم يستمر فى وزارته سوى ثلاثة أشهر ،حيث قامت جماعة من المتآمرين بقتله هو وأبناءه ، وتم تعين أبو بكر محمد بن عاصم بدلاً منه (٢) . وبلغ حد هيمنة واستبداد الوزراء أن استبدت بعض الأسر بأمور الوزارة نفسها فجعلت الوزارة فيها ونشب صراع بين الأسر الكبيرة فى غرناطة بهذا الشأن ، ومنها الصراع بين أسرة بنى السراج وأسرة الأمين وأسرة بنى الثغرى وأسرة أضحى . وعمل هذا الصراع على انتشار الفوضى فى مملكة غرناطة(٣).

---

(١) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤٢ ؛ محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس ، ص ١١٥ ؛ Arie, R.: El-Reino Nasri, p. 55

(٢) ابن خلدون : العبر ، جـ٧، ص ٣٤١؛ المقرى : نفح الطيب : جـ ٤ ، ص ٦٨٠ ؛ يوسف شكرى فرحات : غرناطة فى ظل بنى الأحمر ، ص ٤٣.

(٣) مجهول : أخبار العصر ، ص ٧٥؛ محمد عبدالله عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٤٧؛ يوسف فرحات : غرناطة فى ظل بنى الأحمر ، ص ٥٧.

سادسًا: نهاية الوزارة :

كانت الوزارة تنتهى فى مملكة غرناطة شأنها شأن الممالك والدول الإسلامية الأخرى لعدة أسباب منها عزل الوزير . وتعددت فى مملكة غرناطة أسباب عزل الوزراء ، ومنها ما يتعلق بأخلاقيات الوزير فى التعامل مع الآخرين وقد وأور الوزير ابن الخطيب أمثلة عديدة لهذا النوع من أسباب عزل ونهاية الوزراء فيذكر أن الوزير أبو الحسن بن على بن مول بن يحى بن مول وزير السلطان أبى الحجاج يوسف الأول كان غليظ التعامل مع الآخرين وكان "... مؤثر الغلظة على الشفقة..."(١)، وكثرة الشكايات للسلطان من طريقة تعامله ، فكان أن قام السلطان بعزله من منصبه(٢) .

كما أن أحد وزراء السلطان أبى الحجاج يوسف الأول أيضًا وهو الوزير إبراهيم بن عبد البر، كان استكبر على الناس وتعالى عليهم فى تعامله معهم ، وكانت النتيجة أن "... أنف الخاصة والنبهاء رياسته ، فطلبوا من السلطان إعادته فعدل عنه..." (٣) .

كما أنه قد يكون السبب فى عزل الوزير استبداده وجمع صلاحيات عديدة فى يده ، قد يكون ذلك بمثابة التعدى على سلطات السلطان ، مثلما حدث فى عهد

---

(١) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٤، ص ٣٢٠.

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) ابن الخطيب : اللمحة البدرية ، ص ١٠٣.

السلطان أبى الحجاج يوسف الأول عندما استبد الوزير والحاجب أبو النعيم رضوان بسلطات عديدة فى يده ، ففضل السلطان أن يقوم بابعاده عن منصبه [١].

كذلك قام السلطان أبو الجيوش نصر بعزل الوزير أبا بكر بن عتيق وكان السبب حسبما أورد بن الخطيب هو استبداده بعد إطلاعه على أمور المملكة ، وبعد أن زاد نفوذه ، اجتمع أهل الدولة عليه ، وأخافوا السلطان منه ، قام السلطان بإرساله إلى بلاد المغرب بغرض السفارة ، وفى الطريق إلى بلاد المغرب ، أُشير عليه بالإقامة فى المغرب ، فوافق وبذلك انتهت وزارته[٢].

كذلك كان من مظاهر التخلص من الوزير لاستبداده تعيين وزير آخر ينازعه السلطة ، وهذا ما قام به السلطان الغرناطى أبو الوليد إسماعيل الأول حينما استبد وزير دولته الوزير القائد أبو عبد الله محمد بن أبى الفتح الفهرى ، فقام بإشراك الوزير أبو الحسن بن على المحاربى معه فى الوزارة ، ويذكر بن الخطيب أن الوزير المحاربى "... جاذب رفيقه حبل الخطة ، ونازعه لباس الحظوة حتى ذهب باسمها ومسماها ، .." [٣] واستمر هذا الوضع حتى كان هلاك الوزير أبو عبد الله بن أبى الفتح الفهرى [٤].

وفى عهد السلطان محمد بن إسماعيل وبعد أن أوكل الوزارة والحجابة والنيابة للوزير أبى النعيم رضوان ، ولما رأى استبداد الحاجب أبو النعيم رضوان قام بتعين

---

(١) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٤، ص ٣٢٠.

(٢) ابن الخطيب : اللمحة البدرية ، ص ٧١.

(٣) ابن الخطيب : اللمحة البدرية ، ص ٧٩.

(٤) نفس المصدر والصفحة .

وزير آخر زاحمه فى الوزارة وهو من مماليك السلطان ويسمى عصام ، واستمر هذا الوضع حتى وفاة السلطان (١).

كذلك قد يكون السبب فى عزل الوزير والتخلص منه هو الحقد والحسد وتكالب الآخرين عليه، وإقامة الحيل ضده حتى يتم عزله وإنهاء وزارته ، وقد ظهر ذلك جليًا فى عهد السلطان أبو الوليد إسماعيل بن يوسف بن نصر ، وكان بالرغبة فى التخلص من الوزير محمد بن إبراهيم بن أبى الفتح الفهرى ، وقد أثنى عليه ابن الخطيب فذكر أنه كان "... القائد المخصوص بالحظوة ، النبيه النشأة ، الكثير الترف ،المتصف من السكون والخيرية قبل الوزارة بما جرى الرسم منه...." (٢) ثم يشير ابن الخطيب إلى المكائد والأحقاد التى حيكت له بقوله "... وأعمل التدبير عليه ... " (٣) حتى كانت نهايته بان"... قبض عليه وعلى ابن عمه وثلاثة من ولدهما فبعثوا على ساحل المنكب فأُغرقوا بها جميعًا .." (٤)

وثمة نموذج آخر من نماذج إنهاء الوزارة فى مملكة غرناطة بسبب الحقد والكراهية وإيغار صدر السلطان ضد الوزير ، وهى نهاية الوزير لسان الدين بن الخطيب ، وزير السلطان الغرناطى محمد الخامس الغنى بالله ، والذى كان قد ارتقى فى المناصب حتى تولى أمانة السر فى عهد السلطان أبى الحجاج يوسف الأول ثم وزيراً للسلطان محمد الخامس ٠ وبعد انقلاب سنة ٧٦٠ هـ / ١٣٦٠م فى غرناطة

---

(١) ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص ٩٤.

(٢) نفس المصدر، ص ١٢٧.

(٣) نفس المصدر، ص ١٢٧.

(٤) نفس المصدر والصفحة .

، سافر مع السلطان محمد الخامس إلى بلاد المغرب واستقر فى مدينة سلا[١] ثم استدعاه السلطان محمد الخامس بعد عودته للحكم فى عام ٧٦٣ هـ / ١٣٦٠م، ووطد قدمه فى الوزارة وسيطر على الأمور فى المملكة ، مما أوغر صدر حساده ضده ، ولحسن العلاقة بين لسان الدين بن الخطيب والسلطان المرينى عبد العزيز ، أوغر حساد بن الخطيب صدر السلطان الغرناطى ضده، وحذروه من تخطيط ابن الخطيب لتدخل بنى مرين فى الأندلس ولما أحس ابن الخطيب بذلك فضل الفرار إلى بلاد المغرب ، واستقبله السلطان المرينى فى فاس وذلك فى عام ٧٧٣ هـ / ١٣٧١م ولم ينته الأمر بذلك بل أُتَّهم ابن الخطيب بالزندقة ، وأصدر القاضى أبو الحسن البناهى قاضى غرناطة فتوى بإحراق كتبه وأرسل فى طلبه من بلاد المغرب ، ولكن رفض السلطان المرينى عبد العزيز ٠ لكن بعد وفاته وتَولِّى ابنه أبى زيان محمد السعيد فى عام ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢م تغيرت الأوضاع لصغر سنه وسيطر وزيره أبو بكر غازى على مجريات الأمور فى فاس، مما أشعل نيران الحرب الأهلية فى بلاد المغرب ، ووجد السلطان محمد الخامس الفرصة سانحة للتدخل فى بلاد المغرب، فبعث بأمراء بنى مرين المقيمين فى غرناطة والمطالبين بالسلطة فى فاس، ومنهم

(١) مدينة سلا : مدينة أزلية من المدن القديمة ببلاد المغرب ، تقع على ساحل المحيط الأطلسى. يرجع بنائها إلى عام ١٥٠٠ ق. م . وتسميتها سلا يرجع إلى الاسم الذى أطلقه عليها الرومان سلا – كولونيا . فتحها المسلمون عام ٦٢هـ/٦٨٢م . نظرًا لموقعها حاول القشتاليون فى عهد الملك ألفونسو العاشر الاستيلاء عليها عام٦٥٨هـ/١٢٦٠م إلا أن محاولتهم فشلت . واهتم المرينيون بسلا حتى غدت فى عهدهم من أهم مدن المغرب الأقصى .انظر: الحميرى: الروض المعطار، ص ٥١٩؛ حمدى عبد المنعم محمد حسين : مدينة سلا فى العصر الإسلامى ،دراسة فى التاريخ السياسى والحضارى- الإسكندرية، ١٩٩٣م، ص ص٣-٤، ص ص ٥٣-٥٦.

الأمير عبد الرحمن بن أبى يفلوسن شيخ الغزاة فى الأندلس ، الذى طالب فور نزوله بلاد المغرب بالعرش فى فاس ٠ وبذلك تأزم الوضع فى دولة بنى مرين وازدادت الفتنة فى الاشتعال. ولكى يحقق السلطان الغرناطى غرضه فى القبض على وزيره ابن الخطيب عرض على أمراء بنى مرين إنهاء النزاع بتولى السلطان أبى العباس أحمد بن أبى سالم السلطة فى فاس وتولى الأمير عبد الرحمن بن أبى يفلوسن حكم مراكش وفى المقابل يتسلم السلطان الغرناطى الوزير ابن الخطيب ٠واتفق جميع الأطراف على ذلك ، وتم القبض عليه وإيداعه فى السجن ثم قتله وذلك فى عام ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤م(١).

كذلك كان من بين أسباب عزل الوزراء محاباتهم للنصارى والتشبه بهم فقد كان الوزير محمد بن على بن عبد الله وزير السلطان الغرناطى محمد بن محمد رابع ملوك بنى نصر قد عُزل لهذا السبب فقد "... نقم الناس عليه إيثار مقلات الروم ، وانحطاطه فى مهوى لهم والتشبه بهم فى الأكل والحديث ، وكثير من الحول والهيئات الاستحسان ، وتطريز المجالس بأمثالهم وحكمهم..".(٢) . وأمام إصرار الأهالى على إنهاء وزارة الوزير أبو على بن محمد ، رضخ لهم السلطان ، وفر الوزير إلى بلاد المغرب للعيش بها(٣)

أما السبب الثانى من أسباب إنهاء الوزارة فكان التخلص من الوزير بالقتل لفتنة أحدثها مثلما حدث فى عهد السلطان محمد بن إسماعيل (٧٢٥-٧٣٣هـ/ ١٣٢٥-

---

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام ، ق ٢ ، ص ص ٣١٨ – ٣٢١ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ ٧ ، ص ص ٣٣٥ –٣٤٢ ؛ التعريف بابن خلدون : ص ص ٢١٩ – ٢٢٣ .

(٢) ابن الخطيب : الإحاطة ، ج ٢، ص ١٤٠.

(٣) ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص ٧١.

١٣٣٣م)، و الذى كان قد تولى الوزارة له الوزير محمد بن المحروق، فاستبد بشئون المملكة، وتسبب فى إحداث فتنة بالمملكة انتهت بالقبض عليه وقتله لإنهاء الفتنة [١]. وكذلك الوزير خالد مولى السلطان محمد الخامس الذى تولى الوزارة للسلطان يوسف الثانى (٧٩٣ – ٧٩٧ هـ / ١٣٩١– ١٣٩٤م)، واستبد بالحكم ، وأحدث فتنة بالمملكة ، انتهت بمقتله [٢] .كذلك كانت نهاية الوزير ابن زمرك فى عهد السلطان الغرناطى محمد السابع (٧٩٧ – ٨١١ هـ / ١٣٩٤ – ١٤٠٨) القتل وانتهت وزارته بذلك وتم تعيين آخر بدلاً منه [٣] .

سابعًا: الحجابة :

الحجابة من المناصب الإدارية التى كانت معروفة فى بلاد المشرق الإسلامى ، كانت مهمته تتلخص فى إدخال الناس على الخليفة حسب مقامهم وأهمية أعمالهم [٤] . أما فى بلاد الأندلس فكانت تختلف كثيرًا ، فالحاجب فى الأندلس منصب أوجده الأمير الأموى عبد الرحمن الداخل (١٣٨–١٧٢ هـ) وتولاه أخلص الرجال فى دولته ، وكان يُعد فى منصبه رئيسًا لكل وزراء الدولة ، فهو الوسيط بينهم وبين الأمير [٥]. يؤكد ذلك ابن خلدون بقوله أن الحاجب فى عصر الدولة الأموية كان "...

---

(١) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص ٢٩٦؛ الإحاطة، جـ١، ص ص ٥٣٧–٥٣٨؛ اللمحة البدرية، ص٩٤؛ ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص ٢٥٥؛ القلقشندى: صبح الأعشى، جـ٥، ص ٢٦٢.

(٢) السلاوى : الاستقصا ، جـ ٢ ، ص ١٤٢ ؛ محمد عبد الله عنان: نهاية الأندلس ، ص ١١٥ ؛ Arie, R.: El-Reino Nasri, p. 5 .

(٣) ابن خلدون : العبر ، جـ٧، ص ٣٤١؛ المقرى : نفح الطيب : جـ ٤ ، ص ٦٨٠ ؛ يوسف شكرى فرحات : غرناطة فى ظل بنى الأحمر ، ص ٤٣.

(٤) خليل إبراهيم السامرائى: تاريخ العرب وحضارتهم فى الأندلس، ج ٢ ، ص ٣٦٧.

(٥) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس ، ج ١، ٢٥١.

يحجب السلطان عن الخاصة والعامة ، ويكون واسطة بينه وبين الوزراء ومن دونهم ، فكانت دولتهم رفيعة غاية كما تراه فى أخبارهم .." [١]

وفى موضع آخر يذكر أن بنى أمية "... أُفرد للتردد بينهم وبين الخليفة واحد منهم ارتفع عنهم بمباشرة السلطان في كل وقت، فارتفع مجلسه عن مجالسهم وخصُّوه باسم الحاجب، ولم يزل الشأن هذا إلى آخر دولتهم، فارتفعت خطة الحاجب ومرتبته على سائر الرتب، حتى صار ملوك الطوائف ينتحلون لقبها، فأكثرهم يومئذ يسمى الحاجب...".[٢]

أما فى عصر بنى الأحمر[٣] فكان يُطلق على كل من كان ذو مكانة خاصة من الوزراء،وكان بمثابة رئيس الوزراء ، وكان الحاجب هو المنوط به توجيه الهيئة الحاكمة ورئاسة القصر الملكى[٤] . وكان أول ذكر لمنصب الحاجب فى مملكة

---

(١) ابن خلدون :المقدمة ، ص ٦٧١.

(٢) نفس المصدر ، ص ٦٧١.

(٣) بعد سقوط الخلافة الأموية وقيام عصر ملوك الطوائف استمر العمل بنظام الحجابة ، وارتفع شأن هذا اللقب حتى أن ملوك الطوائف أنفسهم تلقب بعضهم بالحاجب ، مثل سابور الفارسى أول من استقل من ملوك الطوائف واكن فى مدينة بطليوس فى غرب الأندلس ، وكذلك باديس بن حبوس الذى استقل بغرناطة ، وأحمد بن قاسم أمير البونت. أما فى عصر المرابطين فلم يظهر لقب الحاجب فى النظم الإدارية فى دولتهم ، وكذلك الحال بالنسبة لدولة الموحدين، إلا انه فى دولة الموحدين كان الوزير يقوم مقام الحاجب ، فهو الذى يحجب الخليفة الموحدى عن العامة والخاصة ، ويأذن للوفود بالدخول ، وعلى الرغم من وجود هؤلاء الأشخاص ممن قاموا بهذا الدور زهو الأقرب للحاجب فى بلاد المشرق ، فلم يرقى هذا المنصب فى دولة الموحدين ليكون رئيسًا للوزراء ، بل اقتصر عملهم على خدمة الخليفة ومرافقته فى ترحاله . انظر : أحمد مختارالعبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص ص ١٥٠-١٥١، ص ص ١٥٨-١٥٩.

(٤) يوسف شكرى فرحات : غرناطة فى ظل بنى الأحمر ، ص ٦٣.

غرناطة فى عصر السلطان محمد بن إسماعيل فيذكر بن الخطيب فى ترجمته للسلطان محمد بن إسماعيل أنه ".. . أقام رسم الوزارة و الحجابة والنيابة مولى أبيه القائد أبو النعيم رضوان الشهير الديانة والسعادة إلى آخر مدته..."[١] وفى موضع آخر يذكر ابن الخطيب فى ترجمته للسلطان محمد بن إسماعيل "... وناله الحجب واشتملت عليه الكفالة إلى أن شب وظهر .." [٢] ويقصد حجابة القائد أبو النعيم رضوان للسلطان محمد وذلك لصغر سنه.

إلا أن منصب الحاجب لم يكن يعرف بصورة دائمة فى مملكة غرناطة ، وإنما كان يُعطى من حين لآخر لشخصيات بارزة فى المملكة ، كانت تفرض ذاتها على السلطان الغرناطى ، فتمنح سلطات واسعة ، ومن أشهر من تولى هذا المنصب الحاجب أبو النعيم رضوان فى عصر السلاطين محمد بن إسماعيل ، ومن بعده لابنه السلطان أبى الحجاج يوسف الأول ، ومحمد الخامس الغنى بالله من بعده . كما ناله وزير السلطان الغرناطى يوسف الثالث هو الوزير أبو السرور مفرج[٣] .

أما عن صلاحيات الحاجب فقد بلغت حدًا كبيرًا وليس ثمة دليل على ذلك أكثر من وصف ابن الخطيب للحاجب أبى النعيم رضوان بأنه "... خاصة دولتهم .." . كما عدد فى موضع لآخر كم الصلاحيات التى تركزت فى يد الحاجب أبى النعيم رضوان بقوله "... فاتصل نظره مستبدًا عليه فى تنفيذ الأمور وتقديم الولاة والعمال وجواب المخاطبات وتدبير الرعايا وقود الجيوش.."[٤]

---

(١) ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص٩٣.

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص ٥٣٧.

(٣) يوسف شكرى فرحات : غرناطة فى ظل بنى الأحمر ، ص ٦٣.

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ٤، ص ٣١٩.

الفصل الرابع

النظام الحربى فى مملكة غرناطة

أولاً: الجيش فى مملكة غرناطة

- الجيش الغرناطى
- جيش مشيخة الغزاة

ثانيًا : قيادة الجيش

- قيادة الجيش الغرناطى
- قيادة جيش مشيخة الغزاة

ثالثًا: أسلحة الجيش

رابعًا: التحصينات العسكرية

خامسًا : البحرية فى مملكة غرناطة

سادسًا: أسلحة الأسطول الغرناطى

سابعًا: حركة القرصنة وأثرها على البحرية الغرناطية:

الفصل الرابع
النظام الحربى فى مملكة غرناطة

أولاً: الجيش فى مملكة غرناطة:

كانت مملكة غرناطة الكيان الإسلامى الأخير للمسلمين فى بلاد الأندلس والذى يضم المدن والبلاد التى لم تكن قد سقطت فى أيدى الممالك المسيحية المجاورة لمملكة غرناطة . لذلك كان لابد من جيش قوى يحمى هذه المملكة من القوى المسيحية المتربصة بها والتى تتحين الفرصة المناسبة للانقضاض عليها والاستيلاء على أملاكها . لذلك اهتمت مملكة غرناطة بأن يكون لها جيش قوى يحمى حدودها ويضمن لها البقاء وسط هذه الأجواء . وكان الجيش فى مملكة غرناطة يتألف من الجيش الغرناطى وجيش الغزاة المغاربة .

- العنصر الأندلسى:

كانت القوات النظامية الغرناطية أهم قوام الجيش الغرناطى وكانت تضم الفرسان الغرناطيين والمشاة . وكانت هذه القوات لأنها العمود الفقرى للجيش الغرناطى يتم إسناد قيادتها لأحد أمراء البيت النصرى أو أحد القادة المشهود لهم بالكفاءة الحربية وحسن القيادة (١).

وكان العنصر الأندلسى فى الجيش الغرناطى يتكون من الشعب الغرناطى ، أو من المسلمين الذين سقطت مدنهم فى أيدى الممالك المسيحية المجاورة لمملكة غرناطة ، وتركوها ورحلوا إلى العاصمة غرناطة ،أو إلى البلاد التابعة لمملكة

---

(١) ابن الخطيب : الاحاطة، ج١،ص١٣٦؛ اللمحة، ص٣٦ ؛أحمد مختار العبادى : صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس- الإسكندرية ، منشأة المعارف ، ٢٠٠٠م، ص ٢٣٥.

غرناطة والتى لم تسقط فى أيدى الممالك المسيحية ، ودخلوا فى تكوين الجيش للجهاد والدفاع عن البلاد والمدن الإسلامية.[١] .

كما ضم الجيش الغرناطى جنودًا من أصل مسيحى ، كانت مهمتهم وقت السلم والحرب حراسة السلطان والدفاع عنه،[٢] ويذكر الدكتور أحمد مختار العبادى أن المؤرخ ابن الخطيب قد أطلق عليهم اسم المماليك ، بينما أطلق عليهم ابن خلدون اسم المعلوجين. [٣]

كما كان سلاطين بنى الأحمر فى أوقات الحروب يراسلون حكام الأقاليم المختلفة ، ويطلبون منهم أن ينادو فى المسلمين بفتح باب التطوع للمشاركة فى الجهاد ضد النصارى ، وكانت تتجمع جموعًا غفيرة للمشاركة فى الجهاد ، وأُطلق على هذه الجموع اسم المتطوعة[٤] .

وأشار المؤرخ لسان الدين بن الخطيب إلى هذه الفرقة ودورها فى الجهاد فى بلاد الأندلس ، بقوله"... وفى العاشر من رجب ٧٢٥هـ(يونيو ١٣٢٤م) تحرك السلطان أبى الوليد إسماعيل وأخذ الأهبة واستكثر من الآلة واحتشد المتطوعة ، وقصد مدينة مرتش[٥] .

---

[١] ابن الخطيب : الاحاطة، ج١،ص١٣٦؛ اللمحة، ص٦٩؛ أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فـــى الأندلس ، ص ٢٢٠ ؛رابح مغراوى :تاريخ الأوضاع الحضارية،ص١٠٠.

(2) A.M. El Abbadi: El Rieno Nasri, p.127.

[٣] أحمد مختار العبادى : صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس، ص ٢٣٥.

[٤] ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ ٢، ص ٢٩٨ . عرفهم الماوردى بأنهم الخـارجون عـن الـديوان مـن البوادى والأغراب وسكان القرى الذين خرجوا فى النفير تقرباً لله تعالى لقولة "انفروا خفافاً وثقالاً وجاهـدوا بأموالكم وانفسكم فى سبيل الله" انظر: الماوردى: الأحكام السلطانية، دارالفكر، القاهرة ،١٢٩٨م ،ص٣٦.

[٥] ابن الخطيب: ريحانة الكتاب ، جـ١، ص ١٦٢.

كما كانت هناك فرقة المرتزقة[١] أحد الفرقة المهمة التى ضمها الجيش الغرناطى ، وقد أشار المؤرخ لسان الدين بن الخطيب إليهم فى تحرك السلطان الغرناطى محمد الخامس فى عام ٧٦٩هــ/١٣٦٨م لفتح مدينة جيان الأندلسية ، وأشار أن الجيش جمع أعدادًا كبيرة من المتطوعة والمرتزقة .[٢]

كما ضم الجيش الغرناطى فرقة كانت من أهم فرقه وهى فرقة الأغزاز الأتراك[٣] ، وهى تتبع فرق الرماة ، ويعود تاريخ دخول هذه الفرق إلى بلاد الأندلس إلى عصر الموحدين[٤] ، فقد استمالوا عدد كبير من الغز الأتراك الذين كانوا قد قدموا من مصر إلى بلاد المغرب فى عصرهم، ثم قاموا بإرسال بعضهم للجهاد ضد

---

[١] فرقة المرتزقة أحد الفرق التى كان قد ضمها الجيش الغرناطى ، ويعرفهم الماوردى بأنهم أحد أصناف المقاتلين فهم أصحاب الديوان من أهل الفيء يقرض لهم العطاء من بيت المال من الفيء بحسب الغناء والحاجة .انظر : الماوردى : الأحكام السلطانية ، ص ١٦١.

[٢] ابن الخطيب: ريحانة الكتاب ، جـ١، ص ١٦.

[٣] الجند الأغزاز هم جند وفدوا من مصر إلى بلاد المغرب فى عهد الموحدين ، فى عهد الخليفة المنصور بعد أن قدم إلية المغامر الأرمنى بهاء الدين كركوش الملقب بالغزى على رأس فرقة من الأغزاز عام ٥٦٨هــ/١١٧٢م على عهد صلاح الدين الأيوبى وتمكن بالتحالف مع بنى غانية من فلول المرابطين فى جزيرة ميورقة من انتزاع معظم افريقية من ايدى الموحدين ولمواجهة هذا الخطر قاد الخليفة يعقوب المنصور بنفسة حملة كبرى من مراكش ضد الأمير قراقوش وحلفائة .انظر: ابن عذارى: البيان المغرب،ج٥،ص١٦١.

[٤] ابن الخطيب: ديوان الصيب والجهام،ص٢٦١؛ ابن عذارى : البيان المغرب، جـ ٣، ص ٢٠٨.

النصارى فى الأندلس[١] . ونهج بنو الأحمر نهج الموحدين فيما يتعلق بهذه الفرقة ، وضرورة وجودها فى جيوشهم[٢] .

وقد ورد ذكر هذه الفرقة على لسان المؤرخ والوزير الغرناطى لسان الدين بن الخطيب أثناء وصفه للجيش الغرناطى وعروضه وذلك يوم عيد الفطر عام ٧٣٩هـ/١٣٣٨م ، وقال عن هذه الفرقة:

ودارت من الأغزاز تحت لواءها رمـــاة على أوتارها وتــــــرا

إذا ما اضطنبوا[٣] أقواسهم وتمنطقوا فتبصر جيش الترك جاشت به مضر[٤]

أما عن عدد جنود جيش مملكة غرناطة فمن الصعوبة تحديد عدد جنود الجيش الغرناطى، ولكن ورد فى بعض المصادر أن مملكة غرناطة كان بوسعها إعداد جيش قوامه مائة ألف فارس ومائتين ألف جندى وقت القتال ، ويذكر الرحالة المصرى العمرى الذى زار غرناطة فى منتصف القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى أن ربط البيازين فقط كان يمد الجيش بخمسة عشر ألف من الجنود المدربين على القتال . ويذكر الرحالة المصرى عبد الباسط بن خليل الحنفى الذى زار غرناطة فى القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى أن غرناطة كان بها ثمانون ألف رامٍ للقوس [٥].

---

[1] A.M. El Abbadi: El Rieno Nasri, p127.

[٢] ابن عذارى : البيان المغرب، جـ ٣، ص ص ٢٠٨-٢٠٩.

[٣] اضطبنوا : احتضنوا .

[٤] ابن الخطيب: ديوان الصيب والجهام ، ص ٢٤١ .

[٥] أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس ، ص ٢٣٢؛
A.M. El Abbadi: El Rieno Nasri p.130.

- **جيش الغزاة المغاربة:**

كان السلطان الغرناطى محمد الأول مؤسس مملكة غرناطة قد لجأ إلى طلب العون والمدد من الدول الإسلامية فى بلاد المغرب لمعاونته فى صد خطر الممالك النصرانية ، فتوافد على بلاد الأندلس العديد من الجند وخاصة من قبيلة زناتة . ويذكر ابن خلدون أن السبب فى وجودهم كان ".... لحماية الثغور ، ومدافعة العدو وغزو دار الحرب.... "[١] .

وقد وجد سلاطين بنى مرين الفرصة سانحة لإرسال كل من يريدون إبعاده عن بلاد المغرب ممن يخشى كل منهم على ملكه من الفرسان والجند للجهاد فى الأندلس . واستقبلهم بنو الأحمر بالمودة والترحاب ، وجعلوا القيادة منهم لقبائل زناتة وبنى مرين[٢] .

وكان القائد عامر بن إدريس قد استأذن السلطان المرينى أبو يوسف يعقوب فى الجهاد بالأندلس فاغتنمها منه، وعقد له من مطوعة زناتة على ثلاثة آلاف أو يزيدون، وأجاز معه رحو بن عبد الله بن عبد الحق[٣] فوصلوا إلى الأندلس سنة إحدى وستين (وستمائة) فحسنت آثارهم فى الجهاد وكرمت مقاماتهم..."[٤] . وكان أول من

---

[١] ابن خلدون : العبر ، جـ ٧ ، ص ٢٦٣ .

[٢] ابن أبى زرع: الذخيرة السنية، ص١٤٥؛ ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص١٩٢.

[٣] عبد الحق بن عثمان بن محمد بن عبد الحق وقد هلك أبوة عثمان فى جهاده بالأندلس فى سنة ٦٧٩هـ/١٢٨٠م وقد خرج عبد الحق مع الوزير رحو بن يعقوب على السلطان المرينى أبو الربيع سليمان (٧٠٨-٧١٠هـ/١٣٠٨-١٣١٠م) ولحق بتلمسان وأجاز منها إلى الأندلس .انظر: ابن الخطيب ،ج٧، ص٣٦٨؛ابن خلدون : العبر ،ج٧،ص٣٦٨.

[٤] ابن خلدون : العبر ، جـ ٧ ، ص ٣٦٦ .

عُقدت له القيادة على مشيخة الغزاة فى الأندلس موسى بن رحو ثم أخيه عبد الحق ثم لغيرهما من ذوى القرابة [١] .

ولم يكن بنو مرين فى ساحة الجهاد الأندلسى وحدهم إنما نافسهم فيه سائر أشياخ زناتة ، وقبائل عجيسة ومغراوة ، والعرب المغربية ، وغيرهم وفى ذلك يقول ابن خلدون : " ...ونافسهم أفيال زناتة فى مثلها فاجتمع أبناء الملوك بالمغرب الأوسط مثل عبد الملك بن يغمراسن بن زيان وعامر بن منديل بن عبد الرحمن وزيان بن محمد بن عبد القوى فتعاقدوا على الإجازة إلى الأندلس إلى الجهاد وأجازوا فيمن خف معهم من قومهم سنة ست وسبعين وستمائة فامتلأت الأندلس بأفيال زناتة وأعياص الملك منهم " [٢] .

وقد استقبل السلطان محمد بن الأحمر مؤسس مملكة غرناطة العناصر المغربية بترحاب شديد ، لما لهم من دور فى الجهاد ضد الممالك المسيحية فى الأندلس[٣] ، وخاصة ما يتعلق بحماية الثغور الأندلسية [٤].

وتشكل من هؤلاء الجند ما عُرف باسم " مشيخة الغزاة " وهى عبارة عن قوات مرينية تتواجد بشكل دائم على الأراضى الأندلسية مهمتها الجهاد ضد النصارى [٥] .

---

[١] ابن خلدون : العبر ، جـ ٧ ، ص ص ٣٦٧ – ٣٦٨ .

[٢] نفس المصدر ، جـ ٧ ، ص ٣٦٦ .

[3] Arié, R.: El Reino Nasri, p. 228.

[٤] ابن خلدون : العبر ، جـ ٧، ص ٢٦٢؛

[٥] نفس المصدر ، ص ٣٦٦ .

وعن ذلك يقول ابن الخطيب : " ...ولم يزل ملوك بنى مرين يعينون أهل الأندلس بالمال والرجال وتركوا منهم حصة معتبرة من أقارب السلطان بالأندلس غزاة فكانت لهم وقائع مع العدو ، مذكورة ، وكان عند بنى الأحمر منهم جماعة بغرناطة وعليهم رئيس من بيت ملك بنى مرين يسمونه شيخ الغزاة.. " [١] .

أما عن جند مشيخة الغزاة فقد كان لهم مرتبات يتقاضونها من دولة بنى الأحمر ، عمل السلطان الغرناطى محمد الخامس على زيادتها ، وكانت تدفع مقدمًا . كما كان لهم نصيب معروف فى الغنائم التى يغنمونها من بلاد النصارى .كما كان لجند مشيخة الغزاة عطاؤهم من أقواتهم وعلوفاتهم من الزرع [٢].

أما عن مكان إقامتهم فقد خُصص لهم مكان فى مدينة غرناطة العاصمة يسمى باسمهم وهو زناتة ، والقيادة العامة لمشيخة الغزاة فى غرناطة العاصمة وتتفرع منها قيادات فرعية فى وادى آش، ورندة ، ومالقة ، والمرية ، ومناطق أخرى فى المملكة، وخاصة المناطق الحدودية[٣]

أما عن أهم ما قدمته مشيخة الغزاة من خدمات حربية لبنى الأحمر فقد قاموا بواجبهم الجهادى على أكمل وجه ، فقد خاضوا معارك عديدة ضد النصارى وبخاصة

---

(١) ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ١ ، ص ١٣٦؛ المقرى : نفح الطيب ، جـ ٦ ، ص ١١٩ – ١٢٠ .

(٢) المقرى : نفح الطيب، جـ ٩، ص ٥٤ .

(٣) ابن خلدون : العبر ، جـ ٧، ص ٢٧٧؛ محمد عيسى الحريرى : تاريخ المغرب والأندلس فى العصر المرينى–دار القلم ، الكويت ، ١٩٨٥م ، ص ٢٢٨؛ أحمد مختار العبادى : صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس، ص ٢٢٥؛ A.M. El Abbadi: El Rieno Nasri, p.126. .

مملكة قشتالة[١] . فقد تصدى الجيش الغرناطى يعاونه جيش مشيخة الغزاة لهجوم شنه الملك القشتالى ألفونسو العاشر بهدف الاستيلاء على غرناطة كما شارك جيش مشيخة الغزاة فى إنزال الهزيمة بالجيش القشتالى فى عهد السلطان الغرناطى إسماعيل الأول[٢] .

وعلى الرغم من وجود جيش مشيخة الغزاة فى بلاد الأندلس بصفة دائمة كانت وصية السلطان محمد الأول لابنه محمد الثانى الفقيه هو ضرورة مراسلة بنى مرين لإنقاذ الأندلس من خطر الممالك المسيحية المتربصة بالمسلمين فى بلاد الأندلس، والوقوف فى وجه المد المسيحى، فتتابعت رسائله لبنى مرين لطلب النجدة[٣]. واستجاب السلطان المرينى أبو يوسف يعقوب ، وعبر بقواته للمرة الأولى فى عام ٦٧٤هـ/ ١٢٧٥م[٤] ،ثم تكرر العبور بعد ذلك عدة مرات لنجدة بلاد الأندلس[٥] .

وقد كان الشعب الغرناطى مولعًا بمشاهدة المناظر العسكرية ويفخرون بالسلطان عندما يخرج على رأس جيشه فى موكب مشهود متوجهًا إلى ساحة القتال أو

---

(1) Arié, R.: El Reino Nasri, p.233.

(٢) ابن خلدون : العبر ، جـ ٧، ص ص٣٦٧-٣٦٨؛ أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس، ص ٢٢٧ .

(٣) الملزوزى: نظم السلوك فى الأنبياء والخلفاء والملوك – الرباط، ١٩٦٣م ، ص ٩٤؛ ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص٥٧؛ ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص١٩١.

ويقول الملزوزى:

قال له أبوه يا بنى ... اخدم على يعقوب الولى

فإنه ينصر هذى العدوة ... فاجتمعوا واتخذوه قدوة

فجيشه يفنى جيوش الكفر ... ويستبيهم بالظبا والسمر

انظر: الملزوزى: نظم السلوك، ص٩٤.

(٤) ابن أبى زرع: الذخيرة السنية، ص١٤٥.

(٥) ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص١٩٢.

عندما يعود محملاً بالغنائم والأسلاب[١] ، وكان سلاطين غرناطة يقومون باستعراض قواتهم حيث يمر الجنود فى شكل مهيب

ويذكر المؤرخ المجهول صاحب كتاب أخبار العصر أنه فى عام ٨٨٢هـ/١٤٧٧م جرى عرض عسكرى فى قلعة الحمراء بجانب باب الغدر ، وتم إعداد المكان لعرض الجيش وهيأت منصة للسلطان أبى الحسن على وكبار قواده ، وأخذت قوات الجيش فى المرور أمامها وهرع عامة غرناطة وما حولها ، لمشاهدة هذا المنظر العظيم ، ولكن حل بالمملكة فيضان نهر حدرة عقب مطر غزير كان سببًا فى إنهاء هذا الاحتفال المشهود[٢] كما أنه كان بغرناطة مكان يسمى قبة العرض بالدار الكبرى بقلعة الحمراء ، كان مخصصًا لعرض الجيش . [٣]

- عناصر مساعدة للجيش الغرناطى :

علاوة على الجيش الغرناطى وجيش مشيخة الغزاة كانت هناك مجموعات ترافق الجيش فى مملكة غرناطة وكانت تقدم العون والمدد للقوات المقاتلة ، ولا يمكن إهمال هذه المجموعات أو التقليل من الدور التى كانت تقوم به [٤] .

---

(1) Arié, R.: El Reino Nasri, p. 234.

وذكر ابن زمرك يوجة قصيدة للسلطان الغنى بالله يخاطبة

ياملكاً الأسلام، جهز جيوشك للجهاد وقم بغارتك فى عمق أراض العدو

انظر: المقرى :أزهار الرياض ،ج٢ ،،ص ص ٩٦-٩٧؛ أحمد سليم الحمصى : ابن زمرك الغرناطى، مؤسسة الرسالة ، بيروت، دار الأيمان لبنان، ١٩٨٥، ص ١٢٨.

(٢) مجهول : أخبار العصر، ص ص ٧٦- ٧٨.

(٣) أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس ، ص ٢٣٤.

(4) Arié, R.: El Reino Nasri, p. 234.

من هذه المجموعات مجموعة يمكن تسميتها رافعوا الروح المعنوية للجيش فى مملكة غرناطة، وكانت هذه المجموعة تتألف من بعض الفقهاء والخطباء والوعاظ والشعراء ، كان دورهم القيام بعملية التعبئة المعنوية للقوات المقاتلة وذلك بمواعظهم وأشاعرهم لحث القوات على الجهاد والحرب[١].

والدليل على دور العلماء الأندلسيين فى الجهاد فى الأندلس هو أنه استشهد عدد كبير من العلماء المسلمين فى الحملة المسيحية الشرسة التى شنتها مملكتا قشتالة وأراجون. فأثناء حروب مملكة أراجون للاستيلاء على بلنسية فى الفترة من ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م وحتى ٦٣٦هـ /١٢٣٨م ، استشهد عدد كبير من العلماء ،على رأسهم العالم أبو الربيع سليمان بن سالم الكلاعى (ت ٦٣٤هـ/ ١٢٣٦م) ،وهو من كبار علماء بلنسية[٢] .وبظاهر جبل الفتح عام ٧٣٤هـ/١٣٣٣م توفى أحد علماء الحديث الشريف وهو أحمد بن إبراهيم بن بصلة بن عبد الله الأنصارى فى إحدى المعارك[٣].

وفى موقعة طريف عام ٧٤١هـ/١٣٤٠م قتل العديد من العلماء المسلمين فى الأندلس ، منهم أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن جزى الكلبى- أحد أشياخ ابن الخطيب- الذى استشهد، وهو يحث الناس على الجهاد. [٤] . ومنهم القاضى أبو عبد الله محمد بن يحيى الأشعرى المالقى [٥]. ومنهم الفقيه محمد

---

[١] أحمد مختار العبادى : صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس، ص ٢٣٦.

[٢] المقرى : نفح الطيب، جـ ٤، ص ٤٧٣ .

[٣] ابن حجر : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة – بيروت، ١٩٩٣م ، جـ ٢، ص ١٠٢.

[٤] ابن الخطيب : الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة – تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٦٣م ، جـ١، ص ٤٦؛ الاحاطة ، جـ ٣، ٢٣؛ ؛ المقرى : نفح الطيب، جـ ٥، ص ٥١٤.

[٥] ابن الخطيب : الاحاطة ، جـ ٢، ١٧٧؛ المقرى : نفح الطيب، جـ ٥، ص ٣٨٧.

بن أحمد بن محمد بن على الغسانى – من أهالى مالقه[١] – ومنهم أبو محمد عبــد الله بن سعيد السلمانى – والد ابن الخطيب[٢]– كما استشهد محمد بن محمد بن عبد الملك الأوسى فى أحد الحروب ضد النصارى عام ٧٤٣ / ١٣٤٢م[٣] .

كما أن جيش الغزاة المغاربة قد نهج جيوش بلاد المغرب فى اصطحاب بعض المنشدين والمنشدات الذين كانوا يقوموا بالإنشاد أثناء القتال وكانت أصواتهم تعلو بها فى ميدان المعركة لبث الحماسة فى نفوس الجند[٤] .

كما أن الجيش كان يقوم بالاعتماد فى بعض خططه الحربية على مجموعة الجواسيس التى تمده بالمعلومات عن خصمه [٥] . وفى الغالب كان هؤلاء الجواسيس من النصارى أو اليهود المقيمين فى مملكة غرناطة أو من النصارى واليهود من الممالك المسيحية المجاورة ، وكانوا يعملون بالتجارة فى مملكة غرناطة وقامت الدولة النصرية بتجنيدهم فى هذا المجال للاستفادة من خبرتهم[٦] .

وعندما عبر السلطان المرينى أبو يوسف للجهاد فى الأندلس .[٧]، كان يستخدم

---

[١] ابن الخطيب : الاحاطة ، جـــ ١، ص ٣٦٧؛ ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـــ ٥، ص ٧٥.

[٢] المقرى : نفح الطيب، جـــ ٥، ص ص ٩–١٢.

[٣] ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـــ ٤، ص ص ١٩٤–١٩٥.

[٤] نفس المصدر ، جـــ ٤، ص ص ١٩٤–١٩٥.

[5] Arié, R.: El Reino Nasri, p. 235.

[٦] ابن الخطيب: الإحاطة ، جـــ ١، ص١٤٢ ؛ العبادى صور من الحرب والجهـــاد،ص٢٣٧؛ يوســـف فرحات :غرناطة فى ظل بنى الأحمر، ص٩١.

[٧] ابن خلدون : العبر ،ج٧،ص ص٢٦١ –٢٦٢.

عيونًا من اليهود والنصارى فى حربه مع ملك قشتالة سانشو الأول[1] ، وفى موقعة طريف ٧٤١هـ/١٣٤٠م ، استخدم المسلمون الجواسيس أيضًا. [٢]

كما اعتمد الجيش فى مملكة غرناطة على بعض الأدلاء ممن لهم خبرة ودراية بالطرق فى المملكة خاصة تلك الطرق التى كانت تربط المملكة الغرناطية بما يجاورها من ممالك مسيحية والطرق التى كانت تربط الدولة بأطرافها . وكان يشترط فى هؤلاء الأدلاء أن يكونوا من أهل الثقة من المسلمين وممن لهم خبرة كافية فى هذا المجال، لما لهم من دور فعال.[٣]

- ملابس الجند :

كانت ملابس الجند فى مملكة غرناطة غداة قيام المملكة تتشابه إلى حد كبير مع ملابس الجند فى الممالك المسيحية المجاورة لها . فابن الخطيب المعاصر للأحداث فى المملكة يتحدث عما كانت ملابس الجند غداة قيام مملكة غرناطة بقوله :".... وزيهم فى القديم أشبه بزى أقتالهم..." [٤].

ولكن بعد دخول الجند المغاربة إلى الأندلس وتكوين ما يسمى بجيش الغزاة المغاربة المرابط فى بلاد الأندلس للجهاد ضد النصارى ، تطلب ذلك تطويرًا فى لباس الجند فى المملكة ، وقد وصف ذلك ابن الخطيب عندما تحدث عن ملابس جند غرناطة فى عصره قائلاً:"... ثم عدلوا الآن (فى عصره) عن هذا الذى ذكرناه (

---

[1] Arié, R.: El Reino Nasri, p. 236.

[٢] أحمد محمد السعيد : الحياة الحربية لبنى الأحمر فى الأندلس (٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢م - رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة طنطا ، ٢٠٠٥م ، ص ١١٢ .

[٣] أحمد مختار العبادى : صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس، ص ٢٣٧.

[٤] ابن الخطيب: الإحاطة ، ج١، ص ١٤٢ .

يقصد اللباس سالف الذكر) إلى الجواشن (زرد يلبس على الصدر) المختصرة ،والبيضات المرهفات ، والسروج العربية ، والبيب المطية والأسل (الرماح) اللطيفة..." [١].

ولأن الجيش الغرناطى كان يتكون من فرق مختلفة ، كان لكل فرقة من الفرق المختلفة سلاحها ولباسها الخاص بها والمختلف عن الفرقة الأخرى فى زيها وسلاحها . فكان حملة القسى العربية[٢] يرتدون العمائم والجباب ذات الأكمام القصيرة ، وأحيانًا كانوا يرتدون قمصانًا ، ولهم سراويل طويلة تصل إلى الكاحل [٣] ، أما حملة قسى القدم والمعروفة بالقسى الإفرنجية وكذلك حملة السيوف فكانوا يغطون رؤسهم بالخوذ المصنوعة من الحديد وغالبًا ما كانت تكون خفيفة ، وهى بديلة للعمائم التى كان يرتديها حملة القسى العربية . وفى الغالب يكون للخوذة صفيحة مدلاة على الرقبة والقفا للحماية[٤] .

أما بقية الجيش فكانوا يلبسون الجبة وكانت تصل إلى الركبة والسراويل الطويلة التى تصل إلى الكاحل أو قمصانًا مع هذه السراويل ، وكانوا يغطون رءوسهم بالعمائم ، ويلبسون فى أرجلهم الأحذية أو الخفاف [٥] .

---

[١] ابن الخطيب: الإحاطة ، ج١، ص ١٤٢ .

[٢] عن أسلحة الجيش القسى العربية والإفرنجية انظر ص ١٦٤من هذا الفصل .

[٣] أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس، ص ص ٢٣٣-٢٣٤؛أحمد مختار العبادى : صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس ، ص ٢٣٩ ؛ Arié, R.: El Reino Nasri, p. 235

[٤] أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس، ص ص ٢٣٣-٢٣٤ .

[٥] نفس المرجع ، ص ص ٢٣٣-٢٣٤؛أحمد مختار العبادى : صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس ، ص ٢٣٩ ؛ Arié, R.: El Reino Nasri, p. 235

- **رواتب الجند:**

كانت هناك رواتب منتظمة تدفع للجند فى الجيش الغرناطى ، وكان ديوان الجند المنظم لعملية تقاضى الرواتب فى الجيش الغرناطى(١). وكانت الرواتب تدفع للفرق النظامية فى الجيش الغرناطى ، دائمة الجهاد والحرب ، والمدون أسماؤهم فى ديوان الجند(٢).

وكانت الرواتب تدفع إما مبالغ مالية أو أشياء عينية . كما كان الجند لهم نصيب فى الغنائم التى كان المسلمون يحصلون عليها بغزوهم فى بلاد الممالك المسيحية بالحرب أو بشن الغارات على أملاكها المجاورة للبلاد والمدن الإسلامية(٣).

وتشير المصادر التاريخية أن سلاطين بنى الأحمر كانوا يجزلون العطاء للجند فى الجيش الغرناطى وذلك عقب الانتصارات مباشرة لرفع روحهم المعنوية ، فعندما استعاد المسلمون الجزيرة الخضراء عام ٧٧٠هـ/١٣٦٩م ، قام السلطان الغرناطى محمد الخامس ببذل العطاء للجند لرفع روحهم المعنوية ، لمواصلة الجهاد والغزو (٤).

● ثانيًا: قيادة الجيش فى مملكة غرناطة :

- **قيادة الجيش الغرناطى :**

نظرًا لأهمية الجيش الغرناطى بالنسبة لدولة بنى الأحمر رأى سلاطين المملكة ضرورة اختيار قائد للجيش الغرناطى ذا مواصفات خاصة فقد كان يشترط فيمن سيتولى قيادة الجيش الغرناطى أن يكون من أبناء الأسرة الحاكمة أو أحد أقربائهم أو

---

(١) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ٢، ص ٢٥٥؛ جـ٤، ص ٥١.

(٢) ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص ١٦٤.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ ٢، ص ٢٥٥.

(٤) ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص ٣٢٧؛ السلاوى : الاستقصا، جـ ٤، ص ٥٦.

أحد الشخصيات الغرناطية المشهود لها بالكفاءة فى هذا المجال . ولم يكن من الممكن إسناد قيادة الجيش لشخصية غير معروفة أو لا تتمتع بالصفات سالفة الذكر[١].

وكانت القيادة فى الجيش فى عصر بنى الأحمر من أهم المهام التى يقوم بها السلطان ، فهو القائد العام للقوات الغرناطية وقت السلم والحرب فى أغلب فترات تاريخ بنى الأحمر . وكان السلطان يباشر الحرب بنفسه ، مثلما حدث فى عهد السلطان محمد الأول بن الأحمر مؤسس المملكة الذى كان القائد الأول لجيش مملكة غرناطة[٢]. وخلفه أسلافه فى قيادة الجيش ، فقام السلطان محمد الثانى الفقيه بقيادة الجيوش بنفسه[٣]. وتوالت مشاركة سلاطين بنى الأحمر فى أعمال الحرب والجهاد وقيادة الجيوش بعد ذلك.

ففى موقعة طريف عام ٧٤١هـ/١٣٤٠م كان قائد الجيش الغرناطى هو السلطان أبو الحجاج يوسف الأول[٤] ، وكان السلطان محمد الخامس هو قائد الجيش الغرناطى فى غاراته المتوالية على أملاك مملكة قشتالة ، واستطاع فتح العديد من المدن والحصون حتى كان استرداد الجزيرة الخضراء [٥].

أما الشخص الثانى فى مملكة غرناطة الذى كان من الممكن أن يتولى قيادة الجيوش الغرناطية بتفويض من السلطان فكان الوزير الغرناطى ، فقد قام السلطان

---

[١] ابن الخطيب: الإحاطة ، ج١، ص ١٤٢ .

[٢] نفس المصدر ، جـ٢، ص ٩٤؛ اللمحة البدرية، ص ٤٣.

[٣] ابن الخطيب: الإحاطة ، ج١، ص ٥٦١؛ اللمحة البدرية، ص ٥٤.

[٤] ابن الخطيب:أعلام الأعلام ، ق ٢، ص ٣٠٥؛ الإحاطة ، جـ ٤، ص ٣١٩؛ اللمحة البدرية، ص ١٠٥ .

[٥] ابن الخطيب: الإحاطة ، ج٢، ص ص ٨٢-٨٣.

محمد الثانى الفقيه بتفويض الوزير أبا سلطان الدانى بقيادة الجيوش فى عام ٦٧٦هـ/١٢٧٨م. [١] كما تم تفويض العديد من الوزراء بقيادة الجيوش بتفويض من السلاطين على نحو كما سبق فى فصل الوزارة .

كما كان من بين القادة أحد القادة المشهود لهم بالكفاءة ، وفى الوقت نفسه أحد أقرباء البيت الحاكم . فبعد قيام المملكة أسند السلطان الغرناطى محمد الأول مؤسس مملكة غرناطة قيادة الجيش الغرناطى الذى تأسس منذ قيام المملكة لأحد أقربائه من بنى أشقيلولة وهو صهره الأمير أبو الحسن بن أشقيلولة[٢] .

أما عن مكان وجود القيادة العامة للجيش فكانت موجودة فى العاصمة غرناطة ، ولها فروع فى المدن الكبرى فى المملكة مثل مدينة رندة ، ومالقة والمرية ، والجزيرة الخضراء ، وغيرها من المدن[٣] .

وكان السبب فى وجود القيادة العامة للجيش فى العاصمة غرناطة ،أن تكون فى مكان قريب من القيادة الساسية فى الحمراء[٤] ، وكان هناك العديد من القيادات الفرعية للجيش الغرناطى فى المدن الكبرى مثل وادى آش والمرية ومالقة وغيرها من قواعد المملكة [٥]

---

[١] ابن الخطيب: الإحاطة ، ج١، ص ٥٥٩؛ اللمحة البدرية، ص ٥٢ .

[٢] ابن الخطيب:أعمال الأعلام، ق ٢، ص ٢٨٧ .

[٣] ابن خلدون: العبر، جـ ٤، ص ص ٣٣٦-٣٣٧ .

[٤] أحمد مختار العبادى ، صور من حياة الحرب والجهاد، ص ٢٥٠.

[٥] ابن الخطيب: الإحاطة ، ج١، ص .

- **قيادة جيش مشيخة الغزاة :**

كان قائد مشيخة الغزاة فى الأندلس يسمى بشيخ الغزاة [١]. وقد تمتع مشايخ الغزاة فى مملكة غرناطة بمركز مرموق ، ونالوا الكثير منهم الحظوة لدى سلاطين بنى الأحمر[٢]. ومن مظاهر التمتع بالمركز المرموق بالنسبة لمشايخ الغزاة فقد كان لمشايخ الغزاة كتاب يكتبون عنهم[٣].

وقد لخص الوزير لسان الدين بن الخطيب مهمة مشايخ الغزاة فى الأندلس فى الظهير الذى صدر عن السلطان محمد الخامس والخاص بتعيين أحد مشايخ الغزاة وهو شيخ الغزاة على بن بدر الدين وقد قال عنه ابن الخطيب أنه "... شيخ الغزاة بحضرته العلية وسائر البلاد النصرية، ترجع القبائل والأشياخ إلى نظره فى السكنات والحركات ، فعليه تدور أفلاك جماعتهم كلما اجتمعوا وائتلفوا ..." [٤] .

أما عن تعيين قائد مشيخة الغزاة فكان يتم عن طريق ترشيح سلاطين بنى مرين ، وموافقة سلاطين بنى الأحمر، وعن ذلك يذكر ابن خلدون " ... وكان ابن الأحمر كثيراً ما يعقد لهم على الغزاة المجاهدين من زناتة لدار الحرب ... " [٥] .

وكان شيخ الغزاة يعين بموجب ظهير سلطانى ، ومن هذه الظهائر ، ظهير من إنشاء ابن الخطيب جاء فيه " ... صدر عنى (محمد الخامس) لشيخ الغزاة بالحضرة العلية أبى زكريا يحيى بن عمر بن رحو لأول دولة أمير المسلمين السلطان

---

(١) المقرى : نفح الطيب، جـ٦، ص ١١٩ .

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ ١، ص١٤٢ .

(٣) المقرى : نفح الطيب، جـ ٩، ص ٥٤ .

(٤) ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ ١، ص١٤٢.

(٥) ابن خلدون : العبر ، جـ ٧ ، ص ٣٦٨ .

أبى عبد الله بن نصر – رضى الله عنه – هذا ظهير كريم منزلتـه فـى المظهـر الكريمة، منزلة المعتمديَّة فى الظُهر الكرام ... أمر به الأمير عبد الله محمد بن أميـر المسلمين أبى الحجاج بن أمير المسلمين أبى الوليد بن نصر ... لوليه الذى هو عماد سلطانه وأوحد خلصائه ، وسيف جهاده ، ورأس أولى الدفاع من بلاده ، وعضد ملكه ، ووسطى سلكه ، الشيخ (أبوزكريا يحيى بن عمر بن رحـو) زاد الله مجـده علـواً وقدره سمواً، وجهاده ثناءً متلواً ... فهو واحد الزمان ، والعدّة الرفيعة ، مـن عُـدد الإيمان ومن له بذاته وسلفه علو الشأن وسمو المكان والحسب الوثيق البنيان ... فهـم سيوف الدين وأبطال الميادين وأسود العرين ونجوم سماء بنى مرين ... جدد له هـذه الرتب تحديداً ... فهو شيخ الغزاة على اختلاف قبائلهم وتشعب وسـائلهم ... ومـن وقف على الظهير الكريم من الغزاة أساد الكفاح ومعتقلى السيوف ومعتقلى الرمـاح ، كماة الهيجاء وحماة البطاح ... ومن أقيم فى رسم الجهاد ... وأمره الذى هـو نائـب أمره مقابل بالابتدار على توالى الأيـام وتعاقب الأعصار " (١) .

وظلت وظيفة شيخ الغزاة قائمة حتى قام السلطان محمد الخامس الغنى بالله بإلغائها فى عام ٧٧٥هـ/١٣٧٤م . وتولاها هو وأولاده فى الفترة الباقية من حكمة(٢).

وكانت هناك عدة شروط ينبغى توافرها فى القائد الذى سيتولى قيادة جند مشيخة الغزاة فى الأندلس من أهمها أن يكون على صلة قرابة من بنى مرين ، فبنى

---

(١) ابن الخطيب : ريحانة الكتاب ، جـ ١ ، جـ ٢ ، ص ٦٤ – ٦٦ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، جـ٧، ص ٣٧٩ .

عبد الحق وهم فرع من بنى مرين هم الذين شغلوا منصب شيخ الغزاة فى الأندلس[١].

كما أن من بين شروط من يتولى قيادة مشيخة الغزاة فى الأندلس من يشترط فيه أن يكون على كفاءة من القيادة العسكرية ، لأنه منصب عسكرى من أهم المناصب فى تلك الفترة ، يخوض المعارك ضد الممالك المسيحية ، فهو إذًا مسئول عن تحقيق الأمن لحدود الدولة ، وعن شرط الالمام بأمور القيادة العسكرية .[٢].

كما أنه يجب أن يكون شيخ الغزاة المغاربة فى الأندلس ممن يتمتعون بالحزم والدهاء والرأى، لما لمنصبة من أهمية وعن ذلك يقول المؤرخ لسان الدين ابن الخطيب واصفًا شيخ الغزاة أبا زكريا يحى بن عمر بن رحو بن عبد الحق.[٣] "... مطمح الطرف ، ومرسى الاختبار ولباب القوم ، حزمًا ودهاءً ..." .[٤].

أما عن الغاء مشيخة الغزاة فى الأندلس فقد ظلت منذ قدوم جند مشيخة الغزاة من بلاد المغرب ، حتى أمر السلطان محمد الخامس بإلغائها بالقبض على يحى بن عمر بن رحو قائد مشيخة الغزاة ، وذلك فى عام ٧٦٤هـ/١٣٦٥م ، وعقد على

---

[١] ابن خلدون : العبر ، جـ٧، ص ص ٢٦٢-٢٦٦؛ المقرى : نفح الطيب، جـ ١، ص ٤٣٤ .

[٢] ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ ١، ص٣٨١؛ اللمحة البدرية ، ص ١٠٥ .؛
Arié, R.: El Reino Nasri, p. 235

[٣] هو أبو زكريا يحى بن عمر بن رحو بن عبد الحق ، ولد بتلمسان عام ٦٩١هـ/١٢٩٠م ، تولى قيادة مشيخة الغزاة مرتين أولهما فى عهد السلطان الغرناطى محمد الرابع ، ثم نقل إلى وادى آش لقيادة فرع مشيخة الغزاة بها فى عهد السلطان أبى الحجاج يوسف الأول ، وبداية عهد محمد الخامس ، وبعد عودة السلطان محمد الخامس إلى حكم غرناطة فى عام ٧٦٣هـ/١٣٦٤م ، استقدمه من وادى آش وعقد له على قيادة مشيخة الغزاة فى غرناطة العاصمة ، مقر القيادة الرئيسية . انظر : ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ٢، ص ص ٣٦٥-٣٦٩؛ ابن خلدون : العبر، جـ ٧، ص ٣٧٥.

[٤] ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ ٢، ص ١٦ .

الغزاة المجاهدين لابنه يوسف لقيادتها ، وبذلك حسبما وصف ابن الخطيب"... محا رسم الخطة بنى مرين بالجملة ..." . [١].

إلا أن ذلك لا يعنى إلغاء مشيخة الغزاة نهائيًا فقد أخَّر السلطان الغرناطى محمد الخامس إلغاءها ، فهو فى هذه المرحلة أنهى ولاية بنى مرين لمشيخة الغزاة ، وأسندها لابنه يوسف ، حتى عام ٧٧٥هــ/١٣٧٦م جعل نفسه قائدًا عامًا لمشيخة الغزاة فى الأندلس ، فى الطريق لإلغائها بعد ذلك. . [٢].

ثالثًا: أسلحة جيش مملكة غرناطة :

اهتم سلاطين بنى الأحمر بتسليح الجيش الغرناطى بأحدث الأسلحة فى تلك الفترة وذلك نظرًا لما كانت تتطلبه ضرورة بقاء مملكة غرناطة تطاحن بجوار الممالك المسيحية المتربصة بها. [٣]

وكان من أهم الأسلحة التى استخدمها الجندى الغرناطى الدروع ، والدرع عبارة عن رداء يلبس فى الحرب ، ومهمته تغطية الصدر والظهر ، ويقى المحارب من ضربات السيوف والرماح، والسهام . [٤]

كما استخدم المحارب الغرناطى زرد يلبس على قدر الرأس لحمايتها وحماية الرقبة والوجه من السهام والسيوف والرماح ، فلا توجد بها فتحات سوى للعينين فقط

---

[١] ابن الخطيب: نفاضة الجراب ، جــ ٢، ص ١٧. .

[٢] نفس المصدر والصفحة ؛ ابن خلدون : العبر ، جــ ٧، ص ٣٧٩..

[3] Arié, R.: El Reino Nasri, p. 236.

[٤] ابن الخطيب: الإحاطة ، جــ ١، ص١٣٦؛ المقرى : نفح الطيب، جــ٦، ص ٣٠٣؛ أحمــد مختــار العبادى : صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس ، ص ٤٥.

وتسمى هذه الغطاءان اسم المغافر. [١]

كما عرف الغرناطيون نوع من الزرديات التى تلبس على الثياب لغطاء الصدر فقط من الطعنات ، ويسمى هذا النوع من الزرديات باسم الجوشنة [٢].

كما كانت التروس من بين أسلحة الجيش الغرناطى فى تلك الفترة ، والترس عبارة عن صفحة مستديرة من الفولاذ تحمل فى يد الجندى ، ومهمتها الأساسية حماية الجندى من الرماح والسيوف والسهام بوضعها فى يده يدافع بها عن نفسه [٣].

وعرف الغرناطيون نوعًا من التروس يسمى الدرق وهو مصنوع من الجلود وأهمها المصنوعة من جلود البقر ، وكانت مهمتها مهمة الترس[٤] ، إلا أنها كانت لخفتها أكثر استخدامًا[٥].

وعُرف من أسلحة الجيش الغرناطى القسى ، وهى قسى مصنوعة من نوعًا من الخشب الذى يصلح لهذا النوع من السلاح ، وكان يفضل لصناعة القسى خشب الزيتون[٦] . وقد عرف الغرناطيون نوعان من القسى : القسى العربية وهى شائعة

---

(١) المقرى : نفح الطيب ، جـ ١، ص ١٩١؛ أحمد مختار العبادى : صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس، ص ٤٥؛ Arié, R.: El Reino Nasri, p. 236.

(٢) ابن هذيل : حلية الفرسان وشعار الشجعان – تحقيق عبد الغنى حسن ، القـاهرة ، د . ت ، ص ٢٢٧.

(٣) ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ١، ص ١٣٦؛ المقرى : نفح الطيب، جـ جـ١، ص ١٩١.

(4) Arié, R.: El Reino Nasri, p. 234..

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ١، ص ١٣٦؛ سالم :حضارة الأسلام فى الاندلس ،ص٢٧

(6) Arié, R.: El Reino Nasri, p. 232..

الاستعمال لدى الفرسان المقاتلون وذلك لخفتها وسرعة استخدامها ، والقسى الإفرنجية ، وكان يستخدمها المشاة [١] .

والنوع الأول وهو القسى العربية اشتهر فى الجيش فى مملكة غرناطة ، حتى أنه من شهرة الأندلسيين فيه انتقل من المسلمين إلى جيوش الممالك المسيحية [٢].

أما القسى الإفرنجية فتشير الرسوم الجدارية على أحد بوابات قصر الحمراء إلى كثرة استخدامها فى الجيش الغرناطى [٣] .كما يشير ابن الخطيب فى كتاباته على استخدام جند الجيش الغرناطى للقسى الإفرنجية عندما تناول زيارة السلطان أبو الحجاج يوسف الأول إلى مدينة المرية وقد "... وقف الجند صفوفًا كصفوف الشطرنج على أعناقهم قسى الفرنج ..." [٤].وانتقل استخدام قوس الرجل من بلاد الأندلس إلى الجيوش المغربية ، وبخاصة فى عهد السلطان أبى الحسن على[٥].

واستخدم الجندى الغرناطى السهام وهى التى يتم إطلاقها من القسى ، وكان يتم استخدام السهام فى المعارك وفى حصار المدن وكذلك فى الدفاع عن المدن المحاصرة[٦] .

---

[١] ابن هذيل: حلية الفرسان ، ص ٢٢٣ .

[٢] ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ٢، ص٢٤.

[٣] أحمد مختار العبادى : صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس، ص ٢٣٨ .

[٤] ابن الخطيب: خطرة الطيف ضمن مشاهدات ، ص ٤٣ .

[٥] ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ١، ص ١٣٦-١٣٧ ؛ اللمحة البدرية، ص ٣٩؛ Arié, R.: El Reino Nasri, p.234.

[٦] ابن هذيل: حلية الفرسان ،، ص ٢٢١ ؛ Ibid, p.234.

كما استخدم الجيش الغرناطى الرمح ، وهو مصنوع من عود الخيرزان طوله من ثلاثة إلى عشرة أزرع ، وينتهى الرمح بحربة يطعن بها ، ويشيع استخدام الرماح بين الفرسان ، فهو أكثر نفعًا وتأثيرًا بين الفرسان أكثر من الجندى المترجل . [١].

كما اشتهرت مملكة غرناطة بصناعة أنواعًا مختلفة من السيوف اشتهر منها نوع من السيوف المستقيمة النصال ذات الحدين والتى امتازت واقياتها بأنها معوجة إلى الأسفل [٢]. ولشهرة غرناطة فى مجال صناعة السيوف كان ملوك الممالك المسيحية يقدرون هذه السيوف تقديرًا كبيرًا ، وكان فى المناسبات المختلفة إذا سادت علاقات الود بين الجانبين المسيحى والإسلامى يقوم ملوك غرناطة بإهداء ملوك الممالك المسيحية بعض السيوف غرناطية الصنع[٣] .

واستخدم الجندى الغرناطى الخنجر ، وكانت خناجر الغرناطيين مميزة ، تمتاز بأن لها مقبض محكم [٤] ، وكان الغرناطيون شغوفين بحمل الخناجر ، ويتفاخرون بها، وأخذها عنهم سكان الممالك المسيحية [٥].

---

(١) أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس، ص ٢٣٥ .

(٢) أحمد مختار العبادى : صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس، ص ٢٣٦.

(3) Arié, R.: El Reino Nasri, p.234.

(٤)يوسف شكرى فرحات غرناطة فى ظل بنى الأحمر ، ص ٩٣. فى المناسبات المختلفة كان سلاطين غرناطة يقومون بإهداء هذه السيوف إلى جيرانهم من ملوك أسبانيا ففى سنة ٧٣٤ه/ ١٣٣٣م قدم السلطان محمد الرابع إلى ألفونسو الحادى عشر Alfonso XI (٧٣١-٧٥١ه/ ١٣١٢-١٣٥٠م) مجموعة من الهدايا من بينها سيف بجيراب مزين بأزهار من الذهب والزمرد وياقوت أزرق وأحمر. انظر
Arié, R.: El Reino Nasri, p.233.

(5) Arié, R.: El Reino Nasri, pp.234-236.

كما كانت الخيول تستخدم فى القتال وكان يستخدمها من المقاتلين الفرسان ، وكان لهم قائد يعرف بقائد الخيول مهمته هو قيادة فرقة الخيول فقط[١] .

كذلك عُرف من بين أسلحة الجيش الغرناطى الخناجر والخوذ والتروس[٢] والدروع التى كانت توضع على أجساد المقاتلين [٣].

كما استخدم الغرناطيون فى حروبهم العصى الطويلة المثناة بعصى صغار ذات عرى فى أوساطها تدفع بالأنامل عند قذفها.[٤]وكذلك كانوا يستخدمون أنواع مختلفة من السهام والرماح والسروج والألجم [٥].

كما كان فى الجيش الغرناطى أسلحة خاصة بالحصار وعلى رأسها آلة المنجنيق وهى عبارة عن آلة من الخشب لها دفتان قائمتان بينهما سهم طويل رأسه ثقيل وذنبه خفيف وفيه تجعل كفة المنجنيق الذى فيها الحجر،[٦] يجذب حتى ترفع أسافله إلى أعاليه ،ثم يرسل فيرتفع ذنبه الذى فيه الكفة فيخرج منه الحجر ، فما أصاب شيئًا إلا أهلكه . [٧]

---

[١]المقرى : نفح الطيب، جـ ١٠، ص ٣٠، ٣٦. مما يؤكد أهمية الخيول عند الغرناطيين فى الحروب أنة فى الربع الأخير من القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) فقد فرض مجئ الجيوش المغربية تعديلات فى تسليح الجيوش الاندلسية، فنجد ان الجندى الأندلسى كان تحت قيادتهحصان خاص به فى الحرب، وحصان آخر لمساعدته فى الحرب .انظر :Arié, R.: El Reino Nasri, p.230.

[٢] ابن الخطيب: اللمحة البدرية ، ص ٢٨ .

[٣] ابن هذيل : حلية الفرسان ، ص ٢٣٢.

[٤] ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ ١ ، ص ١٤٢ .

[٥] المقرى : نفح الطيب، جـ ٩، ٧٩ .

(6) Arié, R.: El Reino Nasri, p.234.

[٧] ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ١، ص ٣٩٣، ٥٤٣ .

ومن آلات الحصار أيضًا آلة العرادات ، وهى أشبه ما يكون بآلة المنجنيق لكنها أصغر منها فى الحجم وتستخدم أيضًا فى رمى الحجارة والسهام وقدور النفط.[١] ومن آلات الحصار أيضًا آلات النقب آلات تعمل على إحداث فتحات فى الأسوار أثناء حصار إحدى المدن أو البلدان حتى يسهل على الجيش دخول المدينة بعد ذلك [٢]

وإلى جانب هذه الأسلحة التقليدية توصل الغرناطيون إلى اختراع أحد أهم الأسلحة النارية مثل المدافع تحدث دويًا وفرقعة كالرعد وتدك الحصون وتهدمها كالصواعق السماوية . [٣]

وكانت المرة الأولى التى استخدم فيها المسلمون المدفع فى الحرب ضد النصارى فى الأندلس فى شهر رجب سنة ٧٢٤هـ/ يوليو ١٣٢٤م، عندما عزم السلطان أبو الوليد إسماعيل منازلة قلعة أشكر Huescar [٤]، وتمكن المسلمون من دخولها بعد أن ضربوا قصبة المدينة بالمدافع [٥].

---

[١] أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس، ص ٢٣٨ .

[٢] نفس المرجع، ص ٢٣٨. قد استخدمت الجيوش المسيحية المنجنيق فى حروبها ضد المسلمين مثل مملكة أراجون فقد استخدمتة فى حصارها لمدينة المرية سنة ٧٠٩ه/ ١٣٠٩م للعمل على هدم أسوار المدينة. انظر

Harvey, L.P.: Op. Cit., p.200.

(٣) أحمد محتار العبادى : دراسات فى تاريخ لمغرب والأندلس ، ص ٤١٣؛ صور من حياة الحرب والجهاد ، ص ٢٣٩.

(٤) أشكر Huescar : مدينة أندلسية قريبة من مدينة بسطة Baza، وفى الشمال الشرقى منها، تابعة لولاية غرناطة. وقال عنها ابن الخطيب أنها نعم البسيط المديد، والرزق الجديد، وأرضها خصبه. انظر: ابن الخطيب: معيار الاختيار ضمن مشاهدات لسان الدين، ص ٨٧؛

(٥) ابن الخطيب: الإحاطة، جـ١، ص ٣٩٠؛ اللمحة البدرية، ص ٨٥؛ أحمد محمد الطوخى: مظاهر الحضارة، ص ٣٧.

وقد وصف ابن الخطيب هذا السلاح وصفًا دقيقًا عند تناوله حملة عام ٧٢٤ هـ/١٣٢٤م وعن وصف هذا السلاح يقول:"... ورمى الآلة المتخذة بالنفط ، كرة محماة طباقة البرج المنيع فعاثت عياث الصواعق السماوية ونزل أهلها قسرًا على حكمه ..." [١]

وفى وصف هذه الآلة يقول الشيخ أبو زكرياء بن هذيل:

وظنوا بأن الرعد والصعق فى السماء ... فحاق بهم دونها الصعق والرعد
غرائب أشكال سما هُرمُس[٢]بـــــــها ... مهندمة تأتى الجبال فتتهــــــــد
ألا أنه الدنيا تريك عجائبنـــــــــــا ... وما فى القوى منها فلابد أن يبدو[٣]

وكلمة النفط تعنى قذائف النفط، أو قذائف النار الإغريقية، ثم تطور معناها بحيث أصبح يعنى الأسلحة النارية أو البارود. وكانت هذه الأسلحة لا تحدث ناراً عند انطلاقها، وإنما كانت تحدث فرقعة وهديراً، ولهذا سميت بصواعق النفط. وكانت قذائفها كوراً معدنية أو حجرية. ويسمى المشرفون على إطلاقها بالنفطية أو البارودية. وهذه المدافع وإن كانت لا تسبب ناراً وإنما كانت تستخدم فى الهدم والتحطيم[٤].

---

[١] ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص ص ٨٥-٨٦.

[٢]هرمس Hermes : إله الفصاحة والتجارة والسرقة عند اليونـــان ويســـميه الرومـــان الإلـــه مركـــور Mercure أى الزئبق وهو معدن سائل لا يعرف كيف يمسك . والتشبيه هنا يرمز لغرابة الاختـــراع . انظر: أحمد مختار العبادى : صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس ، ص ٢٤٠.

[٣] ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص ٨٥.

(٤) ابن الخطيب: اللمحة البدرية، ص ص ٨٥-٨٦؛
Harvey, L.P.: Op. Cit., pp. 104-105 .

ويذكر ابن خلدون أن المسلمين فى الأندلس نقلوا هذا السلاح من إخوانهم فى بلاد المغرب، فيذكر أن السلطان المرينى أبو يوسف يعقوب عندما هاجم مدينة سجلماسة[١] فى عام ٦٧٢هـ/١٢٧٢م ، نصب عليها هذا السلاح الجديد وهو آلة النفط القاذف بحصى الحديد ينبعث من خزانة أمام النار الموقدة فى البارود بطريقة غريبة[٢].

رابعًا: التحصينات الدفاعية :

يذكر المؤرخ المقرى أن الدولة الغرناطية كانت تحث رعاياها الأندلسيين فى المساهمة فى إقامة التحصينات الدفاعية لأن أموال الدولة كانت تصرف فى أوجه مختلفة أخرى من شراء أسلحة وإنفاق على الجيش ، لذلك كان الملوك يطلبون من الرعية المشاركة فى إقامة الحصون والأسوار والأبراج للحماية [٣].

وشارك ملوك بنى مرين أيضًا بمجهودات كبيرة فى تحصين بعض المدن الساحلية الأندلسية ففى عام ٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م عندما نجح المسلمون أندلسيون وغاربة فى استرداد جبل طارق من أيدى القوات القشتالية [٤].عمد المسلمون إلى عمل تحصينات قوية للجبل، حتى إذا ما شن القشتاليون الهجوم عليه مرة أخرى، منعتهم

---

(١) سجلماسة : مدينة مغربية تقع فى الجنوب الشرقى لمدينة فاس وعلى مسيرة ٢٠٠ميل منها . كما أنها تقع على تخوم الصحراء .بينها وبين غانا فى السودان الغربى مسيرة شهرين . ازدادت الحركة التجارية بها منذ القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى ، بسبب ازدياد القوافل التجارية إلى السودان الغربى .انظر : الحميرى : الروض المعطار، ص ص ٣٠٥-٣٠٧ .

(٢) ابن خلدون: العبر ، جـ ٧، ص ١٨٨؛ Arié, R.: El Reino Nasri, p. 239 .

(٣) المقرى : نفح الطيب، جـ ٩، ص ص ١٠٩-١١٠.

(٤) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص ص٢٩٧-٢٩٨؛ الإحاطة، جـ١، ص ٥٣٧؛ اللمحة البدرية، ص٩٤؛ ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص ٣٣٧.

التحصينات من الاستيلاء عليه. وأشرف القائد أبو مالك بن السلطان المرينى أبى الحسن علي على هذه التحصينات. وقام المسلمون ببناء حصن بالجبل، وكذلك عملوا على إحكام السور حول الجبل، وبناء مسجد جامع به، ومرافئ برية وبحرية(١).استخدم المسلمون فى هذه التحصينات المؤن والعتاد اللازم لذلك، والذى أرسله السلطان المرينى أبو الحسن على لإقامة تلك التحصينات(٢).

ويعد قصر الحمراء من أهم المنشآت العسكرية فى مملكة غرناطة ، فقد سعى السلطان الغرناطى محمد الأول مؤسس المملكة- بعد دخوله مدينة غرناطة فى عام ٦٣٥هـ/١٢٣٨م وإعلان قيام دولته ، واتخاذه من مدينة غرناطة عاصمة له- أن يقيم حصناً أو قلعة تكون حامية له، مقرًا للحكم ، ويكون حصناً يحتمى به إذا قضت الحاجة لذلك ، وفى الوقت نفسه مقرًا ومخزناً للأقوات والسلاح والذخيرة ، فاختار الحمراء ، ويقع قصر الحمراء فى الجانب الشمالى الشرقى من مدينة غرناطة،ووضع ابن الأحمر فى هذا الموقع المرتفع أساس القصبة الجديدة " قصبة الحمراء" ، وبعدها أمر السلطان محمد الأول ببناء القصر مقر حكمه فى العاصمة ، وسعى فى الوقت نفسه بتوفير كافة الخدمات اللازمة لهذه القصبة ، فأقام على نهر حدرة سد حتى يتم حجز المياه لوصوله قصبة الحمراء ، ورفعها بعد ذلك بالسواقى ، ثم أمر بانشاء عدد من الأبراج وسور حول القصر . وفى عهد السلطان محمد الثانى الفقيه ، أتم انشاء الحصن الجديد والقصر الملكى ، وشيد محمد الثالث بناء المسجد الجامع، ولكن يعتبر عصر السلطان أبو الحجاج يوسف هو العصر الذهبى لإنشاء قصر الحمراء، فقد أمر

(١) ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص ص٣٩١-٣٩٢؛ ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ق٢، ص ٢٩٧؛ ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، ص ٦٦٦؛ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص ٢٥٦؛ المقرى: نفخ الطيب، جـ١، ص ٤٥ .

(٢) ابن خلدون: العبر، جـ٧، ص ٢٥٦.

ببناء السور الذى يحيط بالحمراء ، وأبراجه ، وبواباته العظمى ، ثم أكمله ابنه محمد الخامس [١].

كذلك كان من أهم الاستحكامات الدفاعية فى مملكة غرناطة بناء الأبراج المختلفة حول هذه المدن للدفاع عنها فمدينة المرية كان بها عدد كبير من الأبراج التى شابهت نجوم السماء فى عددها.[٢]

وقد عمد سلاطين بنى الأحمر إلى تشييد أعداد كبيرة من الأبراج ، ففى عهد السلطان الغرناطى يوسف الأول شيد الحاجب أبو النعيم رضوان،عددًا كبيرًا من الأبراج بطول الساحل الغرناطى ، بلغ عددها أربعون برجًا ، بهدف تأمين الساحل الغرناطى. [٣]

وتعد أبراج الطليعة أو المراقبة Torres Atalaya (مأخوذة من الكلمة العربية الطليعة) ، وهى أبراج قام المسلمون بتشييدها على ارتفاع كبير حتى يمكن من خلالها مراقبة التحركات حول حدود المدن ، وتقوية الاستحكامات حول المدن والمناطق الحيوية فى المملكة ومنها السواحل والموانىء وكانت هذه الأبراج ملاذًا آمنًا للمسلمين وقت الشدة [٤]

---

(١). انظر : السيد عبد العزيز سالم: فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص ص ٢٠٤-٢٠٦؛ أحمد محمد الطوخى: مظاهر الحضارة فى الأندلس ، ص ص ٦٠-٦٣؛

Arié, R.: El Reino Nasri, p. 227..

(٢) أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس ، ص ٢١٨؛أحمد مختار العبادى : صور من حياة الحرب والجهاد فى الأندلس،ص ٢٤٧.

(٣) ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ ١ ، ص ٥١٧ .

(٤) أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس ، ص ٢١٩؛

Arié, R.: El Reino Nasri, p. 228. .

كما عُرف من الأبراج فى عصر بنى الأحمر ما يسمى بالأبراج البرانية ، وهو ابتكار موحدى الأصل والهدف منه هو تدعيم السور الخارجى للمدينة أو الحى ، والبرج البرانى يرتبط بالسور الأصلى عن طريق ستارة ثانوية تسمى قورجة تستهدف غلق الطريق أمام الأعداء فى أضعف مناطق السور .ومن الأبراج البرانية ما هو مربع الشكل وما هو ثمانى (١) .

كما كان من التحصينات الدفاعية تشييد الأسوار حول المدن الغرناطية ، وكانت هذه الأسوار مزودة بأبراج على طول مســارها ، لحمايتها (٢).

كما أن المدن الكبرى فى المملكة مثل مالقة والمرية ووادى آش كان يحاط بها أسوار منيعة لحمايتها من الاعتداء عليها . والسور الغرناطى كان يتألف من درب فى أعلاه يسير عليه المحاربون يطلق عليه فى الغالب ممشى السور ، وفى السور شرفات لقذف السهام (٣).

ومدينة المرية كان يحاط بها سور لحمايتها ، وكان لها سور كبير من ناحية البحر لتحصينها، وسور آخر بُنى حول ربضها الشرقى لحمايته ، كما كان ربضها الغربى محصناً بسور كبير أيضًا (٤)

---

(١) السيد عبد العزيز سالم : العمارة الإسلامية فى الأندلس وتطورها – مجلة عالم الفكر ، الكويت ، المجلد الثامن ، العدد الأول ، أبريل – مايو– يونيو ١٩٧٧م ،ص ص ١٢٨–١٢٩.

(٢) السيد عبد العزيز سالـــم : تاريخ مدينة المرية قاعـــدة أسطول الأندلس – القـــاهرة ، ١٩٦٩م ، ، ص ١٣٦.

(٣) نفس المرجع ، ص ص ١٣٦–١٣٧؛ . Arié, R.: El Reino Nasri, p. 227.

(٤) نفس المرجع ، ص ١٤٣.

وقصر الحمراء كان يحيط بها سور حول قصوره كلها، وكان قد أنشأ السلطان الغرناطى محمد بن الأحمر بعضًا من أسوار الحمراء ، كما قام ابنه محمد الثانى الفقيه فى أواخر القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى باستكمال بعض أجزاء السور، والعمل على تحصينه[١].

وقد قام الحاجب أبو النعيم رضوان بتشييد السور المحاط بربض البيازين بغرناطة لحمايته[٢]. كما قام السلطان محمد الخامس بصيانة السور حول جبل طارق فى عام ٧٥٦هـ/١٣٥٥م[٣]

كما تعد القلاع من المنشآت الدفاعية والتحصينبة فى بلاد الأندلس فى عصر بنى الأحمر ، والقلاع حصون كبيرة يلوذ بها المسلمون وقت الحروب على بلادهم ، وكان بكل مدينة كبيرة من المدن الغرناطية قلعة أو قصبة ، فهناك قلعة مالقة ، وقلعة المرية، وقلعة غرناطة ، وقلعة وادى آش وغيرها من القلاع [٤].

ومن القلاع المشهورة فى بنائها فى الأندلس قلعة يحصب على مقربة من غرناطة العاصمة، وصمدت قلعة يحصب فى وجه الممالك المسيحية المهاجمة لأملاك

---

(١) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام فى الأندلس، جـ ٧، ص ٢٨٩؛
Arié, R.: El Reino Nasri, p. 228 .

(٢) ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ١، ص ٥١٧.

(٣) نفس المصدر ، جـ٢، ص ٢٣.

(٤) بلباس : المدن الإسلامية، ص ٧٩؛ Arié, R.: El Reino Nasri, p.227.

المسلمين لفترة من الزمن ولكن تمكنت القوات القتالية فى حملة لها عام ٧٤٢هـ/١٣٤٢م من الاستيلاء عليها وتدميرها .[١]

خامسًا:البحرية فى مملكة غرناطة :

كثرة القواعد البحرية فى مملكة غرناطة وعملت على تقدم البحرية فيها . وتعددت الموانىء البحرية فى مملكة غرناطة، لطول سواحلها .

ومن أهم الموانئ البحرية الأندلسية ميناء المرية واسمها مشتق من وظيفتها ، وهى مراقبة السفن فى البحر .[٢] وكانت فى عصر بنى الأحمر مركز قيادة الأسطول البحرى الغرناطى.[٣] وكان ميناء المرية هو الميناء الأول فى مملكة غرناطة ،[٤] وذلك للصفات التى اتصف بها وميزته عن غيره من الموانئ الأندلسية ، وعلى رأس هذه السمات اتساعه ، فالمؤرخ الغرناطى ابن الخطيب يصف اتساع الميناء لاستقبال عدد كبير من السفن الحربية والتجارية ، وذلك أثناء زيارة السلطان الغرناطى أبو الحجاج يوسف الأول (٧٣٢ – ٧٥٥هـ/١٣٣٣ – ١٣٥٤م) للمدينة عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م بقوله : " ..وطلعت فى سماء البحر أهلة الشوانى ، كأنهن

---

(١) محمد فهمى إمبابى: التاريخ السياسى للجزيرة الخضراء الأندلسية منذ سقوط الدولة العامرية وحتى استيلاء القشتاليين عليها، (٣٩٩-٧٤٤هـ/ ١٠٠٨-١٣٤٤م)- رسالة دكتوراة غير منشورة، آداب طنطا، ١٩٩٧م ، ص ٤٠٤.

(٢) الحميرى : الروض المعطار ، ص ٢١ .

(٣) محمد أحمد أبو الفضل: تاريخ مدينة المرية الأندلسية فى العصر الإسلامى – الأسكندرية،١٩٩٦م ، ص ٥٦.

(٤) أحمد مختار العبادى : تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٣٩٣ .

حجب الغوانى .. " [١] . كما كان يتسع لاستقبال السفن التجارية والحربية كبيرة الحجم، التى لا يمكن أن ترسو فى غيره من الموانئ فى تلك الفترة . ووصف ابن الخطيب ذلك بقوله " .. بحرها مرفأ السفن الكبار ... " . [٢] ووصف ابن غالب المرية أنها " ... باب الشرق ومفتاح التجارة والرزق.. " [٣].

كذلك كان ميناء مالقة من أهم الموانىء الغرناطية . فابن الخطيب يثنى على مالقة بقوله " ... هى وتجارتها تعقد لواءً خافقًا وتقيم الجهاد سوقًا نافقًا .. ".[٤] كما امتدح ابن الخطيب سهولة دخول المراكب الحربية والتجارية للميناء ، وكذلك سهولة إقلاعها منه [٥] .. وظل ميناء مالقة يلعب دورًا مهمًا ، حتى كان سقوط المدينة نهائيًا فى أيدى القشتاليين عام ٨٩٢ هـ / ١٤٨٧م .[٦]

---

(١) ابن الخطيب : خطرة الطيف ، ص ٤٤ .

(٢) ابن الخطيب : معيار الاختيار، ص ٨٤ .

(٣) ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ص ١٤ – ١٥ .

(٤) ابن الخطيب مفاخرات مالقة وسلا – ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق د/ أحمد مختار العبادى، الإسكندرية، ١٩٨٣م ، ص ٦١ .

(٥) نفس المصدر ، ص ٦١ .

(٦) نظرًا لأهمية مدينة مالقة الاستراتيجية قرر الملك فرناندوا والملكة إيزابيلا ضرورة السيطرة عليها لإحكام الحرب على مدينة غرناطة والقضاء عليها نهائيًا . وكان يهدف من السيطرة عليها العمل على قطع الإمدادات التى يمكن أن تصل إلى الأندلس من البلاد الإسلامية، وبخاصة بلاد المغرب ،عن طريق ميناء مالقة . وجمع الملك والملكة جيشًا جرارًا قوامه سبعون ألفًا من الفرسان والمشاة، وزود جيشه بالمؤن والآلات الحربية ، ولأهمية الحملة ،خرجت الملكة إيزابيلا على رأس الحملة بنفسها، لبث روح الحماسة فى نفوس الجند المسيحيين . وفى شهر جمادى الثانية ٨٩٢هـ / يونية ١٤٨٧م ضربت =

كما أن ميناء الجزيرة الخضراء من الموانئ الغرناطية، ومما ميز ميناء الجزيرة الخضراء عن غيره من الموانئ الأندلسية ما وصفه ابن غالب بأنه " ... أيسر المراسى ... " .(١) وذلك لسهولة رسو السفن فيه. كما أن ابن فضل الله العمرى يثنى على مرسى ميناء الجزيرة الخضراء بقوله : " ... مرساها من أحسن المراسى... " . (٢) ويذكر ابن سعيد سبب تفضيل السفن المغربية لهذا المرسى بسبب قربها من الساحل المغربى، فهى تقابل مدينة سبتة من بر العدوة المغربية . (٣) ويؤكد ذلك أيضًا ابن أبى زرع ، فيذكر أن السفن التجارية والحربية المغربية كانت تفضل الاتجاه إلى ميناء الجزيرة الخضراء.(٤)

ومن الموانئ الأندلسية فى عصر بنى الأحمر أيضًا ميناء المنكب Almanecar(٥). ويذكر ابن الخطيب أنها " .. مرفأ السفن ومحطتها ومنزل عباد

= القوات المسيحية الحصار حول المدينة وفى ٢٦ شعبان ٨٩٢هـ / ١٨ أغسطس ١٤٨٧م استسلم أهل المدينة ودخل النصارى مالقة . انظر : مجهول : أخبار العصر ، ص ص ٩٧ – ٩٨ ؛
Arié, R.: El Reino Nasri, pp. 95 – 96.

(١) ابن غالب : فرحة الأنفس ، ص ٢٥ .

(٢) العمرى : وصف إفريقية، ص ٢٩٤ .

(٣) ابن سعيد : الجغرافيا –تحقيق إسماعيل العربى ،بيروت ،١٩٧١م، ص ١٣٩ .

(٤) ابن أبى زرع : الأنيس المطرب ، ص ٣٥٨ .

(٥) المنكب Almunecar : ميناء ساحلى يقع فى جنوب شرق الأندلس ، وتتبع مدينة المنكب مقاطعة غرناطة ، واسم المنكب اسم عربى يعنى الحصن المرتفع. كثيرة مصايد السمك وكثيرة زراعة الفواكة . بينها وبين غرناطة مسافة تقدر بأربعون ميلاً. انظر : الحميرى : الروض المعطار ، ص ص ٥٤٨–٥٤٩..

المسيح.."[1] ويتميز ميناء المنكب بموقعه حيث يقع غربى مدينة المرية وشرقى مدينة مالقة ، وبذلك يقع بين مدينتين تجاريتين مهمتين هما مالقة والمرية . [2]

ومن الموانئ المهمة أيضًا ميناء طريف ، وعنها يقول الإدريسى وجد بها " ... الأسواق والفنادق ... " . [3] وظلت كذلك حتى كان سقوطها فى أيدى المسيحيين عام ٦٩١ هـ /١٢٩٢م[4] .

- **صناعة السفن :**

تعتبر عملية صناعة السفن الحربية أهم مقوم من مقومات التفوق البحرى فى مملكة غرناطة ، فقد توفرت المادة الخام اللازمة لصناعتها فى الأراضى

---

(١) ابن الخطيب : معيار الاختيار ، ص ٧٩ .

(٢) الحميرى : الروض المعطار، ص ١٨٦؛أحمد مختار العبادى: تاريخ المغرب والأندلس،ص ٣٩٤

(٣) الإدريسى : نزهة المشتاق ، ص ١٧٩ .

(٤) بعد وفاة السلطان المرينى أبو يوسف يعقوب فى عام ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦م وتولى ابنه السلطان أبو يعقوب يوسف، أوعز الملك القشتالى سانشو الرابعSancho IV إلى السلطان الغرناطى محمد الثانى الفقيه أن السلطان المرينى يرغب فى الاستيلاء على الأملاك التابعة لسلطان بنى الأحمر ، تمهيدًا للقضاء على دولتهم بعد ذلك ، وبناءً على ذلك ،تم إبرام اتفاق بين السلطان الغرناطى والملك القشتالى، يقضى بالاستيلاء على مدينة طريف ،التى كانت تابعة فى تلك الفترة لسلطان بنى مرين ،ثم يقوم سانشو الرابع بتسليمها للسطان الغرناطى بعد ذلك . وتنفيذًا لذلك الاتفاق ،تم الاستيلاء عليها فى عام ٦٩١ هـ / ١٢٩١م ، لكن رفض الملك القشتالى تسليمها لبنى الأحمر انظر : ابن أبى زرع: الأنيس المطرب بروض القرطاس – الرباط، ١٩٧٣م ، ص ٣٨٠ ؛ ابن خلدون : العبر ، جـ ٧ ، ص ٢٨٥-٢٨٦؛ محمد فهمى إمبابى : الجزيرة الخضراء ، ص ص ٣٦١ – ٣٦٣ ؛

Arié, R. El Reino Nasri, p. 29.

الأندلسية فى عصر بنى الأحمر، مما كان سببًا فى انتشار دور الصــناعة لصــناعة السفن فى المدن والقواعد البحرية الهامة فى تلك الفترة[١] .

وقد انتشرت دور صناعة السفن فى المدن الساحلية التى كان بهــا مــوانىء بحرية . ففى مالقة كان يوجد بها دار لصناعة السفن ، كانت من أشهر دور صــناعة السفن الغرناطية، وكان الموحدون قد اهتموا بدار الصناعة فى مالقــة ، وزادوا فــى بنيانها ، وصنِّعت العديد من قطع الأسطول الغرناطى من الشوانى والطرائد والأغربة والتى سيتم عرضها فى الصفحات التالية ، واستمرت دار الصناعة فى مالقــة تنــتج السفن حتى كان سقوط المدينة فى عام ٨٩٢هــ/١٤٨٧م فى أيــدى القشــتاليين[٢] ، وبعد استيلائهم عليها ، وجدوا بها برجان عاليان للمراقبة والدفاع عنها ، كما وجدوا بها حجرات فى جزئها العلوى[٣] استخدمت بعد سقوط المدينة كمخازن للأسلحة [٤].

كما أن مدينة المرية كان يوجد بها دار لصناعة السفن أيضًا[٥]. وكــان يــتم تصنيع السفن بها حتى كان سقوطها فى أيدى القشــتاليين مــع المدينــة فــى عــام ٨٩٥هــ/١٤٩٠م ، وكان حتى أوائل القرن التاسع عشر الميلادى يطلق علــى أحــد

---

(١) ابن الخطيب: معيار الاختيار ضمن مشاهدات، ص ٨٨.

(2) Guillén Robles, F.: Malaga Musulmana, Vol.II, p. 320.

(3) Ibid.,p. 321.

(٤) الحميرى : الروض المعطار، ص ١٨٦؛ المقرى : نفح الطيب، جــ١، ص ١٥٣؛
Arié, R. El Reino Nasri, p. 245.

(٥) القلقشندى : صبح الأعشى ، جــ ٥ ، ص ٢١٨ ؛ المقرى : نفح الطيب ، جــ ١ ، ص ١٦٢؛ انظــر أيضًا : محمد أحمد أبو الفضل : تاريخ مدينة المرية الأندلسية، ص ص ١٧٦-١٧٧.

شوارع المرية اسم شارع دار الصناعة ، وكان به آثار لسفينة قديمة ترجع للعصـــر الإسلامى يبلغ عرضها عشرة أمتار وطولها حوالى ثلاثين مترًا [١].

كما يذكر لسان الدين ابن الخطيب أن مدينة المنكب الساحلية والميناء الهـــام ، كان بها دار لصناعة السفن فى عصر بنى الأحمر [٢].

ويذكر ابن بطوطة أنه أثناء زيارته لجبل طارق عام ٧٥١هـــ/ ١٣٥٠م شاهد دار لصناعة السفن بالمدينة ،ويذكر أن السلطان المرينى أبا الحسن على كـــان قـــد أنشأها لتحل محل دار صناعة الجزيرة الخضراء بعد سقوطها فى أيدى القشتاليين عام ٧٤٤هـــ/ ١٣٤٤م[٣] .

وساعد على ازدهارها صناعة السفن فى مملكة غرناطة فى عصر بنى الأحمر وفرة المواد الخام اللازمة لصناعة السفن مثل الأخشاب التى توفرت من الغابات التى انتشرت فى مناطق واسعة من بلاد الأندلس الإسلامية وكانت موردًا مهمًا لصـــناعة السفن ، ومن أهم الأخشاب المستخدمة فى صناعة الســـفن كـــان خشـــب البلـــوط ، والصنوبر [٤] ، إلا أن هذا المرد كان يقل بسقوط المـــدن الأندلســـية الواحـــدة تلـــو

---

[١] أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس، ص٢٤٥ .

[٢] ابن الخطيب : معيار الاختيار ضمن مشاهدات ، ص ٩٤؛
Arié, R. El Reino Nasri, p. 245.

[٣] ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ، ص ٦٦٨.

[٤] ابن منكلى : الضوابط الناموسية والأحكام المملوكية فى قتال البحر – القاهرة ، مطبعـــة دار الكتـــب المصرية ، ١٩٥٠م ، ص ١٥؛ أوليفيا ريمى كونستبل : التجارة والتجار فى الأندلس – ترجمـــة فيصـــل عبد الله ، مكتبة العبيكان، الرياض ، ٢٠٠٢م ، ص ٣٣٧ ، ٣٤٨؛
.Arié, R. El Reino Nasri, p. 246.

الأخرى فى قبضة الممالك المسيحية ، وفقدان المسلمين لمساحات واسعة من أراضيهم لصالح الممالك المسيحية وبخاصة مملكة قشتالة (١) . وكانت مملكة قشتالة بعد استيلائها على الغابات المنتشرة فى بلاد الأندلس تمنع تصدير الأخشاب إلى مملكة غرناطة(٢) .

كما توفر فى مملكة غرناطة الحديد المستخدم فى صناعة السفن ، وكان يكثر فى مدينة المرية ، ومدينة غرناطة ، ووادى آش (٣) . كما توفر الكتان الممتاز الذى كان يستخدم فى صناعة الأحبال والبكرات وهى من لوازم صناعة السفن . (٤) .

وكان الأسطول الحربى فى مملكة غرناطة يتألف من مجموعة من القطع الحربية المختلفة لكل منها دوره فى القتال ومنها :

- **الجفن:**

والجمع أجفان ،وهى سفينة حربية دائرية الشكل . ما كان يستخدم منها فى الحروب يسمى الأجفان الغزوية . وما كان يستخدم فى النقل منها يسمى الأجفان التجارية ، أشار إليها ابن أبى زرع لمعارك المسلمين فى الأندلس (٥) .

---

(1) Arié, R.: España Musulmana, pp. 225 – 226.

(٢) أوليفيا ريمى كونستيل : التجارة والتجار فى الأندلس ، ص ٣٤٨.

(٣) ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ ١؛ ص ١٠٤؛ المقرى : نفح الطيب، جـ ١، ص ١٥٧ .

(٤) الحميرى : الروض المعطار، ص ٢٤.

(٥) المقرى : نفح الطيب، جـ ٧، ص ٦٧؛ محمد ياسين الحموى: الأسطول العربي- دمشق، ١٩٤٥، ص ٤٤ .قد استخدمها الموحدون لشرتها بالخفة وحركتها السريعة ويتضح ذلك عندما تسابقت الأجفان البحرية فى عهد الخليفة المنصور الموحدى لمزيد انظر ابن عذارى :البيان المغرب، ج٥،ص١١٤.

- **الشوانى :**

مفردها شينى أو شونة وهى السفينة الحربية الضخمة التى كانت تتكون من عدة طبقات كالقلعة وتسمى فى الأسبانية Galera وهى مزودة بأبراج وقلاع للدفاع ، ومهمتها الأساسية نقل الجنود ، وتحتوى على مخازن لحفظ القمح بها وكذلك خزانات ضخمة لتخزين المياه، أشار إليها ابن الخطيب فى تناوله لزيارة السلطان أبى الحجاج يوسف الأول للمرية فى عام ٧٣٩هـ/١٣٣٩م[١] .

- **الحراريق:**

وتسمى أيضًا الحراقات وهى سفينة حربية كبيرة ، كانت تستخدم فى حمل الأسلحة النارية ، كالنار الإغريقية ، وكان بها مرام تلقى منها النيران على العدو فى البحر ، وتسير الحراقة بسرعة كبيرة فى البحر ، وكانت فى عصر بنى الأحمر من أهم قطع الأسطول الحربى [٢] .

- **الغليوط:**

وهو سفينة تجارية وحربية ، يتميز بسرعته، نظرًا لضيق عرضه وكبر طوله[٣].

---

[١] ابن الخطيب : معيار الاختيار ضمن مشاهدات ، ص ٤٤؛ درويش النخيلى : السفن الإسلامية على حروف المعجم، ص٨٣.

[٢] محمد ياسين الحموى: الأسطول العربي، ص ٣٤ .

[٣] سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية- دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧، ص ٣٦١؛ درويش النخيلى: السفن الإسلامية ، ص ٨٢.

- **الشيطى:**

مركب تجارى وحربى يجدف بثمانين مجدافـًا، ومهمته اسـتطلاع المـوانئ واستكشافها، وهو يتميز بسرعته[١] .

- **القرقورة:**

هى سفينة تجارية وحربية ضخمة كانت تستخدم فى حمل المـؤن للأسـاطيل الحربية .ولها ثلاثة أشرعة، ولها القدرة على السير في الرياح العاصفة[٢] .

- **البطس :**

وهى من السفن الحربية الكبيرة الحجم ، تشتمل على عدة طبقات يشغل كـل طبقة منها فئة معينة من الجنود بأسلحة معينة ، وتشتهر بكثـرة قلاعهـا ، وكانـت تستخدم فى شحن الغلال والأقوات والنفقات ، والآلات الحربية [٣] .

- **الأغربة :**

والجمع غراب وهى نوع من السفن الحربية التى كانت تستخدم فى الحروب بصفة مستمرة ، وكانت مقدمة هيكلها على شكل غراب ، وكانت تستخدم فى عمليات الاستطلاع وقت القتال البحرى ، نظرًا لسرعته الفائقة التى تتسم بها لطولها مع ضيق اتساعها [٤] .

---

[١] سعاد ماهر : البحرية في مصر الإسلامية، ص. ٣٥٢.

[٢] محمد المنوني:ورقات عن الحضارة المغربية في عصر بني مرين- منشورات كلية الآداب، الربـاط، ١٩٧٩،ص ٧٨ .

[٣] إبراهيم أحمد العدوى : الأساطيل العربية فى البحر المتوسط- القاهرة، ١٩٦٣م، ص ١٦٨.

[٤] حسن إبراهيم حسن : النظم الإسلامية ، ص ١٠٠.

سادسًا: أسلحة الأسطول الغرناطى :

كانت القسى من أهم أسلحة الأسطول الغرناطى ، وكانت تعتبر السلاح الرئيسى بالنسبة للأسطول ، وكان من بين جند الأسطول من يحملون القسى التى تشد باليد وهى القسى المعروفة بالقسى العربية ، ومنهم من كان يحمل القسى التى كانت تشد بالأرجل وتسمى القسى الإفرنجية(١). وكان أشد القسى رميًا تلك التى تصنع من خشب السنديان ، وهو نوع من الأخشاب القوية ، وكانت شديدة تحقق نتائج عالية فى المعارط البحرية لمتانتها ، وكان على كل سفينة من سفن الأسطول الغرناطى عدد مائتين من رماة الأقواس (٢).

كذلك يرتبط بالقسى السهام التى تلقيها القسى على سفن الأعداء ، وهى عبارة عن عود رفيع فى طول الزراع ، استخدمته البحرية الغرناطية بكثرة فى إحدى المعارك البحرية مع الأساطيل المسيحية فى عام ٧٤٠هـ/١٣٤٠م . (٣)

كما كان المجانيق أحد أهم الأسلحة التى تسلح بها االأسطول الغرناطى ، والسبب فى ذلك هو الدور الذى كان يلعبه فى المعارك البحرية ، فقد كان المجانيق يقذف النيران على سفن العداء ، وكان يحدث بها خللاً كبيرًا ، ويسبب خسائر فى الجند والعتاد وفى السفن أيضًا ، مما يسهل على السفن الإسلامية السيطرة على سفن الأعداء (٤) .

---

(١) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ١٠، ص ١٣.

(2)Arié, R. El Reino Nasri, p. 246.

(٣) ابن منكلى : الأحكام المملوكية ، ص ٢٤.

(٤) القلقشندى : صبح الأعشى ، جـ١٠، ص ١٣ .

كما كانت الأنفاط أحد الأسلحة المهمة بالنسبة للأسطول الغرناطى وكانت الأنفاط تطبق من آلة رمى النفط ، وتسمى النفاطة ، وهى مصنوعة من النحاس أو الحديد ، وتستخدم لحرق سفن الأعداء ، ويتون النفط البحرى من القطران والكبريت ، ومواد أخرى قابلة للاشتعال ، وقد استخدمتها البحرية الغرناطية فى حصار مدينة طريف عام ٧٤١هـ/١٣٤٠م [١] .

كذلك كانت الرماح الطويلة من بين أسلحة الأسطول الغرناطى وكانت تسهل للجند المسلمين المواجهة مع الجند الأعداء ممن يقاتلونهم ، لأن الرماح الطويلة كانت تصيب الجند فى البحر عندما تقترب السفينة الخاصة بهم من سفن الأعداء [٢].

كما كان الجند المسلمون يستخدمون الكلاليب لجذب سفن الأعداء على مقربة منهم ثم يقومون بوضع عدد من الألواح للعبور إلى سفن الأعداء وتتم المواجهة وجهًا لوجه [٣].

- **قيادة الأسطول :**

كانت قيادة الأسطول الغرناطى تُعهد لقائد ذى شأن كبير يسمى قائد البحر ،أو قائد الأسطول، ولا تتوقف قيادة قائد البحر للأسطول أثناء المعارك الحربية ، وإنما

---

[١] ابن الخطيب : الإحاطة ، جـ ١، ص ٣٩؛ اللمحة البدرية ، ص ٨٥؛ محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس ، ص ١٢٨. فى عهد السلطان الغرناطى أبو الوليد اسماعيل قد استخدمه الأسطول الغرناطى فى معركة طريف الكبرى (٧٤١ه/ ١٣٤٠م، وفى حصار الجزيرة الخضراء ٧٤٣ه/١٣٤٢م . انظر: محمد إمبابى : الجزيرة الخضراء،ص٤٠٩.

[٢] المقرى : نفح الطيب، جـ٩، ص ٧٩.

[٣] نفس المصدر، جـ٩، ص٧٩.

تبدأ من إعداد السفن الحربية [1] ، واختيار الأسلحة المناسبة لها ، العمل على إعداد العدة قبيل الحرب ، والإشراف على النفير بالجهاد ، والإشراف كذلك على نقل الجنود فى الأسطول ، أى أن قائد البحر له كافة الصلاحيات التى تتعلق بأمور الحرب البحرية[2] .

وفى عصر بنى الأحمر كان مقر قيادة الأسطول البحرى فى المرية نظرً لما كانت تتمتع به هذه المدينة فيما يتعلق بأمور الجهاد البحرى ، وصناعة السفن ، وسهولة دخول وخروج السفن إلى موانيها [3].

وكانت هناك أسر تتولى الإشراف على الأسطول الغرناطى وتتولى قيادته لما لهذه الأسر من خبرة ، وكفاءة فى أمور البحر وفنون ركوبه . وعلى رأس هذه الأسر التى تولت قيادة الأسطول الغرناطى ، أسرة بنى الرنداحى [4] ، التى تولت قيادة الأسطول البحرى الأندلسى فى عصر الموحدين ، ولما نقضت دولتهم تولت قيادة الأسطول للدولة المرينية فى المغرب ، ودولة بنى الأحمر فى غرناطة [5].

---

[1] ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢١٦؛ التعريف بابن خلدون، ص ٩٠.

[2] ابن خلدون: التعريف بابن خلدون، ص ٩٠؛ Arié, R. El Reino Nasri, p.243.

[3] محمد أحمد أبو الفضل: المرية ، ص ٥٦.

[4] تنسب أسرة الرنداحى إلى أبى العباس الرنداحى ، الذى قدم المساعدة للقائد أبى القاسم العزفى حاكم مدينة سبتة المغربية والتى عمد إلى الاستقلال بالمدينة عام ٦٤٧هـ/١٢٤٩م . انظر : ابن خلدون : العبر ، جـ ٧، ص ١٨٦؛ أحمد محمد الطوخى : مظاهر الحضارة فى الأندلس ، ص ٢٥٢ .

[5] ابن القاضى : درة الحجال ، جـ١، ص ص ١٣٨-١٣٩؛ ابن خلدون: العبر ، جـ ٧، ص ١٨٦ ؛ Arié, R. El Reino Nasri, p.243.

ومن أشهر من تولى قيادة الأسطول الغرناطى القائد أبو الحسن على الرنداحى[1]، ونظرًا لأن القيادة العامة للأسطول الغرناطى كانت فى مدينة المرية ، فقد سارع فى نجدتها أثناء حصار القوات الأراجونية لها عام ٧٠٩هـ/١٣٠٩م ، ونجح فى رد الهجوم عن المدينة[2] .

ومن القادة المشهورين أيضًا القائد يحى الرنداحى ، الذى تولى قيادة الأسطول الغرناطى ، بعد أن برع فى قيادة الأسطول المرينى منذ عام ٧١٦-٧٢٠هـ/١٣٤٦-١٣٢٠م ، ثم انتقل إلى الأندلس وتولى قيادة الأسطول الغرناطى[3] .

أما عن استعراض الأسطول الغرناطى فكان مثله مثل أساطيل الدول الإسلامية فى تلك الفترة يقوم بعمل استعراض للقوات البحرية وقطع الأسطول . ويصف المؤرخ الغرناطى عرض القوات البحرية الغرناطية التى قدمته فى البحر فى ميناء المرية ، أثناء زيارة السلطان الغرناطى أبو الحجاج يوسف الأول للمدينة عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م بقوله : " ..وطلعت فى سماء البحر أهلة الشوانى ، كأنهن حجب الغوانى .. "[4] .

---

[1] ابن الخطيب: الإحاطة ، جـ٢، ص ٣٦٤؛ابن القاضى : درة الحجال،ج١،ص١٣٨،ج٣،ص٧٠.

[2] ابن خلدون: العبر ، جـ ٧، ص ١٨٦؛ Arié, R. El Reino Nasri, p.243.

[3] نفس المصدر ، جـ ٧، ص٢٤٧ ؛السلاوى: الاستقصا،ج٣،ص١١٥.

[4] ابن الخطيب : خطرة الطيف ، ص ٤٤ ؛ الطوخى: مظاهر الحضارة فى الأندلس ،ص٢٥٣.

سابعًا: حركة القرصنة[1] وأثرها على البحرية الغرناطية:

مارست الممالك المسيحية وخاصة مملكة أراجون أعمال قرصنة بحرية فى مياه البحر المتوسط ، كانت سببًا فى الإضرار بالمصالح التجارية والقطع البحرية الغرناطية ، ومما يدل على ذلك كثرة المراسلات التى تمت بين سلاطين غرناطة وملوك أراجون بشأن حركات القرصنة التى قام بها أراجونيون ضد المسلمين ، وبخاصة فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر الميلادى ، الذى شهد العديد من حركات القرصنة .

فهناك رسالة أرسلها السلطان الغرناطى أبى الوليد إسماعيل الأول (٧١٣-٧٢٥هـ/ ١٣١٤-١٣٢٥م) إلى الملك الأراجونى خايم الثانى عام ٧٢٣هـ/١٣٢٣م، كانت بخصوص قيام مجموعة من القراصنة الأراجونيين بالاعتداء على غليوط غرناطى يحمل به مجموعة من الرجال من أهل المرية كانوا متجهين إلى مدينة لقنت Leicante [2] التابعة لأراضى مملكة أراجون بهدف المتاجرة ، وجلب السلع، وأثناء

---

(١) القرصنة Piracy: عملية السطو علي السفن بالبحر، وهناك نوعان من القرصنة، قرصنة خاصة أو حرة وهي الهجوم أو محاولة الاعتداء علي السفن التجارية، حيث تقوم مجموعة بالاعتداء علي الملاحة ، والاستيلاء علي التجارة البحرية، ، وقرصنة رسمية أو دولية لصالح الدولة هدفها التضييق علي الملاحة لدولة أخرى . انظر: مجدي يسن عبد العال: العلاقات التجارية بين دولة بني مرين والجمهوريات الايطالية (جنوا-بيزا-البندقية) ٦٥٦-٨٦٩هـ/ ١٢٥٨م-١٤٦٤م، رسالة دكتوراه غير منشورة ، آداب الزقازيق، ٢٠٠٤-٢٠٠٥م، ص١٠٠.

(٢) مدينة لقنت Leicante : مدينة أراجونية صغيرة عبارة عن مرسى حسن ومكمن لمراكب الأراجونيين وهى عامرة بالسكان بينها وبين دانية على الساحل سبعين ميلاً ولها قصبة منيعة فى أعلى جبل بها .انظر: الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٧٠.

سير الغليوط المسلم فى البحر تعرض لهجوم من قبل قرقورة أراجونية ، تابعة لأهل تلك المدينة ، وكان أن أسروا اثنين من التجار المسلمين واستولوا على بضاعتهم . وبعد أن قدم التجار المسلمين شكواهم إلى أهالى المدينة (لقنت) قام أهالى المدينة برد الأسيرين وبعض التجارة إلى المسلمين . لكن بعد أن أقلع الغليوط الإسلامى محملاً ببعض التجارة الأراجونية عائدًا إلى المرية تبعه شيطى أراجونى، وهاجم من فيه، واستولى على الغليوط وما به من بضائع وأسروا منه امرأتين وصبيين [١].

خلاصة القول أن مملكة غرناطة لموقعها كمملكة مسلمة جاورت عدد من الممالك المسيحية جعلها مملكة حربية ، ومما يؤكد ذلك حرص سلاطين مملكة غرناطة على القيام بما يسمى بحركة كبيرة للتحصينات الدفاعية ، والاستحكامات التى يمكن أن تحميها من أطماع جيرانها من الممالك المسيحية الحريصة على انتهاز الفرصة بين الحين والحين للانقضاض على الأملاك الإسلامية والسيطرة عليها .

وكما اهتم السلاطين بالاستحكامات اهتموا بالجيش الغرناطى وامتلك الجيش الغرناطى العديد من الأسلحة التى ميزته عن الجيوش المعاصرة له فى تلك الفترة ، ومارس ألوانًا مختلفة من ألوان الكر والفر فى الحروب المختلفة ، فتصدى للهجمات المسيحية على أملاكه ، وحرر العديد من المدن التى سقطت فى أيدى القوات القشتالية ، أو الأراجونية . وكما اهتم سلاطين بنى الأحمر بالجيش الغرناطى اهتموا بالبحرية الغرناطية ، وزودوها بأحدث الأسلحة التى عرفت فى تلك الفترة ، وعملوا على رفع الكفاءات القتالية لجند الأسطول . وخاض الأسطول الغرناطى العديد من المعارك البحرية التى نال النصر فى بعضها وتعرض للهزائم فى بعضها ، وساهم فى رفع

(1) Alarcón y Linares :Los Documentos Árabes Diplomáticos, p. 12.

الحصار عن العديد من المدن الإسلامية التى عانت أشد العناء من شدة حصار القوات البحرية من الممالك المسيحية لها ، بهدف التضييق عليها والاستيلاء عليها .

الخاتمة

الخاتمة

شهدت مملكة غرناطة منذ قيامها وحتى سقوطها مراحل كانت قوية فيها ومراحل كانت فيها لقمة سهلة لجيرانها المسيحيين من الممالك التى كانت متربصة بها وتتحين الفرصة بين الحين والآخر للانقضاض عليها ويمكن تقسيم المراحل التى مرت بها مملكة غرناطة منذ قيامها عام ٦٣٥هـ/١٢٣٨م وحتى سقوطها فى عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م إلى ثلاث مراحل: المرحلة الأولى هى مرحلة تأسيس الدولة والتى كنت فى فترة حكم السلطان محمد الأول بن الأحمر و من بعده عصر ابنه محمد الثانى الفقيه ، وهذه المرحلة قام فيها سلاطين بنو الأحمر بالتهادن مع أعدائها حتى يتسنى لها قيام دولتهم وتوطيد أركانها . وقد نجحا السلطانان محمد الأول وابنه محمد الثانى الفقيه فى العمل على تأسيس الدولة الغرناطية واتخاذ غرناطة عاصمة لها وضم العديد من البلاد إليها ، وكان لحمل السلطان محمد الأول بن الأحمر راية الجهاد ضد الممالك المسيحية والتصدى لهجماتهم الأثر القوى والفعال فى لم شمل المسلمين حوله واتخاذهم قائدًا لهم يجمع قواهم فى قوة واحدة يمكن أن تتصدى بحزم لكل من يريد القضاء على الدولة الإسلامية فى بلاد الأندلس

أما المرحلة الثانية لهذه الدولة فكانت مرحلة القوة والازدهار ، وهى المرحلة التى بدأت مع مطلع القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى حيث تخطت الدولة فيها مرحلة التأسيس ووطدت أركانها ، بل وأصبح لها معالم داخليًا وخارجيًا ، بل وعملت الدولة على توحيد قوتها ضد أعدائه ، وتخطت هذه المرحلة إلى مرحلة أخرى وهى التصدى لأعدائها وشن الهجوم على الأراضى المتاخمة للمملكة وبلغت الدولة الغرناطية أوج قوتها فى عهد السلطان أبى الحجاج يوسف الأول، الذى حقق العديد من الانتصارات على الممالك المسيحية بمشاركة القوات المرينية، وحقق العديد من المكاسب، غير أن القوات الإسلامية تلقت هزيمة قوية فى معركة طريف سنة ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م. كما أن عصر السلطان محمد الخامس الذى عمل على استرداد العديد من المدن سقطت فى أيدى

النصارى، وعلى الرغم من أن عهده شهد فى بدايته العديد من الانقلابات السياسية ، إلا أنه بعد عودته للحكم للمرة الثانية تمكن من فرض هيبة الدولة وقوتها وسيطرتها على حدودها مع الممالك المسيحية ، وأعلن السلطان محمد الخامس الجهاد ، وحقق العديد من الانتصارات على أعداءه من حكام الممالك المسيحية .

أما المرحلة الثالثة فى تاريخ مملكة غرناطة فتبدأ مع مطلع القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى، والتى استشرى فيها الضعف على مستوى الحالة الداخلية فكان ذلك سببًا فى ضعفها خارجيًا ، واستمرت حتى بدأت المدن الإسلامية السقوط فى أيدى النصارى. وبينما كانت القوة الإسلامية المتمثلة فى مملكة غرناطة قد ضعفت ، وبدأت المدن الإسلامية تتهاوى فى السقوط ، كانت الممالك المسيحية تعمل على توحيد قوتها ، وتوجيه كل إمكاناتها للقضاء على الوجود الإسلامى فى بلاد الأندلس وطردهم نهائياً من بلاد الأندلس ، وقد استمر ذلك حتى كان سقوط مملكة غرناطة نهائيًا فى عام ٨٩٧هـ/١٤٩٢م .

كما أن مملكة غرناطة ازدهرت على الصعيد الحضارى وشهدت تقدمًا حضاريًا فى شتى المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية مما جعلها مملكة متميزة بين الممالك الإسلامية المعاصرة لها ، وإن اتفقت مع بعض الدول الإسلامية فى بعض نظم الحكم والإدارة التى تتعلق بالسلطان ومهامه وطريقة تنصيبه وطريقة ولاية العهد ، فالدولة النصرية فى غرناطة كان يتم فيها أخذ البيعة للسلطان عقب وفاة السلطان أو خلعه .

وكانت البيعة تؤخذ من العامة والعلماء والصلحاء والفقهاء ومن كبار رجال الدولة كما أنه فى مملكة بنى الأحمر نهج ملوكهم نهج ملوك الدول الإسلامية فى المشرق والمغرب فيما يتعلق فى ضرورة أخذ البيعة لولى الأمر الذى يتمثل فى شخص السلطان . وكانت البيعة للسلطان أو لولى الأمر تؤخذ بخط اليد فى كتاب يسمى كتاب البيعة ليكون

شاهد عليهم بما بايعوا عليه . كما اتخذ ملوك دولة بنى الأحمر لأنفسهم الألفاظ الملوكية الفخمة، التى تدل على سلطاتهم وهيبتهم كما أن بعضهم قد اتخذها من باب التشريف. مثال ذلك لقب أمير المؤمنين ولقب المنصور والناصر لدين الله والمستعين بالله ، والمؤيد والمنصور.

كما أن ملوك بنى الأحمر فى غرناطة نهجوا نهج سائر ملوك وسلاطين الدول الإسلامية فى المشرق والمغرب فيما يتعلق بمهام وسلطات السلاطين ، فقد كان نظام الحكم فى مملكة غرناطة يُعد من أنظمة الحكم المطلق الذى عملت على تركيز السلطة والمهام فى يد السلطان إلا فى بعض الحالات التى كانت هناك مهام كثيرة فى يد الوزير أو الحاجب. ومن المهام التى كانت مركزة فى يد السلطان تعين ولاة الأقاليم ، وتعيين أرباب الوظائف السامية ، وكذلك إصدار كافة الظهائر ، وختمها ، وكذلك تفقد المملكة ، وقيادة الجيش ، علاوة على المجالس الكثيرة الخاصة بالسلطان .

اختلفت الوزارة فى مفهومها فى بلاد الأندلس عن الوزارة فى بلاد المشرق الإسلامى ، فقد كانت الوزارة فى بلاد المشرق مركزة فى قبضة وزير واحد وقلما كان هناك وزيران أما فى بلاد الأندلس فكان لكل من نواحى الإدارة العامة وزير يختص بها . ونظرًا لما كان لمنصب الوزير من الأهمية وسلطة الوزير المهمة ، لذلك فإنه كانت هناك عدة شروط يجب أن تتوفر فيمن يتولى منصب الوزير منها أن يكون من أصحاب الوجاهة ،كما ينبغى أن يكون ممن لهم دراية بالقيادة العسكرية ، وملمًا بالأمور العسكرية ، نظرًا لطبيعة المملكة ووجودها كان بين الممالك المسيحية المتاخمة لها والمتربصة بها .كما أن غالبية وزراء بنى الأحمر كانوا من الأدباء المهرة فى الأدب والصياغة وغيرها من فنون الأدب .كما أن الوزير كان يفضل أن يكون من البيوتات العريقة فى مملكة غرناطة ، لما لمنصبه من هيبة ومكانة مهمة بين المواطنين . إلا أن الشروط السابقة لم تكن شروطًا

مطلقة فقد شهدت بعض هذه الشروط بعض الحالات التى لم تكن تنطبق عليها . كما اتخذ وزراء بنى الأحمر ألقابًا عديدة تدل فى غالبها على صلاحياتهم الكبيرة فى تلك الفترة. وكانت تعد الوزارة فى مملكة غرناطة من الوظائف ذات السلطات المختلفة ، فهو الذى يتلقى الأوامر من السلطان ويقوم بتنفيذها، وهو الوسيط بين أرباب الوظائف الأخرى والسلطان ، وكذلك الوسيط بين الخاصة والعامة فى المملكة. وشهدت مملكة غرناطة نوعًا من استبداد الوزراء واستئثارهم بإدارة كافة شئون المملكة ، والتعدى على صلاحيات كثيرة كان الملوك هم أصحاب الاختصاص فيها ،وقد أورد ابن الخطيب جملة من مظاهر استبداد الوزراء . أما الحجابة فى بلاد الأندلس فقد كانت تختلف عن الحجابة فى بلاد المشرق من المناصب الإدارية التى كانت معروفة فى بلاد المشرق الإسلامى ، كانت مهمته تتلخص فى إدخال الناس على الخليفة حسب مقامهم وأهمية أعمالهم ، أما فى بلاد الأندلس فكانت تختلف كثيرًا ، فالحاجب فى الأندلس كان أشبه ما يكون برئيس الوزراء .

كما أن مملكة غرناطة كان لها الكثير من التقدم فيما يتعلق بالحياة الحربية ، وكان موقع المملكة فى بلاد الأندلس ووجود الممالك المسيحية المتربصة بها من أهم العوامل التى جعلت مملكة غرناطة تهتم بجيشها وأسطولها وتعمل على الاهتمام المستمر بتطويره ، وتطوير أسلحته ، والعمل على توفير أحدث الأسلحة له . وقد كان الجيش الغرناطى يتألف من قوتين الأولى هى جيش غرناطة النظامى والثانى هو جيش مشيخة الغزاة فى بلاد الأندلس وهو جيش مغربى مرابط فى بلاد الأندلس للجهاد ، والعمل على التصدى لمحاولات القوى المسيحية القضاء على الوجود الإسلامى فى تلك البلاد .

الملاحق

ملحق رقم (١)

حدود الأندلس فى عصر الموحدين حتى قيام مملكة غرناطة



عن حسين مؤنس:أطلس تاريخ الإسلام ،ص١٧٥.

ملحق رقم (٢)

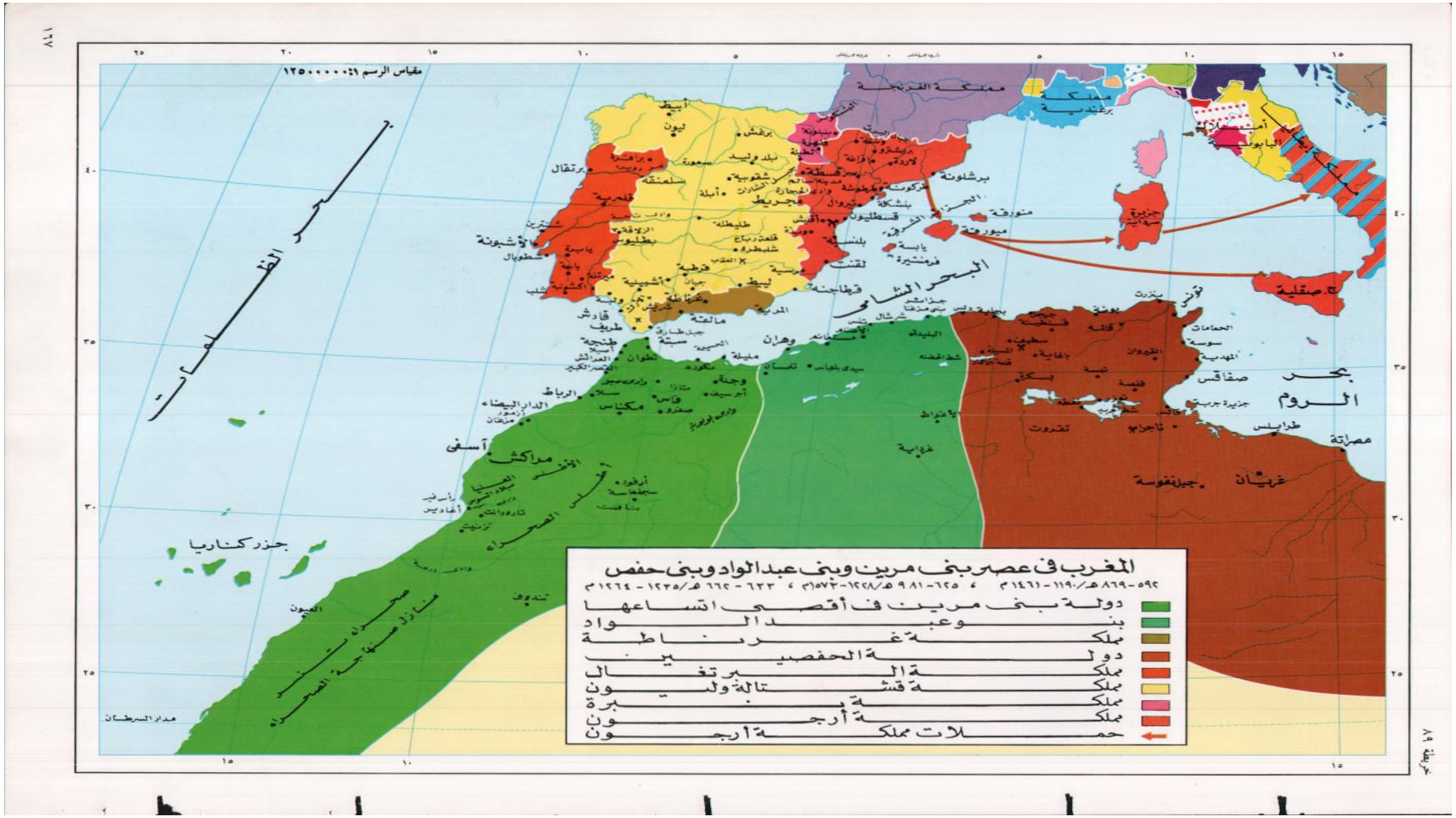
مملكة غرناطة



عن حسين مؤنس:أطلس تاريخ الإسلام ،ص١٧٦-١٧٧.

ملحق رقم (٣)

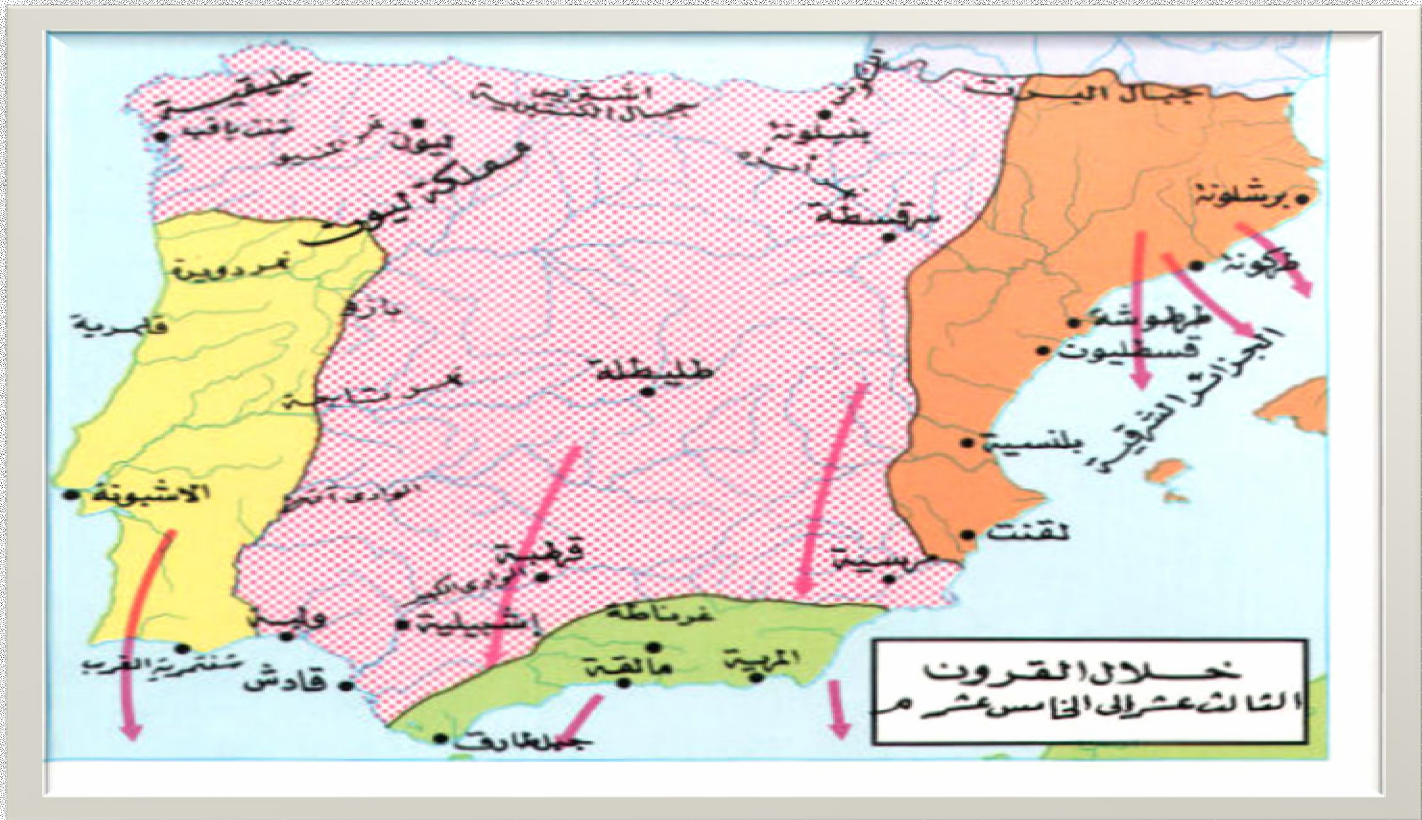
المغرب فى عصر بني مرين وبنى حفص وبنى عبد الواد



عن حسين مؤنس:أطلس تاريخ الإسلام ،ص ١٦٧.

ملحق رقم (٤)

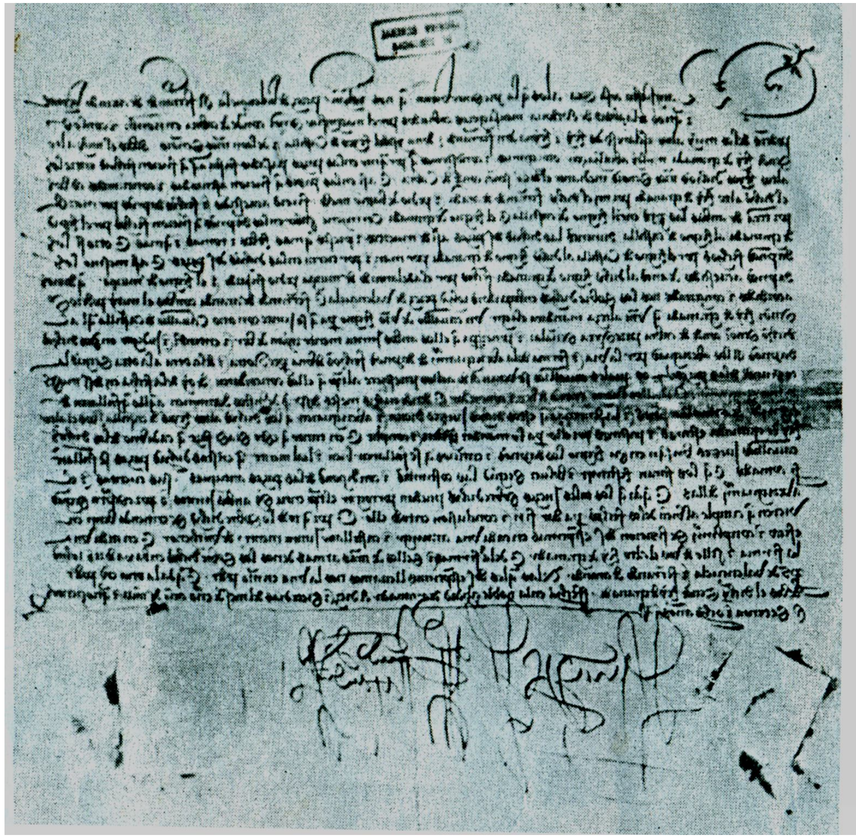
مراحل توسع الممالك المسيحية من القرن السابع حتى التاسع الهجرى /الثالث عشر حتى الخامس عشرالميلادى

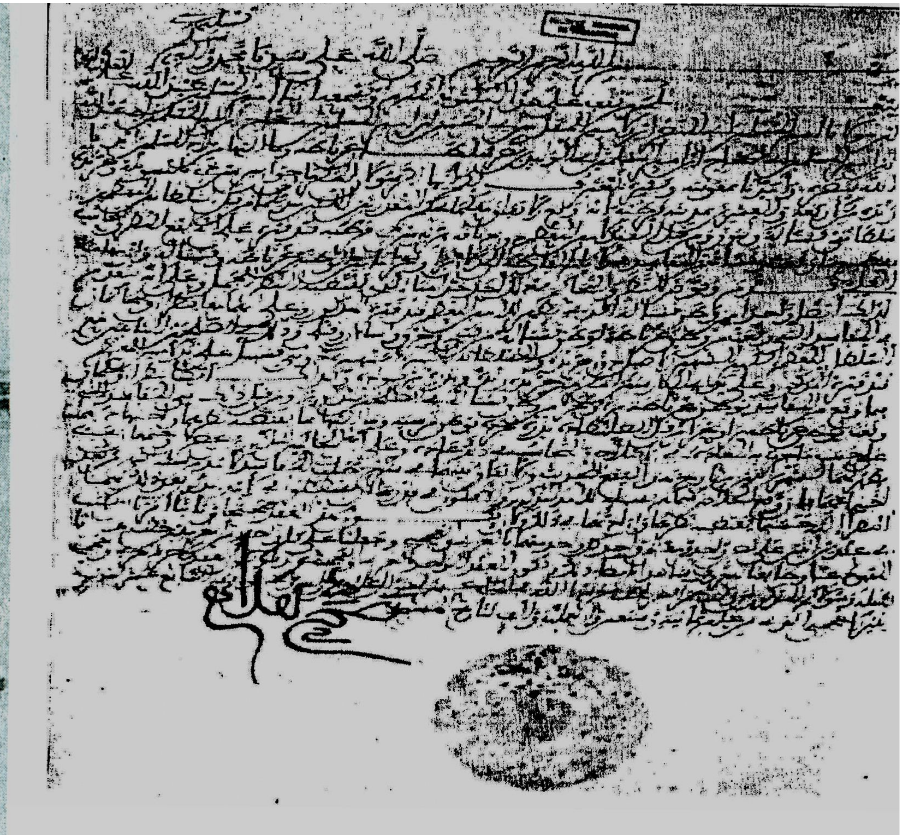


عن حسين مؤنس:أطلس تاريخ الإسلام ،ص١٧٦

ملحق رقم (٥)

معاهدة بين مملكة غرناطة ومملكة قشتالة





Gómes, E. Las Treguas Con Granada de 1475 Y 1478-(Al-Andalus Madrid Y Granada),Vol.XIX,1954.p360

ملحق رقم (٦)

معاهدة بين مملكة غرناطة ومملكة أراجون (٧٢٤هـ/١٣٢٤م)

7

Carta de Ismā'īl I ibn Faraŷ ibn Naṣr de Granada a Jaime II de Aragón, en la que contesta a ciertas reclamaciones y exige la libertad previa de cautivos moros para soltar a los cristianos.

Principios de *ŷumādà* segundo de 724 = mayo-junio de 1324.

السلطان الاجل المرفع المعظم الموقر الاشهر الاوفى المشكور المبرور الاخلص دون جقمى سلطان بلنسية وملك ارغون وقرصغة وقمط برجلونة وصل الله عزته بتقواه واسعده بطاعته ورضاه حافظ عهده العارف بوفائه الشاكر لمذاهبه فى الصحبة وحسن مقاصده ..... الامير عبد الله اسماعيل بن فرج بن نصر كتبناه اليكم من حمراء غرناطة حرسها الله عن الخير الاكمل واليسر الشمل والحمد لله كثيرا وجانبكم مرفع مبرور وقصدكم فى الوفاء وحسن الصحبة مستحسن مشكور ومكانكم فى سلاطين النصرانية معروف مشهور والى هذا فقد وصلنا كتابكم المبرور صحبة رسولكم الينا غليم ..... وقد استوفينا ما ذكرتم وحضر رسولكم بين يدينا فقرر من مودتكم لنا وخلوص صحبتكم لجانبنا وصدق وفائكم ما هو المعلوم منكم و؟المشهور؟ عنكم ونحن ..... لكم احسن الشكر وما عندنا الا الاخلاص فى صحبتكم والحفظ لعهدكم والوفاء بما عاهدناكم ..... ان على ما عليه عاقدناكم الى اخر أمده فكل من صالحناه ما وجد عندنا الا الوفاء ما ..... ولما وقفنا على كتابكم وطولعنا بما تضمنه من الشكايات رأينا ان نجيبكم عنها فى هذا المكتوب بما تقفون عليه فاول شكاية ذكرتموها فى كتابكم انه بقى لكم النصرى الذين أُخِذوا ببلس اثنان وطلبتم توجيههما اليكم ونحن قد وجهنا اليكم اصحابهم الثلاثة مع شمون طبيه وذكرتم [انه ابو] بكر من اهل بلِّس اخذهم وما اخذهم ابو بكر وانما اخذهم حواسون كانوا يفسدون بتلك الارض وهاولاء الحواسون ذبحوا النصرانيين الذين ذكرتم ولما علمنا ذلك امرنا باخذهم وقُتِلوا بالسيف بحضرة غرناطة وذكرتم ان نصرانيين اخِذا بارض قرطاجنة وهما من ارضكم وتعلمون ان النصرى لا يُعْلم منهم من هو من ارض الصلح ولا من ارض النفاق وانما يتميزون بالارض فمن أُخذ فى ارض الصلح فيحكم بحكم ارض الصلح ومن أُخذ بأرض النفاق فحكمه حكم ارض النفاق كان من حيث كان فلا حجة عليه فى هذه الحال ولاكن مذ كتبتم فى حقهم فنحن نقضى حاجتكم ونسرحهم اذا سرحتم لنا من عندكم من المسلمين الماخوذين فى الصلح وذكرتم ان منول دى نُغرونى الجنوى اخذ سلعا لبعض ناسكم وباعها بالمرية وتعلمون ان منول المذكور تاجر متردد الى بلادنا معروف العين فلا يلزمنا ان نبحث كما يسوقه الى ارضنا ومع ذلك فما باع تلك السلع الا من نصرى من اهل بلادكم فابحثوا عنهم وانصفوا منهم ان ظهر لكم ذلك فنحن ما علمنا ..... وصوله انه اضر بناسكم ..... غلَيْم وذكرتم انه اخذ لاهل ارضكم غيلوط كان فيه نصرى حُملوا الى المرية وهذا الغيلوط لقته اجفاننا فحرث قدامهم وهرب ناسه حتى اخذ منهم من اخذ ما بين ارض المسلمين وارض النصرى فظهر من هروبهم وحالهم انهم من ارض النفاق فثقفوا بهذا السبب فاما مذ كتبتم فى شانهم فنحن ننعم بتسريحهم اذا سرحتم من لنا عندكم من المسلمين الماخوذين فى الصلح هذه الشكايات التى كتبتم فى شانها قد اجبناكم عنها بما عندنا وتعلمون انتم ايها السلطان اننا حفظنا عهدكم ما لم يحفظه

احد وعملنا فى ضبطه ما لم يعمل قبل فى صلحم حتى انتهينا ان كتبنا الى سلطان تلمسان فى شان نصرى اخذتهم اجفانه فى البحر وادعوا انهم كانوا يقصدون بلادنا واعدنا اليه الكتب مرة بعد مرة حتى سرحهم وردهم الينا وامرنا بسراحهم وقد توجهوا اليكم فى هذه الايام الفارطة فسلوهم فهم يخبرونكم ورسولكم غليم المذكور كان بارض صاحب تلمسان وعرف صحة الخبر ومع ذلك فلنا عندكم جملة الشكايات يصلكم تفسيرها مع ثقتنا الواصل اليكم بهذا يحيى بن ذنون فنريد منكم ايها السلطان ان تعملوا فيها ما هو المضمون من وفايكم ..... بالخلاص منها على ما يقتضيه الوفاء الذى شاع عنكم وعرفتم ..... صبرنا على هذه الحال الا لثقتنا انكم تعملون فى ذلك ..... مثلكم من كبار السلاطين ووجوه الملوك وهذا الشخص الذى ارسلتم الينا غليم سجنوية المذكور ما ظهر منه الا ما شكرناه من حسن القول وجميل المحاولة فى ..... التى وجهتموه فيها فاذا وجهتم الينا فيما بعد فوجهوه او من يكون مثله واما الاخر الذى وصل معه بيره رُبرت فظهرت منه امور منكرة واخذ فى احوال لا تبقى معها مودة فانه ترك ما توجه برسمه واشتغل بالكذب وطلب ما لا يجب ..... وجهتموه برسمه ..... فى جميع افعاله واعلموا اننا ما عندنا الا الثبات على عهدكم والحفظ له اذا انصفتمونا من الشكايات وخلصتم هذه الحال حتى تنبنى الامور على صفاء طريقة و ..... حال والله يصل عزتكم بتقواه ويسعدكم بطاعته ورضاه والسلام يراجع سلامكم كثيرا اثيرا كُتب فى غرة جمدى الاخرى عام اربعة وعشرين وسبعماية

صح هذا انتهى

Al egregio, excelso, magnífico, venerado, de glorioso renombre, fidelísimo, digno de gratitud, bien reputado, de elevados sentimientos, el Monarca D. Jaime, Soberano de Valencia, Rey de Aragón y Córcega y Conde de Barcelona. ¡Dios haga inextinguible su grandeza, por abrigar el santo temor a su divino poder, y lo colme de dichas por su acatamiento a la divina voluntad y la complacencia con que acoja sus divinas decisiones!

El que le guarda inquebrantable fidelidad, el conocedor de su lealtad, el que agradece su proceder ajustado a las exigencias de la amistad y sus excelentes propósitos ..... el Príncipe, siervo de Dios, Ismā'il, hijo de Faraŷ, hijo de Naṣr.

Os escribimos la presente desde la Alhambra de Granada — ¡Dios vele por ella! — en ocasión en que, dando muchas gracias a Dios, disfrutamos de los bienes más acabados y las dichas más completas. Es vuestra Majestad realzada y altamente reputada, vuestros propósitos, inspirados en la más pura lealtad, y vuestra excelente amistad son muy aplaudidos y agradecidos, y el rango que ocupáis entre los reyes de la cristiandad es conocido y notorio.

Después de lo dicho, hemos de manifestaros que ha llegado a Nos vuestra estimada carta, juntamente con vuestro mensajero Guillem ..... que nos habéis enviado, y estamos totalmente enterados de cuanto manifestáis. Presente ante Nos vuestro emisario, ha confirmado, a propósito del amor que nos profesáis, de la sinceridad de vuestra amistad hacia Nos y de vuestra acrisolada fidelidad, lo que de Vos es bien sabido y notorio.

Nosotros ..... a Vos con el más profundo agradecimiento, porque en Nos nada hay que no sea sinceridad en la amistad que con Vos media, completa lealtad a la alianza

ملحق رقم (٧)

نص بيعة السلطان محمد الخامس

ولما توفى السلطان أبو الحجاج رحمه الله، ووُلِّى ولده رضى الله عنه ، الأمر من بعده ، كان مما صدر عنى البيعة المنعقدة عليه من أهل الحضرة العليّة والإيالة الكريمة النصرية نصًّا بعد الفاتحة .

الحمد لله الذى جلَّ شاناً ، وعزَّ سلطاناً ، وأقام على ربوبيته الواجبة فى كل كل شىءٍ خلقه برهاناً ، الواجب الوجود ضرورةً ، إذ كان وجودُ ما سواه إمكاناً ، الحىُّ القيُّوم حياة أبديَّة ، منزهة عن الابتداءِ والانتهاءِ ، فلا تعرف وقتاً ، ولا تستدعى زماناً ، العليم الذى يعلم السرَّ وأَخْفَى ، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماءِ ، إلا أحاط بها علما ، وأدركها عِياناً ، القدير الذى ألقت الموجودات كلها إلى عظمته ، يد الخضوع إسلاماً[1] له وإذعاناً ، المريد الذى بيده تصريف الأقدار ، واختلاف الليل والنهار ، فإن مَنَع ، منع عدلا ، وإن مَنَح ، منح إحساناً ، شَهِد[تدوّل الملك][2] ، بزمام ملكه ، ودلَّ حدوث ما سواه على قِدَمه ، وأثنت أَلْسِنة الحىّ والجماد على مواهبه وقَسَمه ، وفاض على عوالم[3] السما والأرض ، بحر جوده العميم النوال ، من قبل سؤاله[4] ، وكرمه ، فما من شئ إلَّا يسبِّح بحمده ، ويُثْنى على نعمه سرًّا وإعلاماً ، فهو الله الذى لا إلَه إلا هو ، ليس فى الوجود إلَّا فعله ، ألا لَه الخلق والأمر ، وإليه يرجع الأَمرُ كله ، وسع الأكوان على تباينها فضلُه ، وقدّر المواهب والمقاسم عدله ، منعاً ومنحاً[5] ،

وزيادة ونقصاناً . والحمد لله الذى بيده الاختراع والإنشاء ، [ملك الملوك][1] :
يؤتى الملك من يشا ، [ويعزُّ من يشا ويذلُّ من يشا][2] ، سبق فى مكنون غيبه القضا [وخفيت عن خلقه الأسباب ، وعميت عليهم الأنباءُ][3] وعجزت عقولهم عن أن تَسْتَكشف[4] منها كنها ، أو تدرك منها بياناً . والحمد لله الذى رفع قبّة السماء ما اتخذ لها عماداً ، وجعل الأرض فراشاً ومهاداً ، وخلق الجبال الراسية أوتاداً ، ورتَّب أوضاعها أجناساً مُتَفاضلة ، وأنواعاً مُتَباينة مُتَقابلة[5] : فحيواناً ونباتاً وجماداً ، وأقام فيها ، على ربوبيّته[6] حكمة الإبداع والآثار[7] ، باهرة الشعاع وإشهاراً ، وجعل الليل والنهار ، والشمس والقمر حِسْباناً ، وقدر لسياسة سياجاً لعالم الإنسان[8] ، يضم منه ما انتشر ، ويطوى من تعديه ما نُشر ، تحمله على الآداب التى ترشده إذا ضلَّ ، وتقيمه إذا عثر ، وتجبره على أن تلتزم السُّنن ، ويتبع الأثر ، لطفاً منه شمل البشر وحناناً . ولما عَمَر الأرض بهذا الجنس الذى فضَّله وشرفه ، ووهب له العقل الذى يفكر به فى حكمته حتى عرفه ، وبما يجب لربوبيته الواجبة وصفه ، جعلهم درجات ، بعضها فوق بعض ، فقراً وغِناً ، وطاعة وعصياناً ، واختار منهم سَفَرَةَ الوحى ، وحَمَلَةَ الآيات ، وأرسل بهم الرسل بالدلايل[9] والمعجزات ، وعرفهم بما كلفهم من الأعمال المفترضات ، يجزى الذين أساءُوا بما عملوا ، و ليجزى الذين أَحْسَنوا بالحُسْنى ، [يوم اختبار

الأعمال ، واعتبار الحسنات](١) ، ونصب العدل والمُجازات ، فى يوم العرض عليه قسطاساً وميزاناً .

نحمده ، وله الحمد فى الأُولى والآخرة ، ونثنى على مواهبه الجمة ، وآلايه الوافرة ، ونمدّ يد الضراعة ، فى موقف الرجا والطاعة ، إلى المزيد من مِنَنه الهامية الهامرة(٢) ، ونسله دوام ألطافه الخافية ، وعصمته الظاهرة ، واتصال نعمه ، التى لا تزال نتعرفها ، مثنًى ووِحْدانا ، ونشهد أنه الله الذى لا إلّه إلا هو ، وحده لا شريك له ، شهادة نجدها فى المعاد عُدَّه وافية ، ووسيلة بالأَعمال الصالحة إليه راقية ، وذخيرة باقية ، ونوراً يسعى بين أيدينا ، ويكون على الرضا والقبول فينا عنواناً . ونشهد أن سيدنا ومولانا محمد النبى العربى القرشى الهاشمى ، عبده ورسوله الذى اصطفاه واختاره ، ورفع بين النبيّين والمرسلين مقداره ، وطهَّر قلبه ، وقدس أسراره ، وبلغه من رضاه اختياره ، وأعطاه لواءَ الشفاعة ، يقفو آدم ومن بعده من الأَنبياءِ الكرام(٣) آثاره ، وجعله أقرب الرسل مكانةً ، وأرفعهم مكاناً . رسول الرحمة ، ونور الظلمة ، وإمام الرُّسُل الائمة ، الذى جمع له بين مزية السبق ، ومزية التتمة ، وجعل طاعته ، من العذاب(٤) المقيم أماناً ، صاحب الشفاعة التى تُؤَمَّل ، والوسيلة التى بها إلى الله يُتَوسَّل ، والدرجة التى لم يؤتها الملك المُقرَّب ، ولا النبى المُرْسل ، والرتبة التى لم يعطها الله سواه . إنساناً انتخبه من أشرف العرب أُما وأَباً ، وأزكى البرية طينة ، وأرفعها نسباً ، وابتعثه إلى كافة الخلق ، عجماً وعرباً ، وملأ بنور دعوته البسيطة جنوباً وشما لاً ، ومشرقاً ومغرباً ، وأنزل عليه كتابه الذى آمنت به الجنُّ لمَّا سمعته ، وقالوا(٥) ، إنا سمعنا قرآناً

عجباً ، تماماً على الذى أحسن ، وتفصيلًا لكل شيءٍ وتبياناً ، فَصَدع صلى الله عليه وسلم بأمر من اختار ذاته الطاهرة ، واصطفاها ، وأدى أمانة الله ووفَّاها ، ورأى الخلايق على شفا المتالف فتلافاها ، وتتبع أدواء الضلال فشفَّاها ، ومحا معالم الجهل وعفَّاها ، وشاد الحق للخلق(١) بنياناً ، مؤيداً بالمعجزات ، التى حُجَجها تقبل وتسلِّم ، فمن جِذْع لفراقه يتألم(٢) ، وجماد بتصديق نبوَّته يتكلم ، وجيش شكا له الظمأ ، ففجر لريِّه المَعِين منه بناناً . وأى معجزة ككتاب الله ، الذى لا تنقضى عجايبه ، فهو اليمُّ ، والعلوم النافعة كلها مذانِبُه ، وأُفق الحق الذى تهدى فى ظلمات البر والبحر كواكبه ، والحجة البالغة التى أصبحت بين الحق والباطل فُرْقانا ، فأشرقت الأرض بنور ربها وآياته ، وتمت كلمة الله صدقاً وعدلًا ، لا مبدل لكلماته ، وبلغ ملك أُمته ، ما زَوَى له من أقطار المعمور وجهاته ، حتى عَمَر من أكناف البسيطة ، وأرياف البحار المحيطة وِهاداً وكُثْباناً ، ونقلت كنوز كسرى بعزِّ دعوته الغالبة [وظفرت بفلح الحسام عزايمها المطالبة](٣) ، وأصبح إيوان فارس ، مجرّ رماح العرب العارية ، وقذفت جنود قيصر من دوايلها بالشهب الثاقبة ، حتى فرّ عن مَدْرته الطيِّبة آيبا بالصفقة الخايبة ، وخلصت إلى فسطاط مصر بكتايبها المتعاقبة ، فلا تسمع الآذان فى مقاماتهم إلا إقامة وأذاناً ، ولا دليل أظهر من هذا القطر الأندلسى الغَرِيب ، الذى خاضت إليه بسيوفها أثْباج البحار على بعد المراحل ، ونزوح الديار ، وتكاثف العمالات ، واختلاف الأمصار ، ومنقطع العمارة بأقصى الشمال ومحط السِّفار ، طلعت عليه كلمة الله طلوع النهار ، واسْتَوْطَنته قبايل العرب الأحرار ، وأرغمت به أُنُوف الكفار ، ضِراباً سبيل الله وطعاناً . ولما استقام الدين ، وتمَّم معالم الإيمان الرسول الأمين ، وظهر الحق المبين ، وراق من وجه المِلَّة الحنيفية السمحة الجبين ، وأخذ المسالك والمآخذ الإفصاح

والتبيين، وتقررت[1] المستندات المعتمدات سنَّة، وقرأنا أسرة الوحى بالرحلة عن هذه الدار، والانتقال إلى محل الكرامة، ودار القرار، وخُيِّر الملك، فاختار الرفيق الأعلى، موفقاً إلى أكرم الاختيار، وجد صحبه رضى الله عنهم، فى الاستخلاف بعده والإيثار، حُجَجاً مشرقة الأنوار، أطلقت بالحق يداً[2] وأنطقت[3] بالصدق لساناً، صلى الله عليه، وعلى آله وصحابته وأُسرته الطاهرة، وعصابته وأصهاره وقرابته، الذى كانوا فى معاضدته إخواناً، وعلى إعلاء أمره الحق أعواناً، نجومُ الملة وأقمارُها، وغيوثُها الهامية وبحورُها، وسيوف الله التى لا تنبو شِفارُها، وأعلام الهدى التى لا تبلى آثارها، ودعايم الدين التى وقفت على البر والتقوى[4] أركاناً، وحيّا الله وجوه حى الأنصار، بالنعم والنُّضرة، أُولى البأس عند الحفيظة، والعفو عند المقدرة، الراضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، ويذهبون برسول الله، فنعمت المنقبة والأثرة، الحائزون ببيعة الرضوان، فضلًا من الله ورِضواناً، ووزراؤه وظهراؤه فى كل أمر، وخالصةً يوم أُحد وبَدْر، لم يزالوا صَدْراً فى كل قلب، وقلباً فى كل صدر، [يعدونه كل حمد، ويصلُّون بنفوسهم فى كل سرّ وجهر][6] ويعملون فى إعلاء دينه. بيضاً عضابا، وسمراً لُدانًا، صلاة لا تزال سحايبها ثرَّة، وتحية دائمة مستمرة، ما لهجت الألسن بثنايهم، ووقفت المفاخر على عَلْيائهم، وتعلمت المواهب عن آلايهم، وقصرت المحامد على مُسَمّياتهم وأسمايهم، وكان حثهم على الفوز بالجنة ضماناً. ونسألك اللهم لهذا الأمر النَّصْر الذى سببُه بسببهم موصول، وهم لفروعه السامية أُصول، فيالها من نصول خلَّفتها نصول أنجزت وعد النصر، وهو ممطول، وأحيت

القطر الذى انتهى سبيل الفتح الأول إلى قاصيته(١)،وأجيلت قِداح الفوز بالدعوة الحنيفية على الإسلام فأخذ الإسلام بناصيته ، كان من فتحه الأول ما قد عُلم حسبما سُطر(٢) ورُسم ، وأنَّ موسى بن نصير وفتاه،حلَّ من فُرْضَة مجازه ما حلَّ موسى وفتاه ، وحل الإسلام منه دار قرار ، وخطَّة حقيقة(٣) بارتياد واختيار ، وبلد لا يُحصى خيرُه(٤) ، ولا يفضله بشئ من المزية ما عدى الحرمين غيره ، وامتدته الأيام حتى تأنَّس العدو لروعته ، وخف عليه ما كان من صَرْعته ، وقدح فأوْرَى ، وأعضل داؤه فاستَشْرى ، وصارت الصغرى ، التى كانت الكبرى. فلولا أن الله دعم الدين منهم بالعمد الوثيقة حماة الحقيقة ، وأيمة الخليقة ، وسلالة مُفْتَتحى اليمامة ، ومُقْتَحمى الحديقة ، لأجهز النصل ، وأجتث من الدين الأصل. لاكنهم انتدبوا إلى إمساك الدين بها انتداباً ، ووصلوا بالإسلام أسباباً ، وتناولها منهم صَقْرُ قَبِيل الخزرج ، ذو الحسام المضرَّج ، والثناء المؤرَّج ، أبو عبد الله محمد بن يوسف بن نصر ، أمير المسلمين المنتدب لإقامة سنة سيد المرسلين، قدوة الملوك المجاهدين ، نَضَّر الله وجهه ، وتقبل جهاده، وشكر دفاعه ، عن حوزة الإسلام وبلاده. فأقشعت الظلمة ، وتماسكت الأمة ، وكفَّ العدو وأَقْصَر ، ورأى الإسلام بمن استنصر ، واستبصر فى الطاعة من استبصر ، وهبّت [بطاعته لله](٥) العزايم ، وكرّت(٦) على العدو الهزايم ، وتوارثوا ملكها ولداً عن أب ، مستندين إلى عدل وبذل(٧) وبسالة وجلالة وحَسَب ، تتضح فى أفق الجلال نجوم سيرهم هادية للسّايرين ، وتفرّق من سطوتهم فى الله أُسْد

العرين ، إلى أن قام بالأمر وُسْطَى سلكهم ، وبركة مُلكهم ، الخليفة [الواجبة طاعته على الخلق][1] ، [الشهير الجلالة والبسالة][2] ، فى الغرب والشرق ، أمير المسلمين بواجب الحق ، صاحب أذيال العفاف والطّهارة ، السعيد الإيالة[3] والإمارة ، البعيد الغارة ، مَنْ ذَعِر العدوّ لبارق حُسامه ، وذَخَر الفتح السنى[4] ، لأيامه ، صَدْرُ الملوك المجاهدين ، وكبير الخلفاء العادلين ، البعيد المدا فى حماية الدين ، السعيد ، الشهيد أبو الوليد ، ابن المولى الهمام ، الأوحد الرفيع الممجّد ، الطاهر الظاهر الأعلى ، الرييس الكبير الجليل ، المقدس الأرضى ، أبى سعيد بن نصر ، فأحيا رحمه الله ، معالم الكتاب والسُّنَّة ، وجلى بنوره غياهب الدّجنّة ، وأعزّ الإسلام وحماه ، ورمى ثغر الكفر فأصْماه ، قدّس الله روحه الطيّب ، وسقى لحده من الرحمة الغمام الصَّيِّب ، وأورث المُلْك الجهادى من ولده خير مَلِك قُبلت منه كف ، واستدار به موكب للجهاد ملتف ، وشمخ بخدمته أنْف ، وسما إلى مشاهدته طَرْف ، وتأرَّج من ذكره عَرْف ، وحدى إلى بابه حرف ، مولانا الخليفة الإمام ، الملك الهمام ، من أشرق بنور إيالته الإسلام ، وتشرفت بوجوده الليالى والأيام ، بَدْرُ الملك[5] ، وشمسُه ، وسرُّ الزمان الذى قصر عن يومه أمسه ، الذى شُهر عدله ، وبَهر[6] فضله ، وظهرت عليه عناية ربه ، وكان المصنوع له فى سلمه وحربه ، مولانا أمير المسلمين ، وقدوة الملوك المجاهدين ، والأئمة العادلين ، السعيد الشهيد [الطاهر الظاهر الأوحد الهمام الخليفة الإمام][7] ، أبو الحجاج رفع الله درجته فى أوليائه ، وحشره مع الذين أنعم الله عليهم من أنبيائه وشهدائه .

فوضحت المسالك وبانت ، وأشرقت المعاهد وازدانت ، وشمل الصُّنع الإلهى ، واللُّطف الخفىّ ، أقطار هذه الأُمة حيث كانت . ولما اختار الله له ما عنده ، وبلغ الأَجل(١) الذى قدره سبحانه لحياته وحدَّه ، وقبضه إليه مطمئناً ، مستغفراً من ذنبه ، فى الحالة التى أقرب ما يكون العبد فيها من ربّه ، كأنما تـأهب للشهادة ، فاختار زمانها ومكانها ، وطهَّر بالصوم(٢) ، نفسه ، التى كرَّم الله شأنُها ، وطيّب ريحها(٣) وريحانها ، فوقفت إزاء أَرباب الشورى التى تصح الإمامة باتفاقها ، وتنعقد بعقد ميثاقها ، من أعلام العلم ، بقاعدة ملكه غرناطة ، حرسها الله التى غيرُها لها تبع ، وحماة الإسلام الذين فى آرائهم للدين والدنيا(٤) منتفع ، وخلَّص الثقات ، ووجوه الطبقات على مبايعة وارث(٥) ملكه ، بحقه الحايز فى ميـدان الكمال ، وإحراز ما للإمامة من الشروط والخِلال ، خَصْل سبقه ، كبير ولده ، وسابق أمده(٦) ، ووارث ملكه ، ووُسْطَى سِلْكه ، وعماد فسطاطه ، [وبدر الهالة من بِساطه](٧) مولانا ، قمر العليا ، ودرَّة الخُلفا ، وفرع الشجرة الشمَّا ، التى أَصلها ثابت ، وفرعها فى السماءِ ، الذى ظهرت عليه مخايل الملك ، ناشياً ووليداً ، واستشعرت الأَقطار به ، وهو فى المهد أماناً وتمهيداً ، واستبشر الدين الحنيف ، فأَتلَع جيداً ، واستـأْنف شباباً جديداً ، ناصر الحق ، وغياث الخلق ، الذى تميز بالسكينة والوقار ، والحياءِ المنسدل الأَستار ، والبسالة المرهوبة الشِّفار ، والجود المنسكب الامطار ، والعدل المشرق الأَنوار ، وجمع الله فيه شروط الملك على الاختيار ، مولانا ، وعُمْدة ديننا ودنيانا ، السلطان الفاضل ، والإمام العادل ، والهمام الباسل ،

الكريم الشمايل ، شمس الملك وبدره ، وعين الزمان وصدره ، [أمير المسلمين ، وقرة عين المؤمنين ، أبو عبد الله](١) ، وصل الله أسباب سَعْده ، كما حلَّى أَجْياد المنابر بالدعا لمجده ، وجعل جنود السماء من جنده ، ونصره بالنصر العزيز ، فما النصر إلا من عنده . ورأوا أن قد ظفرت [بعروة الحق](٢) أيديهم ، وأمن فى ظل الله رايِحُهم وغاديهم ، ودلت على حسن الخواتم مباديهم ، فبادروا وانثالوا ، وتَبَخْتَروا فى ملابس الأَمن واخْتالوا ، وهبّوا إلى بيعته ، تطيرهم أجنحة السرور ، ويعلن انطلاق وجوههم بانشراح الصدور . واجتمع منهم طوايف الخاصة والجمهور ، ما بين الشريف والمشروف ، والروسا أُولى المنصب المعروف ، وحملة العلم وحملة السيوف ، والأُمنا ومن لديهم من الأُلوف ، وساير الكافة ، أُولى البدار لمثلها والخُفُوف . فعقدوا له البيعة الوثيقة الأَساس ، السعيدة بفضل الله ، على الناس ، البرى عقدها من الارتياب والالتباس ، الحايزة شروط الكمال ، الماحية بنور البيان ظلم الإشكال ، الضمينة حُسْنَ العقبى ونُجْح المآل ، على ما بويع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن له من الصحابة والآل ، وعلى السمع والطاعة وملازمة السُّنة والجماعة ، فأَيديهم بالسلم والحرب رد ليده ، وطاعتهم إليه خالصة فى يومه وغده ، وأهواؤهم متفقة حالى الشدة والرخاء ، وعهودهم محفوظة على تداول السرَّاء والضراء . أشهدوا عليها الله ، وكَفَى به شهيداً ، وأعطوا صفقات إيمانهم تثبيتاً للوفاء بها وتأْكيداً ، وجعلوا منها فى أعناقهم ميثاقاً وثيقاً وعهداً شديداً . والله عز وجل يقول ، فمن نَكَثَ فإنما ينكث على نفسه ، ومن أَوْفَى بما عاهد عليه الله فسنُوتيه أجراً عظيماً . ومن أصدق من الله وعداً أو وعيداً . وهم قد بسطوا أيديهم يَسْتَنْزلون رحمة الله بالإخلاص والإنابة ، وصرفوا وجوههم إلى من أمرهم بالدعاء ووعدهم بالإجابة . يسأَلون له خير ما يقضيه ، والسير على

ما يرضيه ، اللهم بابك عند تقلب الأحوال عَرَفْنا ،ومن بحر نعمك الكريمة اغْتَرَفنا ، وعفوك ستر عيوننا كلما اجْتَرحنا السيئات واقترفنا . من فضلك أَغْنَيْتَنا ، وبعينك التى لا تنام حَرَسْتنا وحميتنا ، فانصر حَيَّنا ، وارحم مَيْتنا وأوزعنا شكر ما أوليتنا ، واجعل لنا الخير والخيرة فيما إليه هديتنا . اللهم إن قطرنا من مادة الإسلام بعيد ، وقد أحدق بنا بحر زاخر ، وعدوّ شديد . وفينا أَيِّم وضعيف ، وهَرِم ووليد ، وأنت مولانا ونحن عبيد ، اللهم من بايعناه فى هذا العقد ، فأسعدنا بمبايعته وطاعته ، وكن له حيث لا يكون لنفسه ، بعد استنفاد جهده فى التحفظ واستطاعته ، وكُفَّ عنا كَفَّ عدوك وعدوه ، كلما هبَّت به رياح طماعته ، يامن يفرده العبد بضراعته ، ونعوذ بحفظه من إضاعته ، اللهم أَدِّ عنا حقَّه . فإنا لا نقوى على أدايه ،وتولّ عنا شكر سيرته(١) وما حمدنا من سِيرَ آبايه ، واحمله من توفيقك على سَوايِه ، اللهم إنا إليه ناظرون ، وعن أمره صادرون ، ولإنجاز وعده فى نَصْر من ينصرك منتظرون ، فأَعِنْه على ما قلدته ، وأنجز لديننا على يديه ، بما وعدته . فما فقد شيئاً من وجَدَك ، ولا خاب من قَصَدك ، ولا ضَلَّ من اعتمدك، آمين آمين ، يا رب العالمين . وكتب الملأُ المذكورن أسماءهم بخطوط أيديهم فى هذا الكتاب ، شاهدة عليهم بما التزموه ديناً ودُنْيا ، وسلكوا منه سبيلًا مُبيناً . فى الثانى والعشرين لشوال من عام خمسة وخمسين وسبعماية .

عن ابن الخطيب: ريحانة الكتاب ،ج١،ص ص١١٦-١٢٦

ملحق رقم (٨)

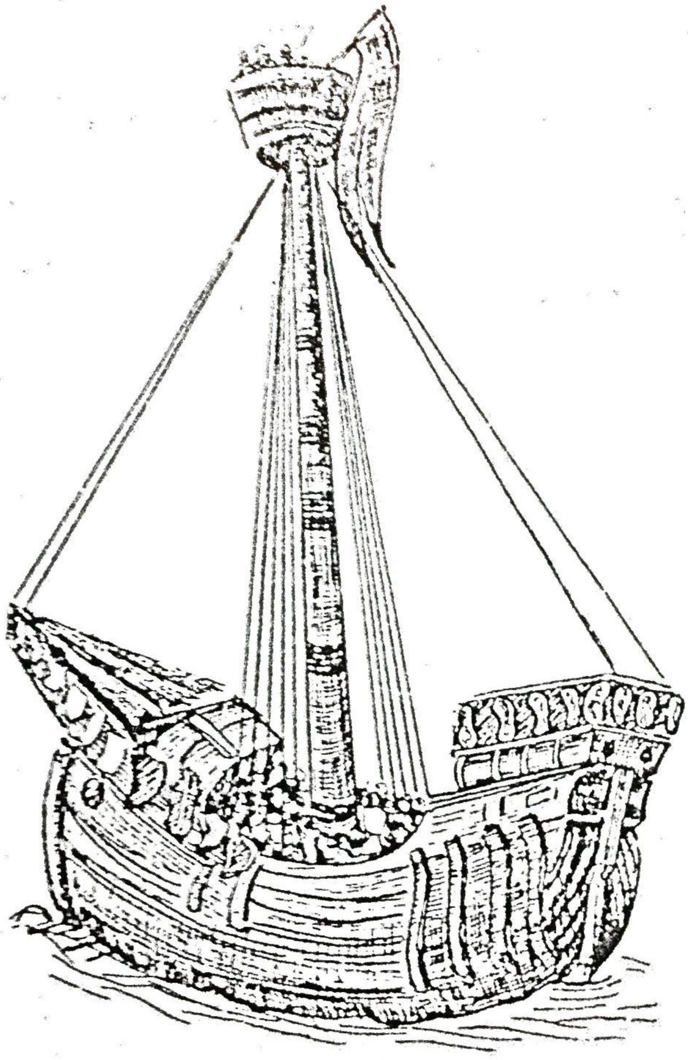
موافقة خطية لأبى عبد الله محمد أخر ملوك غرناطة على ترك الأندلس مؤرخة بتاريخ ٢٣ رمضان ٨٩٨هـ / ٨يوليو١٤٩٣م



عن عبد الرحمن حجى: التاريخ الأندلسي ،ص ٥٥٦.

ملحق رقم(٩)

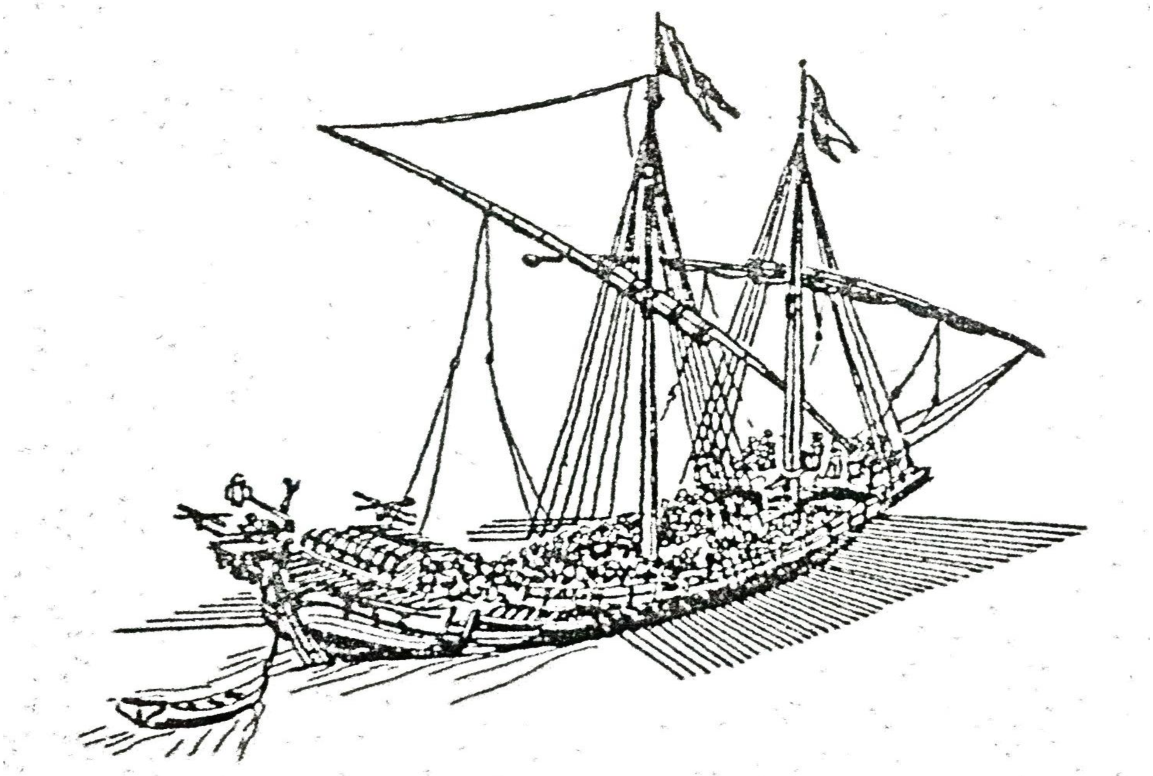
حراقة من حراريق الأسطول الأندلسى



عن: وفيق بركات، فن الحرب البحرية فى التاريخ العربى الأسلامى، حلب، معهد التراث العلمى العربى، ١٩٩٥م،ص١٤٠.

ملحق رقم (١٠)

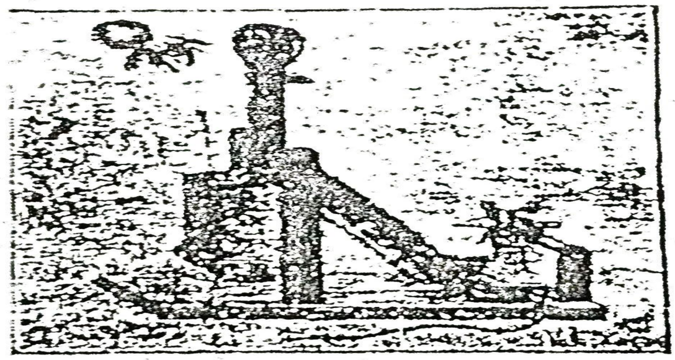
شانية من شوانى الأسطول الأندلسى



عن: وفيق بركات، فن الحرب الحرية فى التاريخ العربى الأسلامى،ص١٥٠.

ملحق رقم(١١)

من أسلحة الجيش الغرناطى منجنيق لرمى النفط



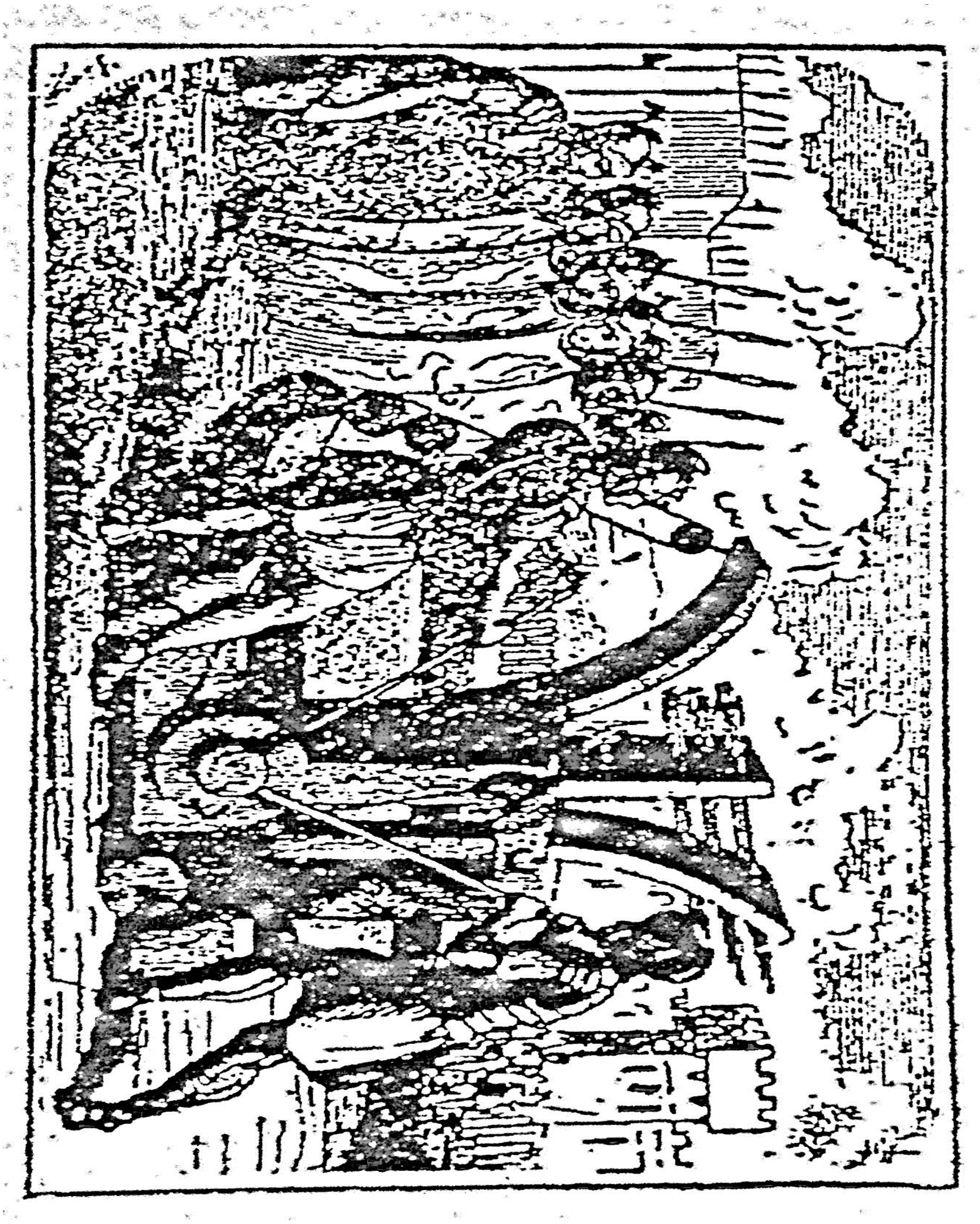


رجلان يشتغلان فى الأسلحة النارية

عن: وفيق بركات، فن الحرب الحرية فى التاريخ العربى الأسلامى،ص١٤٠.

ملحق رقم (١٢)

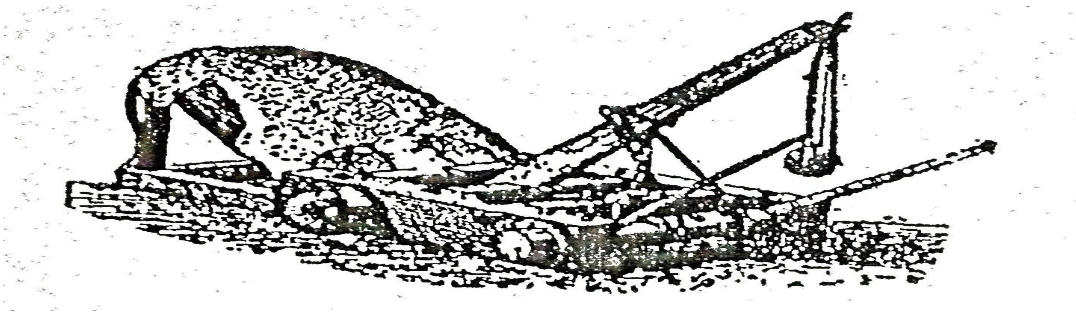
من أسلحة الجيش الغرناطى آلة المنجنيق لرمى السهام



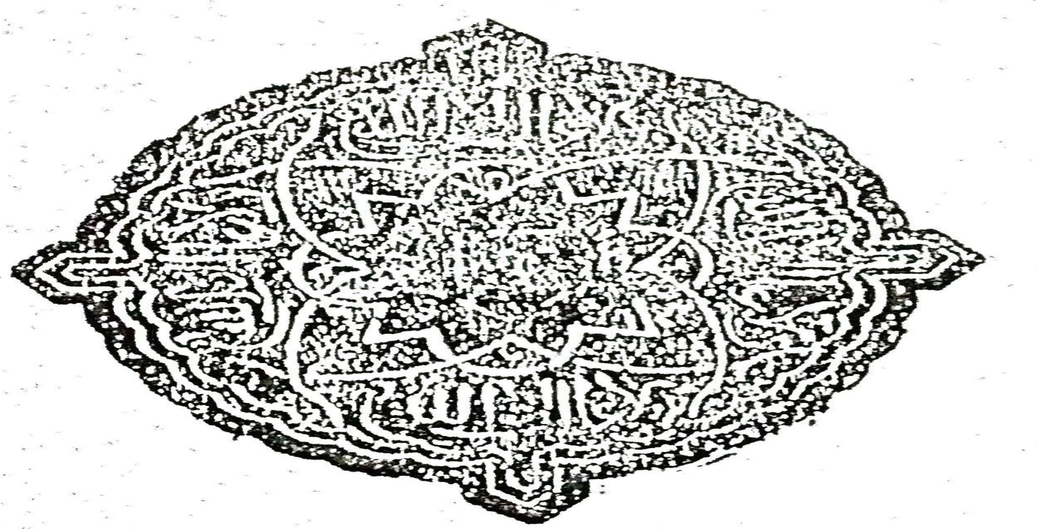
عن: جرجى زيدان، تاريخ التمدن الأسلامى، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، ص١٨٨.

ملحق رقم(١٣)

من أسلحة الجيش الغرناطى آلة المنجنيق لرمى الحجارة



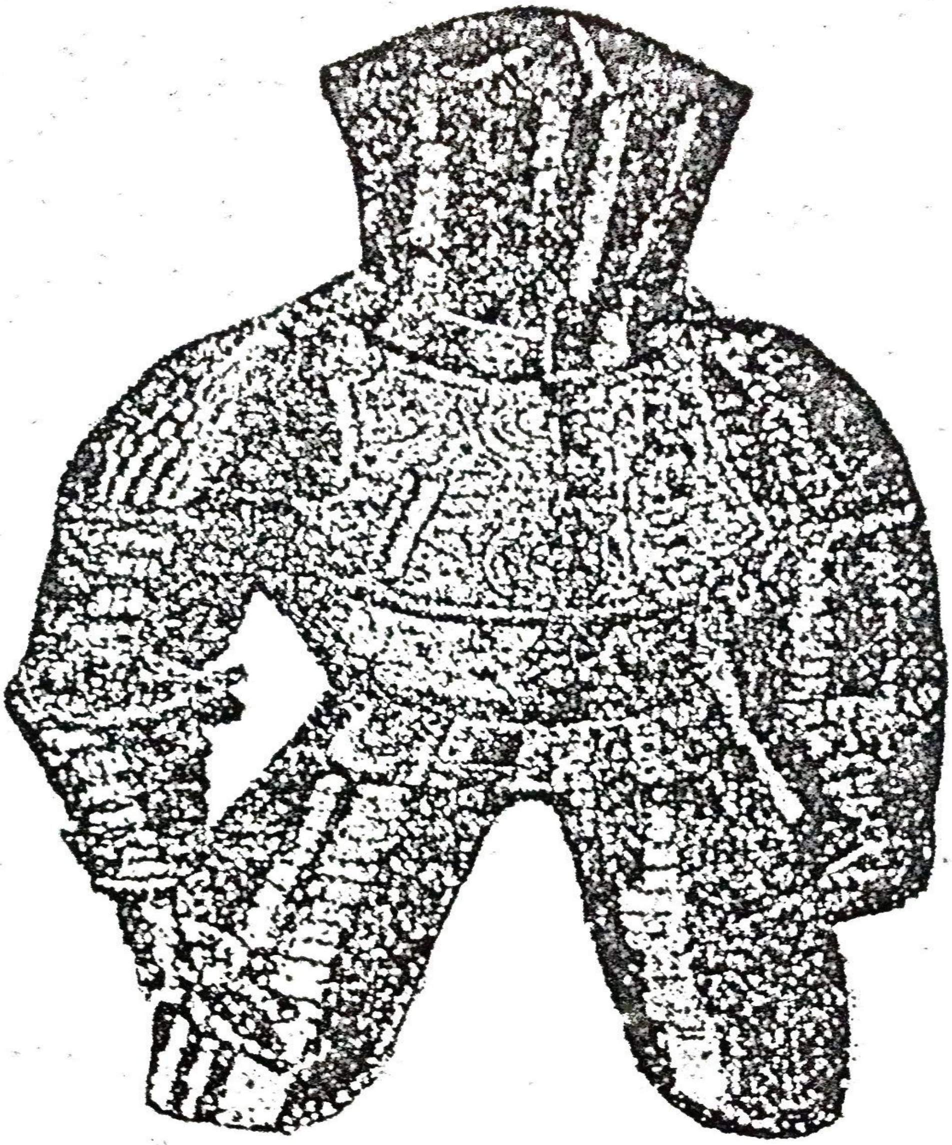
من أسلحة الجيش الغرناطى الترس الغرناطى



عن: جرجى زيدان، تاريخ التمدن الأسلامى،ص ١٨٦.

ملحق رقم (١٤)

من أسلحة الجيش الغرناطى الدرع (درع أبى عبدالله آخر ملوك الأندلس)



عن: جرجى زيدان، تاريخ التمدن الأسلامى،ص ١٨٧.

ملحق رقم (١٥)

قائمة بأسماء سلاطين بنى الأحمر فى غرناطة

اسم السلطان	سنوات حكمة	اسم السلطان	سنوات حكمة
محمد الأول (الغالب بالله)	٦٣٥ ــ ٦٧١هــ / ١٢٣٨ــ١٢٧٢م	أبو عبد الله محمد السابع	٧٩٧ هــ / ١٣٩٤ م
محمد الثالث (المخلوع)	٦٧١ ــ٧٠٢هــ / ١٢٧٢ــ١٣٠٢م	أبو الحجاج يوسف الثالث	٨١١هــ / ١٤٠٨ م
أبو الجيوش نصر	٧٠١ ــ ٧٠٨هــ / ١٣٠٢ ــ ١٣٠٩م	محمد الثامن (الصغير) للمرة الأولى	٨٢٠هــ/ ١٤١٧ م
أبى الوليد إسماعيل	٧٠٨ ــ ٧١٣هــ / ١٣٠٩ ــ ١٣١٤م	محمد التاسع (الأيسر) للمرة الأولى	٨٢٢ هــ / ١٤١٩م
أبو عبد الله محمد الرابع	٧١٣ ــ ٧٢٥هــ / ١٣٠٩ ــ ١٣٣٣ م	محمد الثامن للمرة الثانية	٨٣١ هــ / ١٤٢٧م
أبو الحجاج يوسف الأول	٧٣٣ ــ ٧٥٥ هــ / ١٣٣٣ ــ ١٣٥٤ م	محمد التاسع للمرة الثانية	٨٣٣ هــ /١٤٢٩م
أبو عبد الله محمد الخامس للمرة الأولى(الغنى)	٧٥٥هــ/١٣٥٤م	أبو الحجاج يوسف الرابع	٨٣٥ هــ /١٤٢٩م
أبو الوليد إسماعيل الثانى	٧٦٠هــ / ١٣٥٩م	محمد التاسع للمرة الثالثة	٨٣٥ هــ / ١٤٣٢م
أبو عبد الله محمد السادس (البرميخو)	٧٦١ هــ / ١٣٦٠م	محمد العاشر (الأحنف) للمرة الأولى	٨٤٨ هــ / ١٤٤٥م
أبو عبد الله محمد الخامس للمرة الثانية	٧٦٣ هــ / ١٣٦٢م	أبو الحجاج يوسف الخامس	٨٤٩ هــ / ١٤٤٥م
أبو الحجاج يوسف الثانى	٧٩٣ هــ / ١٣٩١ م	محمد العاشر للمرة الثانية	٨٤٩ هــ / ١٤٤٦م

تابع أسماء سلاطين بنى الأحمر فى غرناطة

اسم السلطان	سنوات حكمة	اسم السلطان	سنوات حكمة
محمد التاسع للمرة الرابعة	٨٥١ هـ / ١٤٤٧م	سعد المستعين بالله للمرة الثالثة	٨٧٠ هـ / ١٤٦٥م
سعد المستعين بالله للمرة الأولى - بالأشتراك مع محمد التاسع فى أواخر سنوات حكمه – واستمر الحكم المشترك حتى عام ٨٦٠ هـ / ١٤٥٥م	٨٥٧ هـ / ١٤٥٣م	أبو الحسن على للمرة الثانية	٨٧١ هـ / ١٤٦٥م
يوسف السادس	٨٦٦ هـ / ١٤٦٢م	أبو عبد الله محمد الثانى عشر (بوعبدل)آخر ملوك غرناطة للمرة الأولى	٨٨٧ هـ / ١٤٨٢م
سعد المستعين بالله للمرة الثانية	٨٦٧ هـ / ١٤٦٣م	أبو عبد الله محمد الثالث عشر (الزغل)	٨٨٨ هـ / ١٤٨٣ م
أبو الحسن على للمرة الأولى	٨٦٩ هـ / ١٤٦٥م	محمد الثانى عشر للمرة الثانية	٨٩٢ هـ / ١٤٨٧م

ملحق (١٦)

قائمة بأسماء سلاطين بنى مرين فى المغرب الأقصى

اسم السلطان	سنوات حكمة	اسم السلطان	سنوات حكمة
أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق	٦٥٦هـ / ١٢٥٨م	أبو زيان محمد الثانى	٧٦٣هـ / ١٣٦١م
أبو يعقوب يوسف بن يعقوب	٦٨٥هـ / ١٢٨٦م	أبو فارس عبد العزيز المستنصر بن على	٧٦٨هـ / ١٣٦٦م
أبو ثابت عامر بن يوسف	٧٠٦هـ / ١٣٠٦م	أبو زيان محمد الثالث السعيد	٧٧٤هـ / ١٣٧٢م
أبو الربيع سليمان يوسف	٧٠٨هـ / ١٣٠٨م	أبو العباس المستنصر أحمد بن إبراهيم	٧٧٦هـ /١٣٧٤م
أبو سعيد عثمان بن يعقوب	٧١٠هـ /١٣١٠م	أبو فارس موسى بن أبى عنان	٧٨٦هـ / ١٣٨٤م
أبو الحسن على	٧٣١هـ /١٣٣١م	محمد بن أحمد بن أبى سالم	٧٨٨هـ / ١٣٨٦م
أبو عنان المتوكل فارس	٧٤٩هـ /١٣٤٨م	أبو زيان محمد الرابع بن أبى الفضل	٧٨٨هـ / ١٣٨٦م
محمد بن أبى عنان فارس	٧٥٩هـ /١٣٥٨م	الواثق بالله محمد بن أبى الفضل	٧٨٩هـ / ١٣٨٧م
أبو زيان السعيد بن أبى عنان	٧٥٩هـ /١٣٥٨م	أبو العباس أحمد بن أبى سالم	٧٨٩هـ /١٣٨٧م
أبو سالم إبراهيم بن أبى الحسن	٧٦٠هـ / ١٣٥٨م	المستنصر عبد العزيز بن أحمد	٧٩٦هـ / ١٣٩٣م
أبو عمر تاشفين بن على	٧٦٢هـ / ١٣٦٠م	عبد الله بن أحمد	٧٩٩هـ / ١٣٩٧م
عثمان بن أبى العباس	٨٠٠هـ / ١٣٩٨م	عبد الحق بن عثمان بن	٨٢٣هـ / ١٤٢٠م

ملحق (١٧)

قائمة بأسماء ملوك قشتالة

اسم السلطان	سنوات حكمة
فرناندو الثالث (Fernando III)	٦١٤هـ / ١٢١٧م
ألفونسو العاشر(Alfonso X)	٦٥٠ هـ / ١٢٥٢م
سانشو الرابع (Sancho IV)	٦٨٣ هـ / ١٢٨٤م
فرناندو الرابع (Fernando IV)	٦٩٥هـ / ١٢٩٥م
ألفونسو الحادى عشر (Alfonso XI)	٧١٢هـ/١٣١٢م
بدرو الأول (Pedro I)	٧٥٠هـ / ١٣٥٠م
هنرى الثانى (Enrique II)	٧٧١هـ / ١٣٦٩م
خوان الأول (Juan I)	٧٨٠هـ/١٣٧٩م
هنرى الثالث (Enrique III)	٧٩٣هـ /١٣٩٠م
خوان الثانى (Juan II)	٨١٠ هـ / ١٤٠٧م
هنرى الرابع (Enrique IV)	٨٥٨هـ / ١٤٥٤م
الملكة إيزابيلا (Isabel I)	٨٧٩هـ / ١٤٧٤م

ملحق (١٨)

قائمة بأسماء ملوك أراجون

اسم السلطان	سنوات حكمة
خايم الأول (Jaime I)	٦١٠هـ / ١٢١٣م
بدرو الثالث (Pedro III)	٦٧٥هـ / ١٢٧٦م
ألفونسو الثالث (Alfonso III)	٦٨٤هـ / ١٢٨٥م
خايم الثانى (Jaime II)	٦٩١هـ / ١٢٩١م
ألفونسو الرابع (Alfonso IV)	٧٢٧هـ / ١٣٢٧م
بدرو الرابع (Pedro IV)	٧٣٦هـ / ١٣٣٦م
خوان الأول (Juan I)	٧٨٩هـ /١٣٨٧م
مارتن الأول (Martin I)	٧٩٨هـ /١٣٩٥م
فرناندو الأول(Fernando I)	٨١٥هـ / ١٤١٢م
ألفونسو الخامس (AlfonsoV)	٨١٩هـ / ١٤١٦م
خوان الثانى (Juan II)	٨٦٣هـ /١٤٥٨م
فرناندو الثانى (Fernando II)	٨٨٤هـ / ١٤٧٩م

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولا: المصادر العربية:

ابن الأحمر: أبو الوليد إسماعيل بن الأحمر (ت ٨١٠ هـ / ١٤٠٧م)

١- روضة النسرين فى دولة بنى مرين – تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، ١٩٦٩م.

٢- النفحة النسرينية واللمحة المرينية – تحقيق عدنان محمد آل طعمة، دمشق، ١٩٩٢م.

٣- نثير فرائد الجمان فيمن نظمنى وإياه الزمان – تحقيق محمد رضوان الداية، بيروت، ١٩٧٦م.

الإدريسى: أبو عبد الله محمد الشريف السبتى (ت حوالى ٥٤٨ هـ/ ١١٥٤م)

٤- نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق – القاهرة، د.ت.

ابن بطوطة: أبو عبد الله محمد الطنجى اللواتى (ت ٧٧٩ هـ/ ١٣٧٨م)

٥- رحلة ابن بطوطة– بيروت، ١٩٩٢م.

ابن تغرى بردى: جمال الدين أبى المحاسن بن تغرى بردى الأتابكى (ت ٨٧٤هـ/١٤٧٠م)

٦- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة–تحقيق محمد حسين شمس، بيروت،١٩٩٢م

ابن جبير :محمد بن أحمد الأندلسى (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م)

٧ - رحلة ابن جبير ، بيروت ، ١٩٦٤م.

ابن حجر العسقلانى: شهاب الدين أحمد بن على بن محمد بن محمد (ت ٨٩٢ هـ/ ١٤٤٩م)

٨- أنباء الغمر بأبناء العمر فى التاريخ – بيروت، ١٩٨٦م.

٩- الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة – بيروت، ١٩٩٣م.

الحموى: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموى (ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩م)

١٠-معجم البلدان – بيروت، د.ت.

الحميرى: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت أواخر القرن التاسع الهجرى/ الخامس عشر الميلادى)

١١-الروض المعطار فى خبر الأقطار – تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٨٤م.

ابن الخطيب: أبو عبد الله محمد لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦ هـ/ ١٣٧٤م)

١٢-الإحاطة فى أخبار غرناطة – تحقيق عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٧٤م.

١٣-أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام – تحقيق ليفى بروفنسال، بيروت، ١٩٥٦م.

١٤-خطرة الطيف فى رحلة الشتاء والصيف – ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب – تحقيق د/ أحمد مختار العبادى، الإسكندرية، ١٩٨٣م.

١٥-ديوان لسان الدين بن الخطيب السلمانى – تحقيق محمد مفتاح ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٩م.

١٦-ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب – جـ٢، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٨١م.

١٧-الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة – تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٦٣م .

١٨-كناسة الدكان بعد انتقال السكان – تحقيق محمد كمال شبانة، القاهرة، ١٩٦٦م.

١٩-اللمحة البدرية فى الدولة النصرية – تحقيق لجنة التراث العربى، بيروت، ١٩٨٠م.

٢٠-معيار الاختبار فى ذكر المعاهد والديار – ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق د/ أحمد مختار العبادى، الإسكندرية، ١٩٨٣م.

٢١-مفاخرات مالقة وسلا – ضمن مشاهدات لسان الدين بن الخطيب، تحقيق د/ أحمد مختار العبادى، الإسكندرية، ١٩٨٣م.

٢٢-نفاضة الجراب فى علالة الاغتراب – تحقيق د/ أحمد مختار العبادى، القاهرة، ١٩٦٧م.

ابن خلدون: أبو زكريا يحي بن خلدون (ت ٧٨٠ هـ/ ١٣٧٨م)

٢٣ – بغية الرواد فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد – تحقيق عبد الحميد حاجيات، الجزائر،١٩٨١م.

ابن خلدون: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٥م).

٢٤-التعريف بابن خلدون ورحلته شرقا وغرباً – تحقيق محمد بن تاويت الطنجى، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٢٥-العبر وديوان المبتدأ والخبر فى تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر – تحقيق خليل شحاتة ، بيروت، ٢٠٠٠م.

ابن أبى زرع: أبو الحسن على بن عبد الله بن أبى زرع الفاسى (ت بعد عام ٧٢٦ هـ/ ١٣٢٤م)

٢٦-الأنيس المطرب بروض القرطاس – الرباط، ١٩٧٣م.

٢٧-الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية – تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، ١٩٧٢م.

الزركشى: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤلؤى (ت ٩٣٢هـ/١٥٢٥م)

٢٨-تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية – تحقيق محمد ماضور، تونس، ط ٢ ، ١٩٦٦م.

الزهرى: أبو عبد الله محمد (ت فى أواسط القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى)

٢٩-كتاب الجغرافية – تحقيق محمد حاج صادق، القاهرة، د.ت.

السخاوى: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن(ت ٩٠٢هـ/١٤٩٧م)

٣٠-الضوء اللامع لأهل القرن التاسع – القاهرة، ١٣٥٠ هـ.

ابن سعيد : أبو الحسن على بن موسى محمد بن سعيد (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م)

٣١- الجغرافيا –تحقيق إسماعيل العربى ،بيروت ،١٩٧١م

السلاوى: أحمد بن خالد الناصرى (ت ١٣١٥ هـ/ ١٨٩٧م)

٣٢-الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى – الدار البيضاء، ١٩٥٥م.

ابن عذارى: أبو العباس أحمد بن محمد (كان حياً عام ٧١٢هـ/ ١٣١٢م)

٣٣-البيان المغرب فى أخبار ملوك الأندلس والمغرب – تحقيق أميروسى هويثى ميراندة، محمد بن تاويت، الرباط، ١٩٦٢م.

العمرى: شهاب الدين بن فضل الله (ت ٧٤٢ هـ/ ١٣٤١م)

٣٤-وصف إفريقية والمغرب والأندلس من كتاب مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار –، نشر حسن حسنى عبد الوهاب، تونس، د.ت.

ابن غالب:محمد بن أيوب بن غالب الغرناطى(كان حياً فى القرن السادس الهجرى/الثانى عشر الميلادى).

٣٥ – طعة من كتاب "فرحة الأنفس" عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة – تحقيق د/ لطفى عبد البديع، مجلة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٥٥م.

ابن القاضى: أحمد بن محمد بن أحمد (ت ١٠٢٥ هـ/ ١٦١٦م)

٣٦- جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس – فاس ١٣٠٩هـ

٣٧-درة الحجال فى غرة أسماء الرجال – تحقيق محمد علوش، الرباط، ١٩٣٤م.

القلصادى : أبو الحسن على القلصادى (ت ٧٩١هـ/١٣٨٩م)

٣٨- رحلة القلصادى - تحقيق محمد أبو الأجفان ، تونس د.ت.

القلقشندى: أحمد بن على (ت ٨٢١ هـ/ ١٤١٨م)

٣٩-صبح الأعشى فى صناعة الإنشا - القاهرة، د.ت.

٤٠-قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان - تحقيق د/ إبراهيم الإبيارى، القاهرة، ١٩٨٢م.

المجارى: أبو عبد الله محمد الأندلسى (ت ٨٦٢ هـ/ ١٤٥٧م)

٤١-برنامج المجارى - تحقيق محمد أبو الأجفان - بيروت، ١٩٨٢م.

مجهول:

٤٢ - خبار العصر فى انقضاء دولة بنى نصر - تحقيق د/ حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٩١م.

٤٢-الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية - تحقيق سهيل ذكار وعبد القادر زمامة، الدار البيضاء، ١٩٧٩م.

المراكشى: عبد الواحد المراكشى (ت ٦٤٧ هـ/ ١٢٤٧م)

٤٤-المعجب فى تلخيص أخبار المغرب - تحقيق محمد زينهم، القاهرة، ١٩٩٤م.

ابن مرزوق: أبو عبد الله محمد بن مرزوق الخطيب (ت ٧٨١ هـ/ ١٣٧٩م)

٤٥-المسند الصحيح الحسن فى مآثر ومحاسن مولانا أبو الحسن - تحقيق ماريا خوسيوس بيغيرا، الجزائر، ١٩٨١م.

المقريزى: تقى الدين أبو العباس أحمد بن على (ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤١م)

٤٦-السلوك لمعرفة دول الملوك – تحقيق محمد عبد القادر عطا، بيروت، د.ت.

٤٧-المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار- تحقيق د. محمد زينهم ومديحة الشرقاوى ، القاهرة ، ١٩٩٨م .

المقرى : شهاب الدين أحمد بن محمد (ت ١٠٤١ هـ/ ١٦٣١م)

٤٨-أزهار الرياض فى أخبار القاضى عياض – تحقيق مصطفى السقا وعبد الحفيظ شلبى، القاهرة، ١٩٣٩م.

٤٩- نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين الخطيب – تحقيق د/ إحسان عباس، بيروت، ١٩٨٨م.

الملزوزى: أبو فارس عبد العزيز (ت ٦٩٧هـ/ ١٢٩٧م)

٥٠- نظم السلوك فى الأنبياء والخلفاء والملوك – الرباط، ١٩٦٣م.

ابن منظور :أبو الفضل محمد بن مكرم بن على (ت ٧١١هـ/١٣١١م)

٥١-لسان العرب- بيروت ، ١٩٦٨م.

ابن منكلى: محمد بن محمود بن منكلى (ت ٧٨٤هـ/١٣٨٢م)

٥٢-الضوابط الناموسية والأحكام المملوكية فى فن قتال البحر- القاهرة ،دار الكتاب ،١٩٥٠م

النباهى: أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهى المالقى (ت بعد عام ٧٩٣هـ/١٣٩٠م)

٥٣- تاريخ قضاة الأندلس، بيروت، ١٩٨٣م.

النميرى: إبراهيم بن الحاج النميرى (ت بعد عام ٧٧٤هـ/١٣٧٣م.)

٥٦ - فيض العباب وإفاضة قداح الآداب فى الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب – تحقيق محمد بن شقرون ، دار الغرب الاسلامى ، بيروت، ١٩٩٠م.

ابن هذيل : على بن عبد الرحمن بن هذيل (ت فى القرن الثامن الهجرى / الرابع عشر لميلادى)

٥٥- حلية الفرسان وشعار الشجعان – تحقيق عبد الغنى حسن ، القاهرة ، د . ت

الونشريسى: أبو العباس أحمد بن يحى بن محمد التلمسانى (ت ٩١٤ هـ/ ١٥٠٨م)

٥٦-أسنى المتاجر فى بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر – تحقيق د/ حسين مؤنس، صحيفة المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الخامس، العددان ١-٢، ١٣٧٧ هـ/ ١٩٥٧م.

٥٧- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب – تحقيق د/ محمد حجى، بيروت، ١٩٨١م.

ثانيًا: المراجع العربية والمعربة:

أشباخ: (يوسف):

١- تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين – ترجمة أ/ محمد عبد الله عنان، القاهرة، ١٩٤٠م.

برنشفيك : (روبار)

٢- تاريخ إفريقية فى العهد الحفصى من القرن ١٣- ١٥ م- ترجمة حمادى الساحلى، ، بيروت ، ١٩٨٨م .

بروفنسال: (ليفى)

٣- الحضارة العربية فى إسبانيا- ترجمة الطاهر أحمد مكى ، القاهرة ، ط٣ ، ١٩٩٤م

٤- سلسلة محاضرات عامة فى أدب الأندلس وتاريخها – ألقاها عامى ١٩٤٧م – ١٩٤٨م، ترجمة د. محمد عبد الهادى شعيرة، الإسكندرية، د.ت.

بشتاوى : (عادل سعيد):

٥- الأندلسيون المواركة – القاهرة، ١٩٨٣م.

بيسكادور: (ماريا دل كارمن):

٦- كيف كانت حقيقة سقوط غرناطة فى ضوء وثيقة غير منشورة – ضمن فصول فى تاريخ الأندلس، بداية النهاية، ترجمة د. عبد الفتاح عوض، القاهرة، ٢٠٠١م.

حجى: (د. عبد الرحمن على):

٧- التاريخ الأندلسى من الفتح حتى سقوط غرناطة – بيروت، ١٩٧٦م.

حركات: (إبراهيم):

٨- المغرب عبر التاريخ – الدار البيضاء، ١٩٦٨م.

الحريرى: (د. محمد عيسى):

٩- تاريخ المغرب العربى والأندلس فى العصر المرينى – الكويت، ط ٢ ، ١٩٨٥م.

رزوق: (د. محمد):

١٠-الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر – الدار البيضاء، ١٩٩٠م.

رضوان : (د. رضوان محمد رضوان)

١١- سفارات متبادلة بين بنى زيان ملوك تلمسان ومملكة أراجون – الإسكندرية ، ١٩٨٤م .

أبو رميلة: (د. هشام):

١٢-علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والإسلامية فى الأندلس – القاهرة، ١٩٨٤م.

رياض : (د. زاهر رياض)

١٣-الممالك الإسلامية فى غرب أفريقيا- القاهرة ، ١٩٦٨م.

زغل : (محمد فاتح)

١٤-سلطة المثقف بين الاقتراب والاغتراب ، قراءة فى سيرة لسان الدين بن الخطيب وتجربته السياسية ، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ، ٢٠٠٦م

سالم: (د. السيد عبد العزيز سالم):

١٥- البحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس – بالاشتراك مع د. أحمد مختار العبادى، بيروت، ١٩٦٩م.

١٦-تاريخ الإسكندرية وحضارتها فى العصر الإسلامى - الإسكندرية ، ١٩٨٢م

١٧-تاريخ مدينة المريـــة قاعـــدة أسطول الأندلس – دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٩م

١٨-تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ،الإسكندرية ،١٩٨١م.

١٩-فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس – الإسكندرية، ١٩٨٩م

سحر سالم: (د. سحر السيد عبد العزيز سالم):

٢٠-بنو سراج وزراء بنى نصر بين الحقيقة التاريخية والقصة الشعبية – ضمن بحوث مشرقية ومغربية فى التاريخ والحضارة الإسلامية، الإسكندرية، ١٩٩٧م.

٢١-علاقة مصر المملوكية بغرناطة قبيل وعقب سقوطها – ضمن الذكرى الخمسمائة لسقوط غرناطة، تونس، ١٩٩٣م،.

سعاد ماهر : (د. سعاد ماهر)

٢٢-البحرية في مصر الإسلامية- دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م.

شبانة : (د. محمد كمال)

٢٣-يوسف الأول سلطان غرناطة – القاهرة، ١٩٦٩م.

الطوخى: (د. أحمد محمد):

٢٤-مظاهر الحضارة فى الأندلس فى عصر بنى الأحمر(٦٣٥/٨٩٧ هـ/١٢٣٨-١٤٩٢م) – الإسكندرية، ١٩٩٧م .

العبادى: (د. أحمد مختار):

٢٥-دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس - الإسكندرية، ١٩٦٨م.

عبد المنعم : (د. حمدى عبد المنعم محمد حسين)

٢٦-التاريخ السياسى والحضارى للمغرب والأندلس فى عصر المرابطين- الإسكندرية ١٩٩٧، م .

٢٧-مدينة سلا فى العصر الإسلامى، دراسة فى التاريخ السياسى والحضارى- الإسكندرية، ١٩٩٣م.

العدوى : (د. إبراهيم أحمد)

٢٨- الأساطيل العربية فى البحر المتوسط- القاهرة، ١٩٦٣م .

عنان: (الأستاذ محمد عبد الله):

٢٩-الآثار الأندلسية الباقية فى أسبانيا والبرتغال ، القاهرة، ط٢، ١٩٩٧م .

٣٠-أندلسيات - الكويت، ١٩٨٨م.

٣١-ابن الخطيب وتراثه الفكرى - القاهرة، ١٩٦٨م.

٣٢-دولة الإسلام فى الأندلس - العصر الثالث المرابطين والموحدين، القاهرة، ١٩٩٠م.

٣٣-نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين - القاهرة، ١٩٩٧م.

الغنيمى: (د.عبد الفتاح مقلد)

٣٤- موسوعة المغرب العربى – القاهرة،١٩٩٤م .

فرحات: (د. يوسف شكرى):

٣٥-غرناطة فى ظل بنى الأحمر – بيروت، ١٩٨٢م.

أبو الفضل: (د. محمد أحمد):

٣٦-تاريخ مدينة المرية الأندلسية فى العصر الإسلامى - الإسكندرية،١٩٩٦م.

٣٧-شرق الأندلس فى العصر الإسلامى – الإسكندرية، ١٩٩٦م.

كاسترو: (أميريكو):

٣٨-إسبانيا فى تاريخها – ترجمة على إبراهيم منوفى ، القاهرة ، ٢٠٠٢م

٣٩-حضارة الإسلام فى أسبانيا – ترجمة سليمان العطار، القاهرة، ١٩٨٣م.

كونستبل : (أوليفيا ريمى)

٤٠- التجارة والتجار فى الأندلس - ترجمة فيصل عبد الله ، مكتبة العبيكان، الرياض ، ٢٠٠٢م

لوبون : (جوستاف)

٤١- حضارة العرب – ترجمة عادل زعيتر، القاهرة،١٩٦٩م.

المطوى:(محمد العروسى)

٤٢- السلطنة الحفصية ، تاريخها السياسى ودورها فى المغرب الإسلامى – بيروت، ١٩٨٦م.

المنونى : (محمد)

٤٣- ورقات عن الحضارة المغربية فى عصر بنى مرين - الرباط ، ١٩٧٩م

مؤنس: (د. حسين):

٤٤-تاريخ الجغرافيا والجغرافيين فى الأندلس – القاهرة، ١٩٨٦م.

نادية صالح: (د. نادية مرسى صالح):

٤٥-العلاقات المسيحية الإسلامية فى أسبانيا عصر الملك ألفونسو الأول المحارب – القاهرة، ٢٠٠٠م.

النخيلى: (درويش):

٤٦-السفن الإسلامية على حروف المعجم – الإسكندرية، ط ٢، ١٩٧٩م.

النشار: (د. محمد محمود):

٤٧-علاقة مملكتى قشتالة وأراجون بسلطنة المماليك (٦٥٨ – ٧٤١ هـ/ ١٢٦٠ – ١٣٤١) القاهرة، ١٩٩٧م.

وات: (مونتغمرى):

٤٨-فى تاريخ أسبانيا الإسلامية – ترجمة د. محمد رضا المصرى – بيروت، ١٩٩٢م

ثالثًا: الرسائل الجامعية :

إدريس: (د.صبحى عبد المجيد)

٤٩- عصر الخليفة الناصر الموحدى فى المغرب والأندلس – رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة طنطا، ١٩٩٩م.

إمبابى :(د. محمد فهمى)

٥٠-التاريخ السياسى للجزيرة الخضراء منذ سقوط الدولة العامرية وحتى استيلاء القشتاليين عليها (٣٩٩ – ٧٤٤ هـ/ ١٠٠٨ – ١٣٤٤م) – رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب جامعة طنطا، ١٩٩٧م.

السعيد : (د.أحمد محمد)

٥١-الحياة الحربية لبنى الأحمر فى الأندلس (٦٣٥-٨٩٧هـ /١٢٣٨-١٤٩٢م - رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة طنطا ، ٢٠٠٥م

الطوخى: (د.أحمد محمد)

٥٢-نشأة مملكة غرناطة الإسلامية – رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، ١٩٧٤م.

عبد الحليم: (د. عبد الحليم على رمضان)

٥٣-العلاقات بين الأندلس والمغرب فى عصر بنى الأحمر (٦٣٥ – ٨٩٧ هـ/ ١٢٣٨ – ١٤٩٢م)-رسالة ماجستير غير منشورة،كلية الآداب جامعة المنصورة،٢٠٠٠م.

مجدي يسن عبد العال:

٥٤- العلاقات التجارية بين دولة بني مرين والجمهوريات الايطالية (جنوا-بيزا-البندقية) ٦٥٦هـ-٨٦٩هـ/ ١٢٥٨م-١٤٦٤م، رسالة دكتوراه غير منشورة ، آداب الزقازيق، ٢٠٠٤م.

رابعًا: الدوريات:

بلبع: (د. محمد توفيق):

٥٥-غرناطة وقصر الحمراء – مستخرج من المجلة التاريخية المصرية، المجلد الخامس عشر، ١٩٦٩م.

سحر سالم: (د. سحر السيد عبد العزيز سالم):

٥٦-الألوية والريات والبنود والأعلام فى الأندلس – دورية كلية الآداب جامعة المنصورة، العدد ١٦، ١٩٩٥م.

سيكو: (لويس دى لوثينا)

٥٧-وثائق عربية غرناطية لم تنشر - صحيفة المعهد المصرى بمدريد ، المجلد الرابع العددان ١ – ٢ ، ١٩٥٦م

٥٧- الوثائق العربية الغرناطية وقيمتها التاريخية - مجلة المعهد المصرى للدراسات

٥٨- الإسلامية بمدريد ، المجلد السابع والثامن ، ١٩٦٠م

شبانة: (د. محمد كمال):

٥٩-المؤرخ الوزير لسان ابن الخطيب ، مجلة دعوة الحق ، السنة التاسعة ، ١٩٦٦م

العبادى: (د. أحمد مختار):

٦٠-الأعياد فى مملكة غرناطة – صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الخامس عشر، ١٩٧٠م.

٦١-حياة ابن الخطيب المغربية – مجلة البينة، الكويت، المغرب، العدد الأول، مايو ١٩٦٢م.

٦٢-فترة مضطربة فى تاريخ غرناطة كما يرويها شاهد عيان– صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد السابع، ١٩٥٩م.

٦٣-لسان الدين ابن الخطيب وكتاباته التاريخية ، مجلة عالم الفكر ، المجلد (١٦) ، العدد الثانى

٦٤-محمد الغنى بالله سلطان غرناطة – مجلة معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، المجلد الحادى عشر – الثانى عشر، ١٩٦٣ – ١٩٦٤م.

عنان: (الأستاذ محمد عبد الله):

٦٥- وثيقة أندلسية من القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى – صحيفة

٦٦- المعهد المصرى للدراسات الإسلامية بمدريد – العددان الأول والثانى، ١٩٥٤م.

خامسًا: المصادر والمـــراجـــع الأجنبية:

Al – Abbādi: (Dr. A. Mujtār):

- El Reino de Granada en la Épóca de Muhammad V – Madrid, 1973.

Alarcón Y Linares: (M.A. Y R. Garcia):

- Los Documentos Árabes Diplamáticos del Archivo de la Corona de Aragón-Madrid Y Granada, 1940.

Altamira: (Rafeal):

- A History of Spain from the beginnings to the present day – translated by Munalee. London, 1949.

Arié: (Dr. Rachel):

- El Reino Nasri de Granada (1232-1492) – Madrid, 1992..
- L'Espagne Musulmane au Temps des Nasrides(1232-1492) – Paris, 1973.

Brooke: (Z. N.):

- A History of Europe from 911 to 1198 – London, 1937.

Cambridge Medieval History – Vol. 7,8, Cambridge, 1932.

Canning: (J.):

- 100 Great Kings, Queens and Rulers of the worled – New York, 1968.

Harvey: (L. P.):

- Islamic Spain (1250 – 1500) – London, 1990.

Mackay: (Angus):

- La España de la Edad Media , desde la frontera hasta el Imprerio (1000 – 1500) – Madrid, 1977.

1988

Orton: (C. W.):

-A History of Europe from 1198 to 1378 – London, 1937.

Scott: (S. P.):

- History of the Moorish Empire in Europe – London, 1904.

Seco: (Luis Lucena de Pardes):

- El Hāŷib Ridwān la Madraza de Granada Y las Murallas del Albayzin – (Al- Andalus, Madrid Y Granada, Vol. XXI, 1956

- La Sultana Madre de Boabdil – (Al- Andalus, Madrid Y Granada, Vol. VII, 1947).

- Muhammad IX Sultan de Granada – Granada, 1978.

- La Corona de Argón Y Granada - Barcelona, 1908.

Simonet: Francisco Jovier

- Descripcion de Reino de Granada Bajo la Dominacion de los Naseritas- Madrid, 1860,

Waugh: (W. T.):

- A History of Europe from 1378 to 1494 – London, 1947.

الفهرس